

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء السادس والثلاثون
ذوالقعدة ١٣٩٥هـ - نوفمبر ١٩٧٥م

المشرف على المجلة:

د. إبراهيم أنيس

رئيس التحرير:

إبراهيم التري

الفهرس

تصدير:

● عبرى

للدكتور ابراهيم انيس

ص ٧

● الحركة الانقلابية الأخيرة فى نظام الشعر العربى

للاستاذ أنيس المقدس

ص ٤٣

بحوث ومقالات:

● الثقافة العربية اليوم وغدا (٢)

للدكتور ابراهيم مذكور

ص ١٤

● الشعر الحر
ومكانه من الشعر العربى

للدكتور عبد الرزاق محيى الدين

ص ٨٤

● السجع وتناسب الفواصل وما يكون من ذلك فى القرآن الكريم

للدكتور الشبيخ عبد الرحمن تاج

ص ٢٠

● بواعث زهد أبى العلاء (١)
للدكتور احمد الجوفى

ص ٩٤

● تحقيق لسان العرب (٦)
للاستاذ عبد السلام هارون

ص ١٠٠

● وأخيرا .. وليس آخر
للاستاذ على النجدى ناصف

ص ٤٠



-
- في معاني الأفعال :
المزيد بالهمز كالمجرد في الأفعال الثلاثية
المتعدية
الأستاذ محمد شوقي أمين
ص ١١٠
- التطور اللغوي
وفانوس السهولة واليسير
الدكتور رمضان عبد التواب
ص ١٩٦
- في القرآن والعربية :
الصراع بين الفراء والنحاة (٤)
الدكتور أحمد علم الدين الجندى
ص ٢٠٦
- التراث الجيولوجى عند العرب
الدكتور محمد يوسف حسن
ص ١١٩
- الوجود العربى فى اللغة التركية
للأستاذ أحمد توفيق المدنى
ص ١٢٧
- مصطلحات علم الحركة
لدى علماء العرب
الدكتور جلال شوقي
ص ١٧١
- تعريف ونقد :**
- «البرصان والعرجان والعميان والحولان»
تأليف : أبى عثمان الجاحظ
تحقيق : الأستاذ محمد مرسى الخولى
تعريف ونقد
الأستاذ محمد عبد الفنى حسن
ص ٢١٤

شخصيات مجمعية :

عضو راحل :

● كلمة الدكتور ابراهيم مذكور

في تأييد المغفور له صاحب الفضيلة
الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

ص ٢٢٠

● كلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ
على الخفيف في تأييده

ص ٢٢١

● كلمة الأسرة :
للأستاذ حسن عبد الرحمن تاج

ص ٢٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

عبري
للكتور ابراهيم أنيس

لا بدري لا بدري

ויגד לאברהם

ה לאברהם

معناه في رأيهم ، من هو من نسل
«عابر» هذا !!

غير أنا نلاحظ أن «أبرام» قد لقب بهذا
اللقب مرة واحدة ، بعدها يصبت سفر
التكوين عن ذكر ذلك اللقب نحو خمسة
وعشرين إصحاحا ، إلى أن يلقب به يوسف
حين وفد إلى مصر وكان بينه وبين امرأة

أصحاب الدراسة
التقليدية يصدد تأصيل
الاسم «عبري» إلى

نقسم

فريقين : فريق يختصر طريق البحث ويتذهب
إلى أن هذا الاسم ترجع نسبته إلى أحد أحفاد
نوح المسمى عابر بن شالح أرفكشاد سام^(١) ؟

ويرون أن تليقب «أبرام» باللقب «العبري»
في النص^(٢) : فأتى من نجا وأنخبر أبرام العبري

ויבא ה עברי

(١) سفر التكوين الإصحاح العاشر .

(٢) سفر التكوين الإصحاح ١٤ .

العزیز ماكان إذ قالت^(١) : انظروا جاء إلینا
برجل «عبری» لیداعینا !!

أی أننا نجد الاسم «عبری» هنا وقد استعمل
—دون أدنى شك— لقباً لمن ینتمی إلى شعب
معین . ثم یتوالی بعد ذلك استعمال هذا اللقب
بهذه الدلالة . حتى ینتهی سفر التکوین ، ثم
فی سفری الخروج وصموئیل الأول . فمثلاً
جاء علی لسان یوسف لرئیس السقاة بعد أن
فسر له الرؤیا (لأنی قد سُرِّقْتُ من أرض
العبرین) . ومثل الإشارة إلى قوم یوسف
مع شعب مصر (لأن المصرین لا یقدرون أن
یأکوا طعاماً مع العبرین) .

وهكذا نرى أن اللقب «عبری» قد تكرر
وروده فی قصة یوسف وفی البیئة المصرية .
أما قبل ذلك فلم یرد فی التوراة سوى مرة
واحدة مع «أبرام» وكان فیها غامض الدلالة .
أو علی الأقل دلالة غیر مؤكدة .

والنالك لانطمن لرأی هذا الفريق من
الدارسین . ونسأل دهشین : ولماذا اختص
«أبرام» وحده بهذا اللقب بین من كانوا من
نسل «عابر» برغم أن الفترة الزمنية بین «عابر»
و«أبرام» علی حسب نصوص التوراة نحو
١٥٠٠ سنة ؟! هذا إلى أن اللقب «عبری» لم
یستعمل بعد «أبرام» إلا مع یوسف وحين كان
فی مصر ، و بین «أبرام» ویوسف ما یقرب من
أربعة قرون . أی أنه خلال زمن یقرب من
٢٠٠٠ سنة لانجد بین أبناء «عابر» وأحفاده من

یلقب بالاسم «عبری» غیر «أبرام» ومرة واحدة !!

وكذلك نتساءل : ولم كانت النسبة إلى
«عابر» بالذات ، ولم تكن لمن هو أشهر منه مثل
«سام» ؟! أی علی نحو ما اشتهر فی العصور الحديثة
من نسبة الأجناس السامية واللغات السامية ؟

وأما الفريق الثانی من أصحاب الدراسة
التقليدية فیبدأون البحث بالاسم الذی لقب
به أبرام فی النص (فأتی من نجا وأخبر
«أبرام» العبری) ، ویرون أن اللقب هنا مع
«أبرام» مشتق من الفعل المشهور فی اللغات
السامية «عَبَرَ» بمعنى جاوز ، انتقل من مكان
إلى آخر . أو من شاطئ إلى شاطئ ، كما یرون
أن «أبرام» سمی كذلك لأنه ترك بلاده
الأصلية بین النهرین (أور) ، وعبر القرات
نازحاً إلى بلاد كنعان .

هم إذن یعدون اللقب «عبری» مع «أبرام»
وصفاً أو نعتاً خلعه علیه أهل كنعان حين
نزع إلیهم . ومن هذا النعت اشتق بعد ذلك
اسم الشعب كما شهدنا فی قصة یوسف بمصر .

ونحن نلاحظ علی هذا الرأی أننا لانعرف
فی لغة القوم وصفاً علی هذه الصیغة «عبری»
לְעִבְרִי ، إلا فی حالة النسب .

وأما الوصف العادی المألوف من الفعل «عبر» فهو

علی صیغة اسم الفاعل أی **לְעִבְרִי**
بمعنی العابر ، النازح ، المتنقل ، المهاجر

... إلخ . ولا بد إذن أن نفترض أن اللقب

«أبرام» المستعمل مع «أبرام»

قد أصابه تحريف ، وأنه في الأصل على

صورة اسم الفاعل «أبر»

ويؤيد ذلك أمران : أولهما زأن الترجمة السبعينية تشير إلى لقب «أبرام» على أنه وصف عادي معناه العابر أو النازح ولذلك ترجم فيها بالكلمة اليونانية To Peraté .

في حين أن الكلمة «عبري» مع يوسف وفي كل النصوص الأخرى من التوراة عوملت في الترجمة السبعينية على أنها «علم» لشعب معين ، ولذلك بقيت صورتها كما هي في لغتها الأصلية مع تغيير طفيف اقتضته أصوات اللغة اليونانية ، فصارت Hebraeos ، Hebraeon مما يدل على أن الاسم «عبري» مع «أبرام» غيره مع يوسف وما بعده من نصوص .

والأمر الثاني أنه مضت قرون أربعة بين «أبرام» ويوسف خلالهما لم يلقب «أبرام» بهذا اللقب سوى مرة واحدة ، ولم يلقب بأحد من كل أبناء «أبرام» وأحفاده وهم كثيرون ، إلى أن كان الشأن مع يوسف وفي مصر بالذات ، فلقبته به مصرية هي امرأة العزيز ، وظهر من الاسم مع يوسف وبوضوح ، أنه اسم شعب معين كان معروفا معرفة تامة في البيئة المصرية .

وربما كان التحريف في لقب

«أبرام» من «أبر»

إلى «أبر» متعمدا

وقصد به أن ينسب «أبرام» إلى الشعب العبري وحده ، إذ نشعر أن أصحاب هذا الرأي كانوا حريصين كل الحرص على تأكيد رأيهم بكل الوسائل المفتعلة ليستأثروا بالميثاق الذي قطعه الرب مع «أبرام» في النص (في ذلك اليوم قطع الرب مع «أبرام» ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات (١) ؟

ولكنهم تناسوا أن باقى النص كما ورد في توراتهم يحدد نسل «أبرام» في حشرة شعوب ويذكر أسماء تلك الشعوب . كما تناسوا عن عمد أن الرب حين غير اسم «أبرام» إلى إبراهيم قال (وتكون أباً لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمك بعد «أبرام» بل يكون اسمك إبراهيم لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم) .

نحن إذن بعد ما تقدم لانطمان إلى الآراء التي ينادى بها أصحاب الدراسة التقليدية . في تأصيل الاسم «عبري» ، ونحاول هنا أن نلتبس فرضاً جديداً في تأصيل الاسم «عبري» الذي استعمل مع يوسف في مصر كاسم لشعب معين كان معروفاً لمصريين تمام المعرفة .

وهنا تبرق لنا فكرة الربط بين الاسم «عبرى» الذى استعمل مع يوسف وشاخ بعد ذلك فى النصوص الأخرى ، وبين اسم آخر جاء فى ألواح تل العمارنة وفسرت رموزه على أنه «خبرى»^(١) ، وهو الاسم الذى أطلقه المصريون القدماء على أقوام من البدو الساميين الذين كانوا يعيشون على الحدود المتاخمة لمصر ، وقد ورد الاسم «خبرى» فى ألواح تل العمارنة المنسوبة إلى القرن الرابع عشر ق.م. فى مناسبتين : أولا هما حين استغاث أمراء سوريا وفلسطين إلى فرعون مصر الذى كانوا يدفعون له الجزية لينقلدهم من الشعب البدوى المسى «خبرى» ، لأنه يشن الغارات على مدينتهم . والمناسبة الثانية هى وصية أمنحتب الثالث لابنه يحذره فيها من أولئك البدو المجاورين الذين يسمون «خبرى» فقد احتلوا المناطق الصحراوية المتاخمة وأصبحوا قوة لا يستهان بها . وتقول هذه الوصية مانصته : (لقد سقطت الأراضى فى أيدي شعب «خبرى») .

من أجل ذلك نفترض أن الاسم «عبرى» الذى لقب به يوسف فى مصر ؛ والذى اشتهر على ألسنة المصريين كاسم لشعب بدوى مجاور هو نفس الاسم «خبرى» الذى جاء فى ألواح

تل العمارنة ، والذى تفيد النقوش أن المصريين القدماء أطلقوه على شعب بدوى على حدود مصر .

ولاشك أن الاسم «خبرى» مستمد من اللغة المصرية القديمة ، وإن كنا لا ندرى حتى الآن دلالة الأصيلة فى تلك اللغة .

وإذا قارنا بين الاسمين (عبرى ، خبرى) وجدنا أن الحروف الصحيحة فيها تتشابه تشابها كبيرا ، فى كل منهما ثلاثة حروف صحاح ، أحدها حرف حلق (العين فى الاسم الأول والخاء فى الثانى) ، ثم الباء والراء فى كل من الاسمين . ونحن نعلم أن الإبدال بين العين والخاء ممكن فى الدراسات السامية المقارنة ، بل لقد رويت له أمثلة فى لهجات اللغة العربية مثل : العُنْظب ، الخَنْظب = الذكر من الجراد . الدَّعْم ، الدَّخْم = الدفع ، رجل أصلع ، أصلخ . المَعْن ، المخن من الرجال = الطويل .

أى أن الاسم «خبرى» الذى أطلقه المصريون القدماء على الشعب البدوى . المتاخم هو ما صار فى لغة يوسف وقومه على صورة «عبرى» عن طريق الإبدال بين الخاء والعين ، وعليه فلا

صلة بين اللقب (عبرى) الذى أطلق على الشعب الذى ينتدى إليه يوسف ومن بعده موسى ، وبين الفعل السامى (عبر) بمعنى جاوز ، انتقل . . الخ .

وكان المصريون القدماء يطلقون على بعض الشعوب الصغيرة المجاورة أسماء مستمدة من اللغة المصرية مثل تسميتهم للفينيقيين بكلمة (تِيُوخِي) التى تعنى بالمصرية صانعى السفن . غير أنا لا ندري لماذا سموا الشعب البدوى المتأخم بالاسم (عبرى) ، ولم نستطع حتى الآن الاهتداء إلى دلالة الأصيلة فى اللغة المصرية القديمة .

ولعل مما يستأنس به فى صفحة هذا الغرض تحجر الاسم (عبرى) وعدم اشتقاق اسم اللغة منه إلا فى العصور المسيحية ، وعلى صورة غير مألوقة فى أسماء اللغات كما جاءت فى العهد القديم من أمثال :

אַרְבָּעַיִת

בְּהַרְבֵּית

الاسم عبرى فى التراث الإسلامى :

لم يرد فى القرآن الكريم أى ذكر للاسم (عبرى) ، بل ولا فى الحديث

الشريف فيما نعرف . سوى ما جاء فى صحيح البخارى فى إحدى روايتين بمناسبة ورقة بن نوفل (فانطلقت خديجة حتى أتت به (النبي) ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ، وفى رواية بالعربية) .

ونحن نرجح رواية «فيكتب من الإنجيل بالعربية» . إذ على فرض صحة الرواية الأخرى نتساءل ، مع دهشة واستغراب : ولمن كان ينقل من الإنجيل باللغة العبرانية؟! ولأى هدف كان يترجم نصوص الإنجيل من لغته الأصلية وهى السريانية إلى اللغة العبرانية؟!

لذلك نرى أن الأقرب إلى المعقول المقبول هو أن ورقة بن نوفل وهو العربى القرشى كان يترجم نصوص الإنجيل إلى العربية لغة آبائه وأجداده ليهتدى بهذه النصوص قومه وعشيرته .

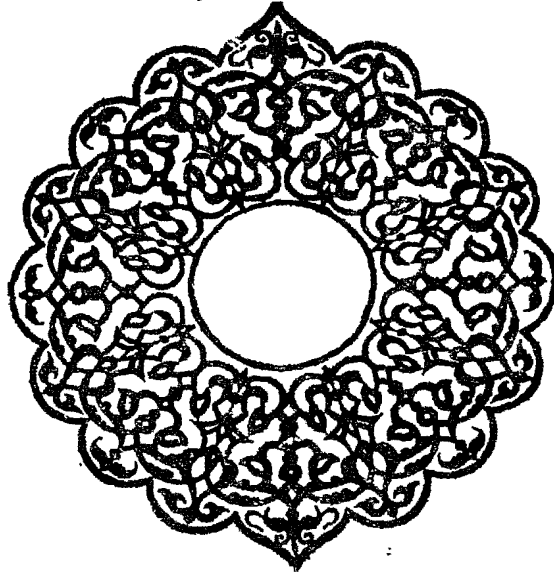
والاسم (عبرى) على كل حال لم يعرف فى التراث الإسلامى بصورة مؤكدة إلا فى حدود القرن العاشر الميلادى ، فقد اشتهر حينئذ كاسم للغة القوم أكثر منه اسما للشعب .

ويبدو أن ذلك قد بدأ يتسرب إلى التراث الإسلامي بعد تلك النهضة الأدبية التي حاولها اليهود في الأندلس ، فقد ظهر لهم آنذاك ، وفي ظل سماحة الإسلام ، إنتاج أدبي غزير بلغتهم التي أطلقوا عليها اسم «اللسان العبري» . ثم شاع هذا الاسم بين المؤلفين من المسلمين ، ولا سيما في المعاجم العربية . فيقول صاحب

معجم لسان العرب: «والعبري بالكسر والعبراني لغة اليهود» . ويقول الفيروزبادي: «العبري والعبراني لغة اليهود» . ويرى اللغويون العرب أن الألف والنون زِيدَت في النسبة عبراني على غير قياس .

وبالله التوفيق

المشرف على المجلة
ابراهيم أنيس





الثقافة العربية اليوم وغدا

العلوم الإنسانية للدكتور إبراهيم مكي

أشرا

في الكلمة السابقة إلى
نشأة الثقافة العربية

وتطورها ، وبينما أن نهضتنا الثقافية المعاصرة
تصعد إلى القرن التاسع عشر ، ظهرت
بوادرها في مصر أولا ، ثم امتدت شيئا فشيئا
إلى بلاد عربية أخرى . ويعتبر القرن العشرون
البدء الحقيقي لهذه النهضة ؛ لأنه قرن التحرر
والاستقلال ، قرن الازدهار والرخاء . وأريد
بها أن تكون ثقافة عربية أولا تعبر عن العالم
العربي في آماله وآلامه ، ولم يكن غريبا أن
تعنى باللغة القومية ، وأن تعتد بتراثها
التقديم . ولكنها لم تقف عند هذا ، بل
تفتحت أعينها لعلوم العصر وفنونه ، وأخذت
منها ما أنجذت .

١ - بدأت النهضة الثقافية العربية الحالية
بالعلوم الإنسانية ، شأنها شأن النهضة الأوروبية
الحديثة ، فاتجهت أولا نحو التراث العربي
التقديم تحيي معالمه ، وتستلهم منه .

والتراث العربي خصب فسيح ، وهودون
نزاع أغنى مخلفات الحضارات القديمة
والمتوسطة ، لأنه صنيع عدة شعوب ووليد
ثلاثة عشر قرنا . وجه إليه الدين أصلا ، فكان
الاشتغال به عبادة ، وتعنيده تقريبا . تعددت
ألوانه ، وتنوعت أبوابه ، فيه شرعيات
ولغويات ، فيه تاريخ وقصص ، فيه فن
وأدب ، فيه علم وفلسفة . ولإعطاء فكرة عن
سجته وتنوع مواده ، يكفي أن نشر إلى
مرجعين اثنين عنيا بحصره . وقد ظهر أولهما
في القرن العاشر الميلادي ، وهو «الفهرست»
لابن النديم ، الذي شاء أن يحصى ما ألف أو
ترجم إلى العربية لعهد ، وأسفر لإحصائه عن
عشرات العلوم والفنون ، ومئات المؤلفات ،
ومئات المؤلفين . وظهر الثاني في القرن
السابع عشر ، وهو : «كشف الظنون في
أسماء الكتب والفنون» ، ويشتمل على نحو
٣٠٠ فن ، وعدة آلاف مؤلف ، ونحو
١٥٠٠٠ كتاب . ورأت الجامعة العربية قياما

بواجبها الثقافي . أن تجمع هذه المخطوطات .
وأن تيسر أمرها للدارسين والباحثين ، فأنشأت
عام ١٩٤٧ معهداً للمخطوطات استطاع حتى
الآن أن يوفد عشرات البعثات إلى العالم
العربي والعالم الإسلامي ، بل إلى بعض
العواصم الأوروبية بحثاً عن المخطوطات
وحصل على صور لما يريد عن ٣٠ ألف منها
ويعد هذا المعهد مركزاً كبيراً من مراكز
الثقافة العربية اليوم .

وقد تنبه المستشرقون إلى هذه الثروة
الفكرية الهامة ، وقاموا بإحياء قدر منها في
القرن الماضي . ثم اضطلع العرب أنفسهم بذلك ،
وبدعوا في القرن نفسه يحققون وينشرون .
واشتد نشاطهم في القرن الحالي ، فحاولوا
أن يحملوا العبء عن سبقهم من المستشرقين
وعنوا بذلك عناية خاصة . وأصبح لإحياء
التراث باباً فسيحاً من أبواب الثقافة العربية
المعاصرة ، وتكاد تسهم فيه البلاد العربية
جميعها ، وتخصص فيه بعض الناشرين ، وله
نسبة ملحوظة بين ما يظهر من كتب عربية
كل عام . وقد ينشر مؤلف واحد مرتين في
آن واحد ببلدين عربيين ، وحيناً لو نظم
ذلك ونسق ، ورتبت فيه أولويات ، ووزع
بين الناشرين في العالم العربي ، على نحو ما يتم
من تنسيق بين إنجلترا والولايات المتحدة في
نشر كبار المؤلفات الإنجليزية . والمهم على

كل حال ، أن يقوم بالتحقيق والنشر من هو
أهل له ، وأن يفرغ كل ناشر لما تخصص فيه .
٢- وإلى جانب النشر والتحقيق تجيء
الدراسات اللغوية والأدبية ، وهي بدورها
من باكورات النهضة الثقافية ، يبدأ بها
لأنها من وسائل النهوض والتقدم . وسبق
لي أن أشرت إلى محاولات الاستعمار في
فرض لغاته ، آملاً أن تحل محل العربية ،
ولم تتردد بعض القوى الوطنية في معارضة
ذلك . هذا إلى أن مستحاثات العلم والحضارة
جلبت مسميات وأسماء غير عربية ، ولما أن
تقبل المسميات بأسمائها ، ولما أن توضع
لها أسماء جديدة ، والعربية نفسها كسائر
اللغات ظاهرة اجتماعية تخضع لسنة النشوء
والارتقاء . وقد دفع ذلك كله ، أسوة بما
حدث في فرنسا في القرن السابع عشر ، إلى
التفكير في إنشاء مجامع لغوية تحافظ على
سلامة اللغة ، وتجعلها وافية بمطالب العلوم
والفنون ، ملائمة لحاجات الحياة في العصر
الحاضر . وسبقت مصر إلى ذلك ، فأنشأت
عام ١٨٩٢ مجسداً أهلياً . ومضت تطور
الفكرة زمناً إلى أن استقر الرأي عام ١٩٣٢
على إنشاء مجمع حكومي مثلت فيه البلاد
العربية ونفر من كبار المستعربين ، وهو
القائم إلى اليوم . وقد نجح هذا المجمع في
إثبات أن اللغة ملك لأهلها ، وأن في وسعهم
أن يندودا ويغندودا . واستطاع أن يبسط
قواعدها ، وأن ييسر أقيستها ، وعنى

خاصة بلغة العلم وألفاظ الحضارة ، واستحدثت
مناهج جديدة في التأليف المعجمي . وأخذ
بالفكرة بعض البلاد العربية ، فأنشئ مجمع
دمشق عام ١٩١٩ ، ومجمع بغداد عام
١٩٤٧ ، وتنهياً بلاد عربية أخرى لإنشاء
مجامع جديدة ، وكان لابد من قيام اتحاد
يربط هذه المجامع وينسق عملها ، وقد
أنشئ فعلاً منذ ثلاث سنوات .

٣ - وأما الإنتاج الأدبي فما أكثره وما أغزره
فيه أخذ ومحاكاة ، وفيه إبداع وابتكار .
يحاكي أروع ما عرف في الماضي ، ويبتكر
صوراً جديدة من الحاضر . وكان للتنافس
بين القديم والحديد شأن في ظهور أدب
يتسم بسمات العصر ومميزاته . فتوارد على
الشعر العربي مدارس وشعراء يحاكون الشعر
العباسي في أزهي عصوره ، أو ينحون منحى
الرومانسية الغربية التي تعني بوحدة الموضوع ،
وتدعو إلى أن يعود الأديب إلى نفسه ،
ويصور ما يدور بخاذه . ولم يقف الأمر عند
موضوع الشعر وأخيلته ، بل امتد إلى وزنه
وقافيته ، وظهر الشعر الحر الذي يبدو وكأنه
محاكاة واضحة لموثرات أجنبية . وكم
اشتدت الخصومة بين أنصار الشعر القديم
وأنصار الشعر الجديد . ولم يخل ذلك من
تفاعل بينهما ، فتوسع أنصار القديم في
أوزانهم وقوافيهم ، وحاول أنصار الجديد أن
يكسوا شعرهم بقدر من الوزن والموسيقى .
وفي الشرائع الجديدة وطريقة : من مقال ، وقصة

ومسرحية ، وسيرة ذاتية . وما المقال إلا تطور
للمقامة القديمة ، وقد ساعدت الصحافة
والحزبية السياسية على هذا التطور ، ونمت
الدراسات الجامعية . فكان للمقال شأن في
الدعوات الإصلاحية ، والحركات السياسية ،
والنقد الأدبي ، والتحليل العلمي . وهناك
مقالات سمت إلى مستوى الأدب الرفيع ،
وصارت نموذجاً يحتذى بين القراء والكتاب .
والقصة من أغزر أبواب الأدب العربي المعاصر .
اعتمدت على الملاحظة الدقيقة والتحليلات
العميقة . رسمت البيئة العربية رسماً معبراً ،
وكشفت عن زوايا خفية لدى الفرد والمجتمع .
وما المسرحية إلا قصة تعتمد على الحوار ،
وضعت شعراً ونثراً . وعبرت عن الماضي
الدفين ، أو عن الواقع الصريح ، تنحو منحى
النقد والسخرية . أو تحمل راية الإصلاح
وال تجديد . وفي الأدب العربي المعاصر قصص
ومسرحيات لا تقل عن نظائرها في الآداب
العالمية ، وترجم قدر منها إلى عدة لغات .
والسيرة معروفة في الأدب العربي من قديم ،
وقد نحت اليوم منحى جديداً ، وأجملها
السيرة الذاتية التي تكشف عن أعماق النفس
وتسجل اعترفات أخاذة ، وتوضح بعض
معالم التاريخ . ونعتقد أن في كل هذا ما يبين كيف
تطور الأدب العربي المعاصر : بدأ بالتقليد ،
ثم انتقل إلى تفاعل بين القديم والجديد ،
وانتهى أخيراً إلى مرحلة اكتملت فيها
شخصيته واستقامت معالمه ، واتضح استقلاله .

٤ - والفن والأدب مرتبطان ومتعاونان .
وقد عرف العالم العربى الفن من قديم . وربما
اجتمعت فى بلاد واحد فنون متلاحمة ،
فعرفت مصر الفن الفرعونى والرومانى ،
وعرفت الفن القبطى والإسلامى . ولمصر
الحديثة سبق فى الإنتاج الفنى ، فظهرت فيها
الفنون التشكيلية فى عهد إسماعيل (١٨٦٣ -
١٨٧٩) ، وأنتج بعض الفنانين الفرنسيين
لوحات رائعة تمثل الحياة الشعبية فى مصر
إبان القرن التاسع عشر . وتلاها فى القرن
العشرين إنتاج لا يقل عنها روعة ، وقد
اضطلع به المصريون أنفسهم . وإلى جانب
التصوير غنى بالنحت كذلك ، واستعادت
مصر شيئاً من فنها الفرعونى القديم .
وللفنانين المصريين معارضهم التى أقاموها
داخل البلاد وخارجها ، وأحرزوا قصب
السبق فى بعض المعارض الدولية ، وفى
العواصم الكبرى ، وبخاصة القاهرة
والإسكندرية ، متاحف ومراسم متعددة ،
وبدئ فى إنشاء المعاهد الفنية منذ عهد مبكر :
فتفتحت «مدرسة الفنون الجميلة» فى القاهرة
أبوابها عام ١٩٠٨ ، وتلتها معاهد أخرى ،
ولم تتخلف المرأة فى ممارسة الفنون الجميلة ،
وفى عام ١٩٤٠ أنشئ أول معهد عال
لمعلمات الفنون الجميلة . وفكر أيضاً فى إنشاء
جمعيات فنية ، وأولها «جمعية محبي
الفنون الجميلة» التى تأسست عام ١٩٢٢ .

ولا تزال تؤدى رسالتها إلى اليوم . وفى
البلاد العربية الأخرى خطوات فى سبيل الفن
التشكيلى ، بعضها بادئ ووصل بعضها
الأخر إلى درجة لا بأس بها . وفى التاريخ .
ومناظر الطبيعة الحية ، والأحداث السياسية
الكبرى غذاء مستمر لفنانى العرب شرقاً
وغرباً .

٥ - ومن الفنون العربية : الموسيقى
والغناء ، ولهما تاريخ طويل يرجع إلى
العصر الجاهلى ، يسير بسير الحضارة .
وقد ازدهرت الموسيقى العربية فى العصر
العباسى ازدهاراً كبيراً ، فأخذت
عن الفرس واليونان ما أخذت ، وأبدعت
تحت تأثير الحضارة والمدنية ما أبدعت ،
وكان لها رجالها البارزون من موسيقيين
ومغنين . ولم يقنع العرب والمسلمون فى
الموسيقى بالتطبيق والعمل ، بل أضافوا إليه
البحث والنظر ، فكتبوا فى عالم الموسيقى
وألفوا ، كانت لهم فيه آراء ونظريات .
ثم عدا الزمان على هذه النهضة الموسيقية ،
وتوقف أو كادت مع توقف مظاهر
الحضارة العربية فى عصور الظلمة والانحطاط :
ويوم أن استيقظ العرب استيقظت معهم
فنونهم ، فأخذوا يحيون موسيقاهم
بألحانها وأنغامها ، بمقاماتها وضروبها ،
بموشحاتها وقصائدها . وقد رغب محمد
على فى أن يربى جنوده تربية موسيقية ،

٦- والعمارة من الفنون التي تأثرت بالنهضة الحديثة ، وكان طابعها أن يتجه محمد علي في مصر نحو تركيا أو نحو أوروبا ليأخذ عنها مظاهر الحضارة وال عمران . فاستقدم المهندسين والفنيين الأوروبيين لإنشاء القناطر ودور الصناعة وأحواض السفن ، وعنى خلفاؤه بتخطيط المدن وتشيد القصور على مقربة من مجرى ماء ، على نحو ما حدث في الإسكندرية وباريس . وانصب العمران في القرن التاسع عشر على القاهرة والإسكندرية بوجه خاص ، وكان حظ القاهرة أعظم . فأنشئ فيها مسجد محمد علي الشهير بالقلعة ، وقصر عابدين ، وخططت شوارع جديدة ، وبنيت دار الأوبرا التي عمرت نحو قرن والتمهها الحريق أخيرا ، وأسس « كوبري » قصر النيل . وفي الإسكندرية خطط بعض الشوارع والميادين وأنشئت قصور أهمها رأس التين والمنزة . ولم يلزم في ذلك كله طراز خاص ، فجمع بين الكلاسيكي والقوطي ، بين الفرعوني والإسلامي ، في شيء من التلفيق والتوفيق . وفي القرن العشرين امتد العمران إلى عواصم أخرى شمالا وجنوبا ، واتسعت آفاقه . وأنشئت مدرسة المهندسخانة لتخريج مهندسين مصريين ، وأوفد عدد منهم إلى أوروبا وأمريكا ، وحل المهندس المصري محل المهندس الأجنبي . وازداد اختلاط الطرز بعضها ببعض ، لاسيما وقد

فغنى بالموسيقى العسكرية ، معولا على المعزوفات التركية ، واستحدث فنا موسيقيا شبه تركي . بيد أن هذه المعزوفات التركية ، هي التي وجهت الأنظار من جديد نحو الموسيقى العربية ، وحظيت مصر بمجموعة من كبار الفنانين الذين حاولوا إحياء هذه الموسيقى العربية وتطويرها ، أمثال عبده الحامولي (١٩٠١) ، ومحمد عثمان (١٩٠٠) . وأسهم المسرح الغنائي بمصر في النهضة الموسيقية المعاصرة ، وعلى رأسه سلامة حجازي (١٩١٧) . وجاءت السينما والإذاعة : المسموعة والمرئية ، ففتحت أمام الموسيقى ميادين جديدة : وعاونت على تربية الشعب تربية موسيقية ، وأفسحت السبيل للمؤلفين والملحنين والمغنين . ودفعت أم كلثوم (١٩٧٥) الغناء العربي دفعة قوية كان لها صداها في الشرق والغرب . ومنذ أوائل هذا القرن أخذت البلاد العربية عامة تتعهد فنها الموسيقي ، ويحاول شمال إفريقيا جاهدا أن يعي الموسيقى الأندلسية ، وفي المشرق العربي نغمات وأصوات عربية أصيلة . وعقدت للموسيقى مؤتمرات ، وأنشئت معاهد متخصصة ، وأرسلت بعثات إلى أوروبا لاستكمال الدراسة الموسيقية . وبذلت جهود في مزج الفن العربي بالفن الأوربي ، فعرفت السمفونية ، وفرق الاستعراض . ولا يزال للموسيقى العربية طلابها وعشاقها .

وبدأت تظهر فيه أخيرا ناطحات السحاب ،
وعولت في كثير من إنشاءاتها ، وبخاصة
في المشرق ، على المهندسين المصريين ،
ولم يبق للفن الإسلامى مجال يذكر ،
اللهم إلا في بناء بعض المساجد والمعاهد
والأضرحة ، أو في ترميم بعض الآثار
القديمة ، ويرجع ذلك في الغالب إلى
زيادة تكاليفه ، وصعوبة صيانته وتعهده.
(يتبع) .

ابراهيم مذكور
رئيس المجمع

ضعفت في أوروبا نفسها روح الاستمساك
بالطراز الكلاسيكى . وأصبحت الخطوط
المستقيمة الرمز السائد ، وغزت ناطحات
السحاب القاهرة والإسكندرية ، كما
غزت في أوروبا عواصم أخرى كانت
أميل إلى المحافظة . وسارت العمارة في
الأقطار العربية سيرها في مصر . وإن
تأخر تطورها بعض الوقت ، فحاكت في
أوائل هذا القرن الطراز السائد في تركيا
ثم أخذت تتأثر بالطرز الأوروبية والأمريكية



بسم الله الرحمن الرحيم

السجع وتناوب الفواصل وما يكون من ذلك في القرآن الكريم

للكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

مقومات الشعر . وهى تلك الأوزان
— أو البحور المعروفة — التى جعلت لها عناوين
خاصة .

فالكلام المسجوع مقفى بما يشبه قافية
الشعر ، لكنه ينقصه وزنه . أما الكلام
المرسل غير المسجوع فهو خال من الوزن
والقافية جميعاً .

هذا وإن القرآن كلام عربى لا يخرج
عن نطاق تلك الأنواع ، ولا يصح أن يقال
إنه يمكن أن يجانبها جميعها .

وإذا فأتى شىء من تلك الأنواع يمكن
أن يقال إنه أسلوب القرآن الكريم أو يكون
قد وقع فى أسلوبه ؟

وجواب ذلك هو أن القرآن ليس
بشعر ، ولا ينبغى أن يوصف شىء منه
بأنه من الشعر ، وهذه حقيقة لا شك
فيها ولا شبهة .

الكلام من حيث نظمه
إلى ثلاثة أنواع :

يسجع

شعر ، وسجع . وكلام مرسل .
وإن شئت قلت : هو — من حيث
النظم — نوعان أصليان ، يندرج تحت أحدهما
قسمان فرعيان : النوع الأول
الشعر ، والنوع الثانى النثر
ويندرج تحت النثر فرعان : هما السجع
والكلام المرسل .

ويمتاز الشعر عن النثر بفرعيه بأوزانه
الخاصة ، وبحوره وتفاعيله المعروفة .

أما السجع فإنه — ينفصل عن قسميه
« النثر غير المسجوع » بالتقنية ، وهى أن
تكون الفقرة من الكلام منتهية بمقطع تنهى
به فقرة بأخرى أو عدة فقرات .

والكلام المسجوع أى المقفى لا يدخل
هذه التقنية فى نطاق الشعر ، لأنه تعوزه

لكن هل يمكن أن يحكم بأنه نحال أيضاً من التفتية ، وأنه ليس فيه شيء من النثر المسجوع ؟ وإذا كان الأمر كذلك فماذا يقال في آيات كثيرة جداً من سور كثيرة أيضاً من القصار وغير القصار قد ختمت بنواصل متناسبة لا تختلف في شيء عن تفتية السجع ؟

إنه إذا كان من الحقائق التي لا شك فيها ولا شبهة أن القرآن ليس شعراً وليس فيه ما قصاد وصله بشيء من موازين الشعر فإن من الحقائق التي لا شك فيها ولا شبهة أيضاً أن كثيراً من السور القرآنية قد بنيت آياتها كلها أو أغلبها على تناسب الفواصل . وإذا فالقرآن في أسلوبه العام — فيما عدا تلك السور والآيات ذات الفواصل المتناسبة — هو من الكلام المرسل .

هذا ، والفواصل في القرآن قد تكون من نوع واحد من أنواع مختلفة :

١- فسورة الضحى : قوله تعالى : (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى والآخرى نعيمك من الأولى) قد بنيت في أغلب آياتها على فاصلة الألف . وهى من قصار السور .

٢- وكذلك سورة « طه » — وهى من السور المتوسطة بين الطوال والقصار — قد جاءت آياتها أغلبها على فاصلة الألف : (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ؛ إلا لكبرة لمن يخشى تنزيلاً ممن خلق الأرض

والسموات العلى ؛ الرحمن على العرش استوى ؛ له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) .

ومن السورة نفسها قوله تعالى : (إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى . قال فن ربكما يا موسى . قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الأولى . قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) .

وقد تخرج مجموعة من الآيات عن الفاصلة الغالبة إلى فاصلة أخرى . كما جاء في هذه السورة أيضاً في قوله تعالى :

(قال رب اشرح لى صدرى . ويسر لى أمري : واحلل عقدة من لساني ؛ ينقهوا قولى ؛ واجعل لى وزيراً من أهلى ، هارون أخى . اشدد به أزرى ، وأشركه فى أمري) .

وعقب هذه الآيات نجد مجموعة ثالثة من ثلاث آيات ختمت بفاصلة غير ما ختمت به المجموعتان الأولىان ، وذلك قوله تعالى : (كى نسبحك كثيراً . ونذكرك كثيراً ، إنك كنت بنا بصيراً) . ثم تعود السورة إلى الفاصلة الغالبة فاصلة الألف .

٣- وكذلك سورة النجم . أغلب آياتها على فاصلة الألف : (والنجم إذا هوى . ناضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو ميرة فاستوى

وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان
قاب قوسين أو أدنى .

وهكذا إلى قرب ختام السورة فتخرج
الآيات إلى فاصلة في مجموعة من آيتين ؛
وذلك في قوله تعالى : (أَزِفَتِ الْآزِفَةُ .
ليس لها من دون الله كاشفة) ؛ ثم إلى
فاصلة ثالثة في مجموعة ثالثة في قوله
تعالى : (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ،
وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ؛ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ)

٤ - وكذلك الحال في سورة مريم
والفرقان ، والصفافات ، والملوك ، والقلم ،
والحاقة ، والتكوير ، والانشقاق وكثير
غيرها .

د - بل إن في القرآن سوراً قد بنيت
آياتها جميعها من أولها إلى آخرها على نوع
واحد من الفواصل لم تخرج عنه إلى غيره ؛
(أ) وذلك مثل سور « الشمس » :
(والشمس وضحاها . والقمر إذا تలాها
والنهار إذا جلاها . والليل إذا يغشاها .
والسماء وما بناها . والأرض وما طحاها)
وهكذا إلى آخر السورة .

(ب) ومثل سورة « الليل » : (والليل
إذا يغشى . والنهار إذا تجلّى . وما خلق
الذكر والأنثى . إنَّ سعيكم لَشَتَّى) .
(ج) وكما في سورة القمر التي هي أكبر
من هاتين السورتين :

(اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن
يروا آية يعرضوا ويقرئوا سحر مستمر .

وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر) .
وهكذا قد بنيت السورة كلها على الراء .

إنه لاشك أن ذلك الذي قدمنا له
تلك الأمثلة ليس من نوع الشعر المعهود ؛
ثم لاشك أيضاً أنه ليس من قسم النثر
المرسل الذي لم يُبَيَّنْ على تقفية وتناسب
فواصل ؛ فلم يبق إلا القسم الآخر الذي
هو النثر المسجوع .

فإذا لم تكن تلك الآيات والصور من
طبيعة السجع فمن أى طبيعة تكون ؟

هنا يقول بعض الباحثين - مستنداً إلى
ما هو مقرر من انحصار الكلام في تلك
الأنواع الثلاثة - يقول ولا يرى في ذلك
شيئاً من الخرج - إن ذلك الذي ذكر
من الآيات والصور المحتملة على تناسب
الفواصل ، هو السجع بعينه في معناه
وحقيقته .

لكن فريفاً آخر من الباحثين لا يجيز أن
يقال إن القرآن فيه سجع . ولماذا ؟
هل يرون أن حقيقة السجع وماهيته
تأبى أن تنطبق على الفواصل المناسبة في
في مثل ما قدمناه من الصور والآيات ؟
وماهى هذه الحقيقة التي لا تنطبق على
تلك الفواصل ؟

إن هؤلاء المانعين الذين لا يقولون بالسجع
في القرآن لم يبينوا بياناً شافياً أصل ذلك
المنع . ولم يعمينوا النقطة التي ينفصل

عندها السجع عن تناسب الفواصل القرآنية حتى يتضح السبيل ويزول الإبهام ويستقيم الأمر في إطلاق الألفاظ على معانيها الخاصة .

إننا إذا راجعنا الكلام المسجوع الذى كان ينشئه الخطباء والكتاب فى الجاهلية أو فى صدر الإسلام أو فيما بعد ذلك . وبحثنا فيه من حيث فقراته : مقاديرها وفواصلها ، وتقارب هذه الفواصل أو تباعدها واتحادها فى الكلام الواحد أو اختلافها فإننا نستطيع أن نستخلص الأمور الآتية :

١ - إنه لم يكن حتماً أن تقوم الخطبة كلها أو الرسالة جميعها على فاصلة واحدة ، بل كان يخرج الخطيب أو الكاتب بعد عدة فقرات ينهاها على فاصلة معينة - إلى فاصلة أخرى - يبنى عليها مجموعة أخرى من الفقرات ؛ ثم قد يخرج أيضاً من الفاصلة الثانية إلى ثالثة ورابعة ، وهكذا على حسب ما يسمح به المقام .

٢ - لا يلزم فى المجموعة الثانية أو ما بعدها أن تكون عدة فقراتها مساوية لفقرات المجموعة الأولى ، فإنها قد تزيد عليها ، وقد تنقص عنها .

٣ - إن فواصل كل مجموعة من الفقرات تكون - فى أغلب الأمر - متقاربة ، إذا كانوا يمينون إلى أن تكون الفقرات قصيرة ؛ ولكن ذلك ليس معناه أن تضبط كلمات كل فقرة أو خروفاً بعدد معين تتساوى

فيه تلك الفقرات ؛ بل يكفى ألا يكون بينها فى ذلك تفاوت بين .

٤ - إن بعض من كانوا يعنون من أولئك الخطباء والكتاب بأمر السجع ويلتزمون به فى بعض خطبهم وكتبهم كثيراً ما كانوا ينظرون إلى السجع فى المقام الأول ، أما المعنى فقد كان نظرهم إليه فى الميزة الثانية .

وقد يضطرهم الشغف بالسجع والتزامه إلى تكلفات يصير بها معنى بعض الفقرات غامضاً مبهماً أو قليل الحدودى .

وهذا فى أغلب الأمر هو شأن الكلام الذى تكون العناية فيه بالمعنى وراء العناية باللفظ على حين أن الكلام الجيد هو الذى يكون فيه اللفظ تابعاً للمعنى .

٥ - إن السجع قد يطلق إطلاقاً خاصاً بدلالة المقام ومعونة القرائن على ما يكون من الكهان الذين يترجمون فيه بالغيب ويتحدثون به عن المستقبل ، يدعون به معرفة أسرار الأقدار ، ويتخذون فى ذلك وسائل من الخداع والتقوية بما يودعون أسجاعهم من الإبهام والغموض ، واستخدام الألفاظ التى تحتل أكثر من معنى .

* * *

هذه الأمور الخمسة التى قدمناها منها الثلاثة الأولى لا يثبت منها فارق ذو شأن يمكن أن يفصل بين السجع وفواصل آيات القرآن الكريم ؛ فإن من الآيات القرآنية ذات الفواصل المتناسبة ما تكون فواصله - كما علمنا -

مقاربة بسبب قصر تلك الآيات ، وذلك
كما قلنا في السجع .

ومنها ما تكون مجموعة منها على فاصلة ،
ثم تخرج مجموعة بعدها إلى فاصلة أخرى .
وقد تخرج مجموعة ثالثة إلى فاصلة ثالثة كما
هو الحال في الكلام المسجوع .

أما الأمران الأخيران فهما اللذان يصح
الفصل بهما بين السجع وفواصل آيات القرآن ؛
فإن هذه الفواصل مبرأة مما هو سبب ذم
السجع على ما أشير إليه في هذين الأمرين .

لكن قد يقال : إن المحذورات التي من
أجلها كان ذم السجع ليست ذاتية له
ولا ناشئة من طبيعته ، وإنما هي أمور
عارضية يمكن أن ينفصل عنها ويجرد منها
فلا يكون مذموماً .

فتكاف السجع - وهو الذي أشير
إليه في الأمر الرابع من الأمور الخمسة -
عيب مذموم ؛ والعناية فيه بأمر اللفظ أكثر
من الاهتمام بالمعنى حتى تجمى بعض العبارات
غامضة مبهمة أو قليلة الحدود عيب آخر
أشد من الأول وأقبح منه .

وكذلك ما أشير إليه في الأمر الخامس
من التكهن بالسجع والرجيم فيه بالغيث
وهو عيب من أشد العيب وأولاه بالذم .
اكتن ذلك كله ليس بمستحيل أن يجرد منه
الكلام ، فإنه - كما قلنا - من الصفات
العارضة وليس من الدائيات الملازمة ؛

فالسجع المتكلف وسجع الكهانة ليس شيء
منهما مذموماً من حيث إنه سجع وتنسيق
فواصل ، وإنما هو مذموم من حيث إنه تكلف
أو إسراف في التكلف ، أو من حيث
إنه تكهن بالتحدث عن المستقبل والرجم
فيه بالغيث . فهو كذب ودجل وعش
وخداع . وذلك شيء ليس من لوازم تنسيق
الكلام ومراعاة التناسب بين فواصله ، وإذا
كان الأمر كذلك فما الذي يمنع أن يقال
إن القرآن فيه سجع ؟

قد يقال هذا ، وهو كلام له في
ذاته وجهة نظر قوية .

ويمكن الجواب عنه بأن ما قدمناه
من البيان قد يتضح به سبيل القول ويتجلى
وجه الحكم فيما ينبغي أن يقال في شأن
السجع من جهة وقوعه أو عدم وقوعه
في القرآن الكريم .

وذلك أنه قد نخلص من ذلك البيان
فيما أشير إليه في الأمرين : « الرابع والخامس »
أن ذم ذلك السجع والتعبي على ما فيه من
عيب ليس لأنه مطلق سجع ، وإنما هو
لأنه سجع متكلف أو سجع كهانة .

فإذا كان الشأن الغالب فيما أثر من سجع
بعض الخطباء والكتاب الشغوفين به
والمفرطين فيه أنه مفتعل متكلف ، قد
عنوا فيه بأمر اللفظ أكثر مما عنوا بأمر
المعنى حتى جاءت بعض العبارات فيه
صوراً بغير قلب ، وقشوراً بغير لب

بعضها من مفردات الحملة مما يؤخر في بعض آخر ، مع المحافظة على المعنى وعلى قوة النظم وروعة الأسلوب ، وذلك دليل الاقتدار وآية البراعة والبلاغة .

هكذا يقول الباقلاني في «إعجاز القرآن» وهكذا ينقله السيوطي مبسوطا في كتاب «الإيمان» ؛ وهذا يرد على أنصار القول بالسجع في القرآن الكريم ، إذ قالوا: إن الدليل على وقوع السجع في القرآن ما جاءت به الآيات في الحديث عن موسى وهارون فإنه قد مضى الاتفاق على أن أن موسى أفضل من أخيه هارون ، فإذا اقترنا في الذكر كان الأصل أن يقدم موسى لكن من أجل مراعاة السجع في بعض الآيات قدم عليه هارون ؛ وذلك في قوله تعالى : (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) (٧٠ طه) فإن الفواصل في هذه الصورة مبنية على الألف .

ثم لما كانت الفواصل في آيات أخرى قد بنيت على الواو والنون أو الياء والنون قدم فيها اسم موسى على هارون . كما في قوله تعالى : (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ، قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) (٤٧ - ٤٩ الشعراء) :

هذا ما قاله أنصار السجع في القرآن ، وهو كلام قوى ووجيه .

فإنه يكون حينئذ معيبا مذموما فإذا نظر إلى هذه الحالة أمكن أن يقال إنه ينبغي ألا يطلق اسم السجع على ما يكون في القرآن الكريم من الفواصل المتناسبة تجنباً للفظ الذي ينبئ عن العيب والذم .

وكذلك ينبغي أن يتجنب إطلاق لفظ السجع على تلك الفواصل القرآنية من أجل أن الكلمة كثيراً ما تطاق على سجع الكهانة الذي لا يخلو من الخداع والتمويه والكذب .

هذا هو الذي نراه مانعاً من إطلاق لفظ السجع على فواصل القرآن الكريم . وليس المانع هو ما تدل عليه كلمة السجع من أنه قول متناسب الفواصل ، فإن تناسب الفواصل في القرآن حقيقة واقعة ، وردت وتكررت في مواطن كثيرة من سورته وآياته .

رأى الباقلاني في المسألة

القاضي أبو بكر الباقلاني ينكر ورود السجع في القرآن الكريم ، وينعى على من يقول إن القرآن فيه سجع . يشدد في الإنكار حتى يصل به ذلك إلى درجة أنه لا يرى في تناسب الفواصل الذي استفاد أمره في السور والآيات القرآنية - أنه مقصود أن يكون تناسب فواصل ؛ فهو يقول إن المقصود بذلك إنما هو إظهار وجه من وجوه الإعجاز القرآني من حيث مجيء القصة الواحدة في أساليب مختلفة ، يقدم في

فقد قدمت الأرض على السماء في هذه الآية لأنه أريد تناسب التناصلة فيها مع الفواصل الأخرى المبينة على الممزة بعد مدّة الألف .

ويجيب الباقلاني على هذا بقوله : «وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون في موضع وتأخير هارون عنه في موضع آخر لمكان السجع وتساوي مقاطع الكلام فليس بصحيح ، لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه ، وهي أن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة ، وتبين فيه البلاغة ؛ ولهذا أعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة ، تنبيهاً بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومتكرراً » . ثم قال : « فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها لإظهار الإعجاز على الطريقتين جميعاً دون السجع الذي توهموه » .

هذا هو ما أجاب به الباقلاني على ذلك الدليل القوي الذي استدل به أنصار السجع في القرآن .

وغريب جداً من الباقلاني أن ينفي أن يكون مقصوداً ذلك السجع أو تناسب الفواصل في الآيات التي تقدم فيها اسم موسى على هارون مرة وأخر عنه مرة أخرى وأن يجعل ذلك التقديم والتأخير لحض

ونحن نضيف إليه ما يزيده قوة ووجاهة ، أنه ورد في القرآن عشرات المرات ذكر الأرض مقرونة بالسماء مفردة ومجموعة ، وفي هذه المرات جميعها نجد أن السماء أو السموات مقدمة على الأرض إلا في مواضع قليلة جداً قد قدم فيها ذكر الأرض ويتجلى في موضعين وذلك من أجل تناسب الفواصل .

فن ذلك في قوله تعالى : (نزىلاً ممّن خلق الأرض والسموات العلى ؛ الرحمن على العرش استوى) (٤ ، ٥ سورة طه) . فإن فواصل السورة على الألف ؛ ومراعاة للتناسب بين هذه الفواصل قدمت الأرض على السموات التي وصفت بوصف «العلی» المختوم بالألف .

ولذلك لما انتهى هذا الاقتضاء وجاء الجميع مسرة أخصرى بين الأرض والسماء في الآية التالية للآيات السابقة مباشرة عاد الاقتران إلى أصله فقدمت السموات على الأرض : (له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) .

ومن ذلك أيضاً قوله سبحانه : (ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء ، الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء) . (٣٨ ، ٣٩ إبراهيم) .

إظهار الإعجاز^١ بتغيير النظم والأسلوب
في الحديث عن القصة الواحدة مع المحافظة
على المعنى

ولماذا تكون إرادة ذلك المعنى الذى يرجع
إلى إظهار البلاغة مانعة من أن يكون
في تلك الآيات أيضاً سجع أو تناسب
فواصل مقصود ؟

إنه لاشك في براعة القرآن وقوته في
تنويع الحديث بأساليب مختلفة عن الغرض
الواحد والمعنى الواحد^٢.

ولكن لاشك أيضاً في أن الآية التي قدم
فيها اسم هارون على موسى قد قصد فيها
القرآن أن تكون على فاصلة الألف تحقيقاً
للتناسب بينها وبين بقية الآيات ، وأنه في
الآية الأخرى التي قدم فيها موسى على هارون
قد قصد هذا التقديم مراعاة للتناسب مع
الآيات التي بنيت على فاصلة الواو والنون .
مع كون ذلك هو الأصل أيضاً.

هذا شيء لا ينبغي إنكاره ، . وإذا كان
الأمر كذلك فليس هناك ما يمنع القول
بأن تلك الآيات فيها سجع أو فيها تناسب
فواصل ؛ مع إفادة ذلك المعنى الذى هو إظهار
البلاغة ؛ وذلك على خلاف ما ذهب إليه
الباقلائي من أفراد هذا المعنى وجعله هو
المقصود وحده بالتقديم والتأخير في تلك
الآيات .

لا ، بل نحن نستطيع أن نقول : إن ذلك
التقديم والتأخير قد قصد به السجع وتناسب
الفواصل وحده . أما إظهار البلاغة والبراعة
بتنوع الحديث عن المعنى الواحد فهو فيه
وراء ذلك ؛ فإن هذا التنوع كان يمكن أن
يكون بالتقديم والتأخير في اسمى هارون
وموسى على غير الوجه الذى وردت به الآيات ؛
وذلك بأن يقدم هارون على موسى في آية
«الشعراء» حيث فواصل الآيات مختومة
بالواو والنون ، ويقدم موسى على هارون
في آية «طه» حيث الفواصل مختومة بالألف .

فالتنوع الذى يقول «الباقلائي» إنه مظهر
البلاغة كان يتحقق بهذا الوجه من التقديم
والتأخير ، ولكن كان يفوت به حسن
المقاطع وجمال الأسلوب . فالتقديم والتأخير
الذى وردت عليه الآيات القرآنية هو الذى
يحقق ذلك الحسن ، ويمكن للأسلوب جماله
وروعته .

وإذاً يكون السجع وحده أو تناسب
الفواصل وحده — على اختلاف التعبير —
هو المقصود بذلك التقديم والتأخير في آيات
هارون وموسى ، وكذا في آيات الأرض
والسماء .

ولذلك نجد موقفاً غريباً ذلك الذى يقفه
اتماضى الباقلائي في مسألة السجع أو تناسب
الفواصل في القرآن الكريم .

فبماذا يفسر موقفه هذا الذي ينكر به إنكاراً شديداً أن يكون في القرآن سجع أو تناسب فواصل؟

نظن - وليس كل الظن من الإثم - أن سبب ذلك هو الارتباط المذهبي ، وشدة التعاليق والاستمسك بما يحكى في المسألة أنه مذموب الشيخ أبي الحسن الأشعري :

نعم فقد نقل عن الشيخ - ورواه الباقلاني كتابه « إعجاز القرآن » أنه يقول بنفى السجع في القرآن الكريم - وأنه صرح بذلك في عدة مواضع من كتبه. ومن هنا أريد لهذه المسألة أن تحتل مكاناً بين المسائل التي اشتد فيها الخلاف بين الأشاعرة وغيرهم من مسائل العقائد وفلسفة الإلهيات :

والمطالع لكلمات هؤلاء الأشاعرة التي يتفنون بها وقوع السجع في القرآن الكريم إذا عمل قليلاً عن أن هذا السجع هو موضوع الحديث فإنه لا يرى إلا أنه في جو مسألة أخرى غير مسألة السجع : هي مسألة «خلق القرآن» وما جرى فيها من اختلاف القديم - الذي كان شؤماً على فريق من الناس وفتنة لآخرين.

وليس في هذا الذي نقوله شيء من المبالغة ، فهذا بعض ما يقولونه في تلك الكلمات : «هل يجوز استعمال السجع في القرآن ؟» بخلاف ، والجمهور على المنع ، لأن أصله من سجع الطير فشرف القرآن عن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل ، ولأجل تشريفه

من مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك . ولأن القرآن من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها . هذه كلماتهم . بنصها . ليست في حاجة إلى شرح أو تعليق . غير أننا نقول : إنها لم تسعد بالانتصار أو الغلبة حتى في أصل موطنها ، وهو موضوع خلق القرآن .

ثم إننا لاندري لماذا تكون مسألة السجع في القرآن محل خلاف بين العلماء ؟

شيء من إحكام النظر إلى الأمور ذاتها وتفهمها على حقيقتها . مع الإنصاف في القول والاعتدال فيه . كفيل بأن يكشف كل شبهة ، ويزيح كل لبس ، ولا يسمح في مثل هذه المسألة أن يقع فيها أدنى خلاف .

إن السجع إذا كان مقصوداً لذاته ، وكان متكلفاً عسراً ، يأتي فيه النظر إلى المعنى وراء الاهتمام باللفظ ، فإنه يكون سجعاً مذموماً مكروهاً ، ومحال أن يقع مثله في كلام الله العليم الحكيم ، وحينئذ لا يسع أحداً أن يجيز لقول به في الكتاب العزيز :

أما إذا كان سهلاً ليناً مطاوعاً . يقصد إليه مع تمام المعنى وإتقافه وإحكام روابطه واستكمال مقتضيات البلاغة فيه فإنه يكون سجعاً رائعاً وحسناً جميلاً ، لا ينبغي لأحد أن يجادل في حسنه وروعته ، وهذه هو سجع القرآن .

فسجع القرآن وتناسب فواضله مبراً من التكلف والعسر . ومبراً من أن يكون مقصوداً لذاته بحيث يكون الاهتمام به أعظم من الاهتمام بالمعنى ؛ ولذلك لا يسار إليه في القرآن من طريق لإرادة معنى بعيد الاحتمال . أو معنى يكون غيره أقرب منه وأولى بالمقام ؛ ومحال أن تستخدم في سبيله ألفاظ جوفاء أو ألفاظ ملتوية لا تستقيم في دلالتها على المعنى المراد .

وإذا كان الأمر كذلك فمن الذى ينكر أن يكون مثل هذا السجع مما يقع في الكتاب العزيز ؟

هذا — والقرآن الكريم قد يتحدث عن المغيبات ويخبر بالمكنونات التى لا سبيل أن يصل إلى علمها أحد من الناس ، ويكون هذا في آيات وفقرات مسجوعة وغير مسجوعة ، ثم إنه في حديثه وجميع إخباراته لا يقول إلا الحق ولا يخبر إلا بالصدق . وهذا أمر يجب اعتقاده والإذعان له والتسليم به ، ولا يكون مؤمناً من يشك فيه أو في شئ منه .

أما سجع الكهانة فهو السجع المذموم لما تقوم عليه من الغش والكذب والخداع . وهو رجم بالغيب الذى اختص الله به ولا يطالع عليه أحد إلا من ارتضى من رسله .

وهذا هو السجع الذى ذمّه الرسول صلى الله عليه وسلم وعاب على من تشبه بأهله . وقال لمن سجع له : «أسجعاً كسجع الكهان» ١٩

أو «أسجاعاً كسجاعة الجاهلية» ٢٠ . أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك على من فارض حكم الإسلام في وجوب المديّة على عاتق امرأة اعتدت على أخرى كانت حاملاً نألفت جنيناً ميتاً ، إذ قال ذاك الساجع : كيف ندي من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح ناستيل . أليس دمه قد يطل ؟

فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يذم السجع بإطلاق ، وإنما ذم منه ما يكون على طريقة الكهان وأهل الجاهلية ، فإنه صلى الله عليه وسلم قد أتى في بعض أقواله بالسجع القوى المستباح إذ قال : «أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام» .

أبعد هذا يصح أن يكون في مسألة وقوع لسجع في القرآن خلاف بين أشاعرة وغير أشاعرة ؟ !

إنه إذا كان الدين ينسب إليهم إنكار السجع في القرآن قصارى ما عندهم أنهم يتخرجون من إطلاق لفظ السجع على ما يكون في القرآن من تناسب فواصل . من أجل أن الكلمة تستعمل أحياناً كثيرة أو قليلة في السجع المستكره المتكلف ، أو سجع الكهنة الكذابين المخادعين ، فقد هاب الخطب ولان الصعب ، وأصبحت مسألة السجع في القرآن لا يعدو الخلاف فيها أن يكون خلافاً لفظياً أى قائماً على اختيار لفظ بدل لفظ آخر . وكفى الله المؤمنين القتال .

تناسب الفواصل في القرآن الكريم وبيان أنواعه

تناسب الفواصل في القرآن الكريم يأتي على وجوه كثيرة . أهمها مايلي :

١ - يكون بإحدى هيتين للجملة الواحدة ، أى بالتقديم والتأخير في بعض كلماتها من غير أن يزداد عليها شيء ، أو ينقص منها شيء ؛ فيتحقق التناسب المطلوب بإحدى الصورتين وترجح بذلك على الصور الأخرى ، وذلك كما في قوله تعالى : (قال فن ربكما ياموسى) (٤٩ طه)

فإنه يمكن - لأداء أصل المعنى - أن يقال : « قال ياموسى فن ربكما » ، كما قيل في آية أخرى : (قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس) (١٩ القصص) .

لكنه اختيار النظم الذى جاءت عليه الآية - مع تساوى النظمين في أداء أصل المعنى - لأنه هو الذى يكون به تناسب الفواصل المطلوب في ذلك المقام ، ومن ذلك قوله تعالى : (ونفس وماسودا . فألهمها فجورها وتقواها) (٧ ، ٨ الشمس) فإن قوله سبحانه : (فألهمها فجورها وتقواها) يمكن أن تؤدى معناه بأن يقال : « فألهمها تقواها وفجورها » . لكن قدر جرح النظم الذى جاءت عليه الآية لأنه هو الذى يتحقق به المقصود من التناسب . وفي ذلك يقول الجلال : « وأخير التقوى رعاية

لرؤوس الآى » ، ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى : (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا » (٥١ مريم) وقوله عز وجل (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا) (٥٤ مريم) وذلك أن الرسالة أخص من النبوة ، والمعهود في الكلام المرسل الذى يجمع فيه بين عام وخاص أن يقدم الأول على الثانى . لكنه قد قدم في هاتين الآيتين الخاص على العام مراعاة لتناسب الفواصل مع اتحاد المعنى ؛ فإن السورة بنيت على فاصلة الياء المشددة التى بعدها ألف : سويتا مليئا حفيئا عليا نجيا ، وهكذا :

٢ - ويكون بالاختصار في الجملة بحذف جزء معلوم حق العلم من المقام ، كما في قوله تعالى :

(قال : ربنا الذى أعطى كل شى خلقه ثم هدى) (٥٠ طه) ، فإنه إذا كان الأصل عدم الحذف وأن يقال : « قال ربنا الذى أعطى كل شى خلقه ثم هداه » فإن المعنى لا يختلف بما جاءت عليه الآية ، ثم يرجح نظمها بأنه هو الذى يتحقق به التناسب المطلوب .

ومثل ذلك قوله تعالى : (والضحى ، والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى) وقوله سبحانه : (ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) ، فإن الأصل قبل الحذف هكذا : « ما ودعك ربك وما قلاك ،

« ألم يجدك يتيماً فأواك ، ووجدك ضالاً فهداك ، ووجدك عائلاً فأغناك » :

لكنه حذف المفعول تحقيقاً لتناسب الفواصل المطلوب مع تساوى الطريقتين : « الذكر والحذف » فى الدلالة على المعنى الأصلى المقصود .

٣ - ويكون التناسب بإيثار إحدى صيغتين للفظ مع تساوى الصيغتين فى الدلالة على المعنى المراد ، كما فى قوله تعالى (مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسير) (٨ القمر) .

فإنه كان يمكن أن يقال « هذا يوم عسير » بدل « عسر » ، وهو بمعناه من غير زرق ؛ وقد جاء كذلك فى آيات أخرى مثل قوله تعالى : (فذلك يومئذ عسير . على الكافرين غير يسير) . (٩ ، ١٠ المدثر) إذ كان يتحقق التناسب هناك بين الفواصل بالصيغة الثانية : « عسير » بقوله سبحانه : (وكان يوماً على الكافرين عسير) . (٢٦ الفرقان) ، لأن ذلك يتطلبه تناسب المقصود فى هذه السورة أيضاً .

ومن ذلك قوله تعالى : (وتبتل لآله تبتلاً) (٨ المزمل) ، فإن « تبتلاً » وضعت موضع تبتلاً وقد أوثرت عليها ؛ لأن بها يتحقق تناسب الفواصل .

وفى هذا يقول الإمام الزمخشري فى الكشف : « وتبتل لآله » وانقطع لآله . ثم قال : فإن قلت : « كيف قيل

« تبتلاً » مكان « تبتلاً » ؟ قلت : لأن معنى « تبتل » بتل نفساً ، فجىء به على معناه مراعاة للفواصل .

هذا وقد قال بعض العلماء : إن من ذلك قوله تعالى : (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر) (٩ القمر) . قالوا إنه قد غيّر فيه الصوغ لتحقيق التناسب بين الفواصل ، فإن المعنى - على ما قال أولئك العلماء - أن قوم نوح كذبوه وقالوا إنه مجنون وازدجروه أى أهانوه وشتموه وتوعدوه . ولكن قيل فى الآية : « وازدجر » بالبناء للمفعول لأنه هو الذى يكون به التناسب مع دلالة المقام على الفاعل المطوى .

هكذا قالوا ، ولكن هذا ليس هو المعنى الذى ينبغى أن تحمل عليه الآية : فإن الأرجح أن الازدجار ليس من فعل قوم نوح الذين كذبوه وكفروا به ، وإنما هو مما تفعله الجن بالمجنون . فإن قوم نوح رموه بالمجنون الشديد وقالوا فى ذلك : إنه مجنون وازدجرتة الجن وتخبطته وذهبت بعقله وطار بلبه .

ولاشك أن هذا المعنى أرجح فى ذاته مما قاله أولئك العلماء ؛ فإن تخبط المجنون واضطراب نفسه ، واختلال عقله هو مما عهده أن يسند إلى الشيطان ويضاف إلى فعله ، كما قال تعالى : (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) (٢٧٥ البقرة)

وفوق أنه المعنى الراجح من حيث ذاته هو الذى تستقيم عليه بوضوح صيغة المعنى للمفعول « ازدجر » ثم يتحقق بها معه تناسب الفواصل من غير حاجة إلى أن يقال : إن الصيغة قاصحة أو حوالة من المعلوم إلى المجهول لتحقيق ذلك التناسب ؛ فإن الصيغة قد وقعت موقعها واشتهرت في الدلالة على معناه منبهة للمجهول ، وإنه المعهود أن يقال : « رجل ممسوس » ورجل مصروع ومخبول على معنى أنه مسته الشياطين وصرعه وخبلته ، فإذا قيل : « مجنون وازدجر » كان معناه ازدجرته الشياطين ، ولا يحتاج في ذلك إلى التصريح بالفاعل ، لأن متعين معلوم .

وهذا يعلم أن القرآن لا ينظر إلى تحسن اللفظ قبلما ينظر إلى إتقان المعنى .

ولا يصح أن يفهم أنه قد يسير إلى تحقيق تناسب الفواصل من طريق معنى بعيد أو معنى غيره أقرب منه .

كذلك لا يصح أن يفهم أن القرآن قد يعدل — في سبيل تحقيق التناسب بين الفواصل — عن اللفظ الصريح المعهود في الدلالة على معناه إلى لفظ غير صريح أو غير معهود كذلك ، فإن ذلك يكون تغليباً لرعاية الألفاظ على رعاية المعاني على حين أن رعاية المعاني هي التي يجب — كما قلنا — أن يكون لها في أسلوب القرآن الكريم المقام الأول .

قد يقال : إن هذا التقرير يعترضه ما جاءت عليه بعض الآيات القرآنية من مثل قوله تعالى : (وحملناه على ذات ألواح ودسر) (القمر ١٣) فإن المراد به — مر غير شك — الإخبار بأن الله تعالى قد آمن على نوح عليه السلام فحمله على « سفينة » نجاه بها من الغرق ، وأنقذه من ذلك الطوفان .

ولاشك أيضاً أن لفظ « سفينة » وهو اللفظ الصريح والمعهود القريب في الدلالة على المعنى المراد ، وهو اللفظ الموضوع لهذا المعنى في اللغة . وقد استعمله القرآن في هذا المعنى في قصة نوح ذاتها في قوله : (فأنجيناه وأصحاب السفينة) (١٥ العنكبوت) : وكذلك لفظ « الفلك » لفظ صريح وموضوع في اللغة لهذا المعنى ومعهود استعماله فيه . وقد جاء في القرآن في عدة مواضع في قصة نوح أيضاً مستعملاً في ذلك المعنى قال تعالى

(واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني الذين ظلموا إنهم مغرقون) . (هود ٣٧) « ويصنع الفلك وكلما مر عليه مائاً من قومه سخروا منه . » (هود ٣٨) .

(فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا) . (المؤمنون ٢٧) .

(فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك نقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) (المؤمنون ٢٨) .

ثم إن كلا اللفظين : «سمينة وفلك» كلمه واحده، هي بالضرورة أخصر وأوضح دلالة من الوصف بعبارة مركبة من ألفاظ ثلاثة : « ذات ألواح ودر » .

فالعدول عن اللفظ الواحد المعهود والمعنى للمعنى بوضع اللغة إلى الوصف ذى الألفاظ الثلاثة قد يظن أن فيه تغليبا . للاعتبارات اللفظية على الاعتبارات المعنوية ، وأنه قصد بذلك مجرد تحقيق التناسب بين الفواصل .

« والحواب » أنه لا يصح أن يظن في القرآن الكريم أنه قد يغلب الناحية اللفظية على الناحية المعنوية وأنه اختار التعبير عن المعنى المراد بوصف ذى ألفاظ ثلاثة بدلا من اللفظ الواحد الصريح ، وأنه فعل ذلك لتحقيق التناسب اللفظي بين الفواصل — لا يصح أن يظن ذلك ؛ فإن اختياره التعبير بالوصف، ذى الألفاظ الثلاثة قد أُريد به الإشارة إلى ناحية معنوية جديدة أن يلتفت إليها وأن تقدر قدرها في الحديث من امتنان الله تعالى على نوح عليه السلام ، وتفضله عليه بهدايته إلى صناعة الفلك ؛ فمنعه تحت عين الله وعنايته ؛ وكان ذلك هو الوسيلة الوحيدة لنجاته ونجاة من آمن به من قومه . من ذلك الطوفان العظيم ، الذى عمّ وطمّ ، وقضى على جميع القوم .

فقوله سبحانه : (وحملناه على ذات ألواح ودسر) . ليس اختياره ليحقق به تناسب الفواصل ، وإنما هو لذلك الأمر المعنوى ذى الشأن الكبير : وذلك هو بيان أن نجاة رسول الله نوح عليه السلام ومن معه من طغيان الطوفان كانت بقوة الله وقدرته وعظيم عنايته ؛ إذ حمله على « ذات ألواح ودر » ، ألواح خشبية « مربوطة » أى بخيوط من ليف أو نحوه أو موصول بعضها ببعض مسامير ، وسواء أكان هذا أم ذاك فتلك الألواح الخشبية المربوطة بخيوط أو المسمرة مسامير كانت لذلك فى غاية الضعف وما كانت ذاتها لتقوى على قطع الأمواج الهائجة ، والتغلب على أهوالها وشدائدها العاتية التماسية ، لكن عناية الله هى التى خلقت من ذلك الضعف قوة ، وجعلت تلك لأداة الهينة الضعيفة تنفذ فى تلك الأمواج وتتغلب على تلك الأهوال ، وتصل بنوح عليه السلام والمؤمنين إلى شاطئ الأمان .

وهذا المعنى لا يظهره التعبير بلفظ « فلك » ، « سفينة » وإنما يجليه تمام انتجالية ما جاءت به الآية : (وحملناه على ذات ألواح ودر) .

وقد أشار الفخر الرازى إلى ذلك فقال : قوله سبحانه : (وحملناه على ذات ألواح ودر تجري بأعيننا) ما نصّه : « أى حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه إشارة

إلى أنها كانت من ألواح مركبة موثقة
بدهس، وكان انفكاكها في غاية السهولة، ولم
يقع ، فهو بفضل الله » اهـ .

ومن هذا يتبين أن التعبير في هذه الآية
عن السفينة والفلك بالوصف ذي
الألفاظ الثلاثة قد اقتضاه النظر إلى هذا
المعنى، وليس لجرد مراعاة التناسب بين
الفواصل . ثم يأتي التناسب بين الفواصل
مراداً حتماً ومقصوداً قطعاً ، ولكن في
المرتبة الثانية بعد مراعاة ما يقتضيه المعنى
كتابياً .

آية ثانية

آية ثانية قد يعترض بها على ما قررناه
من أن القرآن لا ينظر إلى اللفظ قبل أن ينظر
إلى المعنى ، وأنه لا يستعمل لفظاً بعيد
الدلالة على المعنى المقصود ويرجحه
على اللفظ قريب الدلالة على ذلك المعنى
من أجل الوصول إلى تحقيق التناسب بين
الفواصل .

هذه الآية هي قوله تعالى : (فمن
شاء ذكره) (١٢ عبس)

وذلك أن الزمخشري في الكشاف
قد جعل الضمير المنصوب في
هذه الآية راجعاً إلى « تذكره » في قوله
سبحانه في الآية السابقة : (كلا إنها تذكره)
ثم أراد أن يسوغ عود الضمير المذكور
إلى ذلك المرجع المؤنث فقال : « وذكر »

الضمير لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ
ومعنى هذا أن القرآن قد عدل عن الضمير
المؤنث الذي مرجعه مؤنث إلى الضمير
المذكر بذلك الضرب من التأويل ؛ ليتحقق
تناسب الفواصل في هذه الآيات :

(فن شاء ذكره ، في صحف مكرمة ،
مرفوعة مطهرة ، بأيدي سفرة ، كرام
بررة ، قُتِل الإنسان ما أكفره ، من أي
شي خلقه) . وهكذا إلى عدة آيات أخرى
متناسبة الفواصل مع هذه الآيات .

وعلى هذا يكون القرآن قد رجّح النظر
إلى اللفظ على النظر إلى المعنى ، فإنه لو كان
قد راعى المعنى ولم يرجح مراعاة اللفظ
عليه لقال : « كلا إنها تذكّرة » فن شاء
ذكرها في صحف مكرمة » ، وإذا يفوت
تناسب الفواصل المطلوب .

« والجواب » : أن هذا الاعتراض لا يتم
إلا بالبناء على رأى « الزمخشري » الذي
يجعل الضمير في الآية : (فن شاء
ذكره) راجعاً إلى تذكره في الآية السابقة
وهو رأى ليس بمتعين أن يؤخذ به ، بل
هناك ما هو أجود منه ، وهو ما أشار
إليه الجلال المحلى إذ يقول في تفسير الآية
(فن شاء ذكره) : « إن المعنى حفظ
ذلك فاتعظ به » ، فهو يجعل الضمير عائداً
على مذكر هو « ذلك » المذكور .

وأصرح من هذا أن يقال : إن الضمير
عائد على القرآن ؛ وهو إن لم يجر له ذكر

في هذا المقام فهو معهود معلوم على كل حال .

ويؤيد هذا ما جاءت به الآيات التالية في قوله تعالى : (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سترة كرام بررة) فإن المعهود المعروف أن هذه أوصاف للقرآن الكريم .

النتيجة أنه لا يكون في الآية وضع ضمير المذكور موضع ضمير المؤنث ليقال : إن ذلك قد اختير لأنه يحقق تناسب الفواصل .

آية ثالثة

وآية ثالثة ، قوله تعالى : (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) . (١٣٦ الشعراء) .

تحكى هذه الآية مقالة قوم عاد التي واجهوا بها رسولهم هوداً عليه السلام ، لما أمرهم بتقوى الله ودعاهم إلى الإيمان بالله وحده وببذ الشركاء ، ووعظهم وحذرهم من سوء عاقبة العناد والكفر ، وقال لهم : (فاتقوا الله وأطيعون ، واتقوا الذي أمركم بما تعلمون أمركم بأنعام وبنين وجنات وعيون ؛ إن ، أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) . فقالوا له : (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أى لا تظن أن يكون لما تقول تأثير على نفوسنا ، ولا تطمع أن نترك ما نحن عليه إلى ذلك الذي تدعونا إليه .

« وهنا يقال : إن الأصل في المقابلة أن تكون هكذا : « قالوا سواء علينا أوعظت

أم لم تعظ ، فإن عبارة « أم لم تعظ » هي العبارة القريبة المختصرة الدالة بوضوح على نفس المعنى الذي أريد بالمقابل الوارد في الآية الكريمة وهو : (أم لم تكن من الواعظين) ، مع ما فيه من الطول ومخالفة الأصل في التعبير . فعُدول الآية عن المقابل الأصلي القريب المختصر إلى ما جاءت به لا يظهر أنه وجه إلا أن يكون هو مراعاة التناسب بين الفواصل .

« والجواب : أن المقابل الذي وردت به الآية قد تحقق به تناسب الفواصل من غير شك ، ولكن هذا التناسب لم يقصد إليه من طريق مخالفة الظاهر والعدول عن اللفظ الأصلي القريب المختصر إلى خلافه ، مع اتحاد معنى اللفظين كما يظن خطأ ؛ فإن المعنى ليس واحداً فيهما .

ذلك أن قوم هود عاينوا السلام أرادوا أن يقطعوا كل أمل له في قبولهم دعوته فقالوا : إنه يستوى عندهم أن يعظهم وأن يكون من غير الواعظين . أى وأن يكون غير أهل للوعظ أصلاً . وهذا أبان في الإقنات والإيتاس من ذلك المقابل المختصر ، وأن يقال : وعظت أم لم تعظ .

وقد نبّه الزبيشى في الكشف إلى هذا المعنى إذ يقول :

« فإن قلت لو : قيل : أوعظت أم لم تعظ كان أنخصر والمعنى واحد .

قلت : ليس المعنى بواحد . وبينهما فرق ، لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذى هو الوعد أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشرته ، فهو أبلغ فى قلة اعتمادهم بوغظه من قولك : أم لم تعظ . (تفسير الكشاف ج ٢ ص ١٢٨ ، ١٢٩) :

* * *

٤ - وما قلناه فى تلك الآية من سورة الشعراء يقال فى نظائر لها من مثل قوله تعالى : (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) (٢٧ النمل)

فإنه إذا كان مقتضى الظاهر فى المقابلة أن يقال : « سننظر أصدقت أم لم تصدق » أو « أصدقت أم كذبت » فقد عدل عنه إلى ماوردت به الآية ، وهو يدل على معنى أقوى من ذلك وأبلغ ، فإن المراد بيان أن الهدم لا يجرو على الكاذب على سليمان عليه السلام ، فيما يخبره به عن مائة سباً ، إلا إذا كان الكاذب يدناً له متأصلاً فيه ، وهذا المعنى هو الذى يفيد الصوغ الذى جاءت به الآية الكريمة : (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) ثم هو الذى يتحقق به فى المرتبة الثانية تناسب الفواصل :

وفى هذا يقول الزمخشري : « وأراد بقوله : (أصدقت أم كنت من الكاذبين) أصدقت أم كذبت إلا إن « كنت من الكاذبين » فهو أبلغ . لأنه إذا كان معروفاً

بالانحراف فى سلك الكاذبين كان كاذباً لا شبهة . وإذا كان كاذباً اتهم بالكذب فيما أخبر به ، فلم يوثق به . (تفسير الكشاف ج ٢ ص ١٤٣) .

٥ - ومن النظائر التى نخولف فيها مقتضى الظاهر لمراعاة أمر معنوى أقوى منه ، ولم تكن المخالفة فيه لمجرد السجع ومراعاة الفواصل كما يتوهم . قوله تعالى : (إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) . (الشعراء) ذلك أنه لو قيل : إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلوا لها خاضعين . لما كان هناك محل لسؤال ولا جواب ؛ لكن الآية قد وسطت الأعناق فى الحديث وأسندت إليها الخفوع لأن الخفوع له آثار تظهر فى الأعناق كالتطامن والانحناء ، كما تظهر فيها أيضاً آثار القوة والنشاط . ومن ذلك ما قيل : « وسالت بأعناق المصطفى الأباطيح » . وهنا يقال : إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يقل : فظلت أعناقهم لها خاضعة ، مع أن هذا هو الأصل والظاهر ؟ أليس العدول عنه إلى صيغة « خاضعين » يكون من أجل السجع ومراعاة الفواصل ؟ وحينئذ يحق المدح أن يقول : إن القرآن قد يعتمد على السجع ولو من طريق بعيد أو طريق غيره أقرب منه .

« والحواب » : أن إشار صيغة خاضعين - وهى جمع السلامة للعقلاء - ليس لتحقيق

يعبدون) . وقوله سبحانه : (وإياك نستعين) فإنه جعل تقديم المعمول في ذلك على العامل من أجل تحقيق التناسب بين الفواصل .

واكننا نرى أن تقديم المعمول في الآية الأولى لا ينظر إليه من أول الأمر على أنه من أجل تناسب الفواصل ، وإنما ذلك الأمر معنوي هو الاهتمام بشأن المتقدم وبيان أن محط الإنكار هو توجيه العبادة إلى الملائكة ، أما تناسب الفواصل فإنه يأتي في المرتبة الثانية .

وأما قوله سبحانه : (وإياك نستعين) فإن المقرر المعروف فيه . أن تقديم المعمول فيه على العامل إنما هو لإفادة قصر الاستعانة على الله سبحانه وتعالى ؛ فهو لتحقيق أمر معنوي قبل أن يكون لتناسب الفواصل الذي هو تحيين لفظي .

٢ - ومن الأمثلة قوله في « الخامس » : من تلك الوجوه . وهو تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة ، في قوله تعالى : (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً) فإن ذلك مبنى على أن « منشوراً » صفة ثانية للكتاب وأن الأصل في الصفة المفردة أن تتقدم على الصفة الجملة ، لكنها في الآية قد أخرجت عنها من أجل تناسب الفواصل .

واكننا نقول : إن أحسن الوجهين في الإعراب وأجودهما من حيث المعنى هو أن « منشوراً » حال من الضمير المنصوب في « يلقاه » : وذلك أنه لو كان

السجع ، وإعاحكته أن الأعناق لما وصنت بالخضوع الذي هو خاص بالعقلاء صح أن يجري عليها من أجل ذلك أحكام العملاء فجمعت جموعهم ؛ وذلك كما في قوله تعالى : (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم) ساجدين) .

أما مراعاة السجع وتناسب الفواصل فقد أتت في المرتبة الثانية ، وليست هي التي من أجلها كان العدول عن « خاضعة » إلى « خاضعين » .

نقد وتحليل

قد نقل الجلال السيوطي في كتابه « الإتيان » عن الشيخ شمس الدين ابن الصائغ الحنفى أنه جمع في كتابه : « أحكام الرأى في أحكام الآى » نحو أربعين وجهاً لتناسب الفواصل في القرآن الكريم وقد أوردتها السيوطي في كتابه مع أمثلتها . ورأينا في هذه الوجوه أن كثيراً منها لا يرجع السبب الأصلي في مجيئه على النحو الذى جاء عايه - إلى إرادة تحقيق التناسب بين الفواصل ، وإنما سبب ذلك هو النظر إلى المعنى وتحقيق ما يقتضيه من مراعاة الاعتبارات البلاغية المختلفة ثم يجيء تناسب الفواصل في المرتبة الثانية .

١ - ومن أمثلة ذلك ما قاله في الوجه الأول ، وهو تقديم المعمول على العامل ، نحو قوله تعالى : (أهولاء إياكم كانه

صفة ثانية للكتاب كما قيل ، وهي صفة مفردة شأنها أن تقدم على الصفة الجملة .
لأمكن أن يقال في غير التلاوة : « ونخرج له يوم القيامة كتاباً منشوراً يلقاه » ولا شك أن مجيء وصف : « يلقاه » هكذا في آخر الكلام يورث النظم هبوطاً ويضعف معناه ، وذلك مالا يليق أن ينفهم في القرآن الكريم . لكن النظم انتهى وجاءت به الآية الكريمة يفيد أن الإنسان حينما يعطى في الآخرة كتاب أعماله يعطاه منشوراً أو يجده منشوراً غير مطوى ، فتواجهه منه أعماله المسطرة فيه فيعرضها من غير عناء ولا تعب .

فالملاحظ في هذا أولاً هو إحكام المعنى وإتقانه ومجيئه على ما تقتضيه الاعتبارات البلاغية ، ثم يأتي الاعتبار اللفظي الذي يرجع إلى تناسب الفواصل .

٣ - ومن ذلك قوله في الوجه « العشرين » وهو الاستغناء بالإفراد عن التثنية ، في قوله تعالى : (فلا تخرجنكم من الجنة) فتشقى . ومعنى هذا أنه يريد أن يقول : إن الأصل هو « فتشتين » ولكن قيل : « فتشقى » لتناسب الفواصل .

ولكن أجود الرأي في هذا هو ما قاله أعلام المفسرين : أن الإفراد في قوله سبحانه : « فتشقى » إنما هو للدلالة على أن آدم هو الأصل فيما يجري عليه من الشقاء بسبب

خروجه من الجنة ، ثم ثبت ذلك لغيره بطريق النجاسة . وإن من الشقاء أيضاً ما يرجع إلى تحمل المناعب في تحصيل ضرورات المعيشة ، والرجال هم الأصل في ذلك لأن هذه هي أهم وظائفهم في الحياة : فهنا هو سر إفراد الضمير في الآية ، ثم نجى الاعتبار اللفظي الذي يرجع إلى تحسين الصورة أو تنعيمها بمراعاة تناسب الفواصل .

٤ - ومنها قوله في الوجه « التاسع والثلاثين » وهو الجدول عن صيغة المضى إلى صيغة الاستقبال في نحو قوله تعالى : (فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون) قال : والأصل « تقتلتم » .

ومن العجيب أن يحصر المؤلف نظره في الزاوية الضيقة ، ولا يتجه ببصيرته إلى الأفق الواسع الذي تتجلى فيه روائع الأسلوب القرآني وفخامته وأسرار بلاغته .

إن التعبير بالمضارع في ختام هذه الآية له سره وحكمته التي ترجع إلى الإخبار بالأمر على ما كانت عليه حقيقته الواقعية ، أو تقرير ما أريد به على حسب ما تقتضيه أصول البلاغة القرآنية .

أما الأول فالملاحظ فيه أن اليهود قد وقع منهم في الماضي قتل أنبيائهم ثم إن طبيعة البشر الخالصة عليهم قدورثها من بعدهم أبناءهم ، فكان المعاصرون منهم لرسول الإسلام عايه العيلة والسلام يكيّدون له ويدبرون لذاتك به ، وأصدق شاهد

على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: -
وهو في مرض موته - : « ما زالت أكلة
خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهرى »
وفي رواية : « تعاودني » .

فاليهود قتلوا الأنبياء والرسل في الماضي ،
واليهود كانوا يعملون على قتل محمد صلى الله
عليه وسلم فيما بعد ذلك ، والعبارة
التي تستقيم للدلالة على الأمرين :
« الماضي وما يراود في المستقبل » هي صيغة
الاستقبال .

وأما الأمر الثاني - وهو ما يرجع إلى
المعنى البلاغي الذي هو في أعلى مستويات
البلاغة - فهو أن التعبير بالمضارع قد أريد
به استحضار الصورة الفظيعة التي كانت من
اليهود حال ارتكابهم جرائم قتلهم أنبياءهم
وتصوير هذه الحالة البشعة في النفوس لتدرك
مدى تلك الجرائم اليهودية الشنيعة .

وهذا الاستحضار لا ينال إلا بالتعبير
بالماضي ، وإنما سبيله المضارع .

ومن ذلك قوله تعالى : (ألم تر أن
الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض
مخضرة) ؛ فقد أريد بهذا استحضار
الحالة البديعة الجميلة : حالة اخضرار الأرض
بالنبات على فور نزول المطر من السماء ،
وتصوير هذه الحالة في النفوس أحسن
تصوير .

أما بعد ، فإننا قصدنا بإيراد هذه
الأمر الأربعة مجرد التمثيل ، ولم نرد
الحصر والاستقصاء ، فإن كثيراً غير
هذه الأربعة لا يسلم فيه ما يريده مؤلف
كتاب « أحكام الرأي في أحكام الآي » . والله
أعلم

عبد الرحمن تاج

عضو المجمع الراحل

(١) الأكلة بضم الهمزة ، وهي اللقمة ، وفتح الهمزة في الحديث خطأ ، لأن الأكلة بالفتح الدرة من الأكل
والرسول صلى الله عليه وسلم لم يأكل من تلك الشاة المسمومة أكلة كاملة وإنما أخذ منها لقمة واحدة .
وتعادني بشديد الدال المضمومة بمعنى تراجعني ويعاودني ألم سمها في أوقات معلومة .

وأخيراً .. وليس آخرًا

للاستاذ علي النجدي

تُعال

من قرينه . وأما الأخير والآخر فلائهما
مادة العبارة وقوام بنيتها .

ولا يعني هنا أن نتحدث عن الأصل
الذي اشتق منه الأول ، ولا أن نورد خلاف
العلماء فيه ، لأنه لا يغير من معنى الكلمة ،
ولا يؤثر في أوجه استعمالها ، فإتكن من
الوأل ، وهى الالتجاء كما يقول بعضهم ،
أو من الأول وهو السبق أو الرجوع كما
يقول بعض آخر ، أو من الوول ، وهو مادة
مهملة كما يقول بعض ثالث ، لأنهم —
مع هذا الخلاف — يرجعون بها آخر
الأمر إلى الابتداء والسبق .

وإنما الذى يعنينا هو معناها وأوجه استعمالها
فى الكلام . فأما معناها فنفيض الآخر كما تقول
المعاجم ، وأما أوجه استعمالها فثلاثة : أحدها
أن تكون وصفاً بمعنى أسبق ، فتوحدى
معنى اسم التفضيل ، وتعامل معاملة ،
وتتصرف فى الأساليب تصرفه ، فذكرت
بلفظ الإفراد والتذكير لإضافتها إلى
نكرة كما فى قوله تعالى : (ولا تكونوا أول

هذه العبارة كثيراً فى

لغة العصر ، يريد بها

قائلها أنه بلغ من كلامه أرباباً . وأنه
موشك أن يسكت عنده ، ويجتزئ به ،
وإن كان لا يزال للكلام بقية ، وفى
الحال سعة له . ولا نعرف لهذه العبارة أولاً
فى قديم ، ولا نجد لها ذكراً فى أثر . وأكبر
الظن أنها وليدة هذا العصر ، فيه استحدثت
وعلى عينه ترعرعت . وليس يسع الباحث
حين يريد أن ينظر فيها ليعرف : أهى
صحيحة أم بها شئ من دخل ، إلا أن
يسأل بادى الرأى : ما المراد بكلمتى
الأخير والآخر هنا ؟ وماذا عسى أن يكون
بينهما من فرق ؟ أولاً بنقضى الجمع بينهما
فى العبارة إلى شئ من خلف أو تناكر ؟

وتتضمننا الإجابة عن هذه الأسئلة أن
ننظر فى معنى كل من : الأول ، والأخير
والآخر . أما الأول فالأنه كثيراً ما يذكر
مقابلاً للأخير تارة ، وللآخر أخرى .
فالبحث فى معناه يساعد على تعيين معنى كل

كافريه^(١) . وذكرت مطابقة للوصوف لاقتربها بأل في قوله قوله تعالى : (إن هي إلا موتتنا الأولى)^(٢) ، وقوله عز اسمه : (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون)^(٣)

والوجه الآخر أن تكون وصفا أيضا ، ولكن مع الدلالة على معنى الزمان ، فيكون حكمها هنا كحكمها فيها سبق ، إلا أنها إذا أضيفت جاز حذف المضاف إليه : فتبنى حينئذ على الضم كقبل وبعدهما في بيت معن بن أوس :

لممرك ما أدري وإني لأوجل
على أينما تمدو المنية أول ؟

فالمنية : ما أدري على أينما تمدو المنية في أسبق الزمنين : أزمن موت الشاعر أم زمن موت صاحبه ؟

والوجه الثالث أن تغلر من معنى الوصف . وتخلص لمعنى الاسم . فتعامل كسائر الأسماء « نحو قولهم : مارأيت له أولا ولا آخر ، أى قدما ولاحديثا ويعنيها هنا الوجهان : الأول والثالث ، لصلتهما بالقضية .

أما الأخير والآخر فهذه : خلاصة ما جاء عنهما في الأساس ، والمصباح واللسان والتاج :

(١) سورة البقرة : ٤١

(٢) سورة الدخان : ٢٥

(٣) سورة الإسراء : ٥٩

الأخير مثال كريم ، والآخر على فاعل : خلاف الأول . والناس يرذلون عن آخر . فآخر . قال الليث : الآخر والآخر : تقيض المتقدم والمتقدمة ولقيته أخيرا ، وجاء أخر . بضمتين . وأخيرا . أى آخر كل شيء . والآخر . وزان فرح بمعنى المطرود المبعد يقال : أبعد الله تعالى الآخر . أى من غاب وبعد حكما قال ابن شميل : الآخر : المؤخر المطروح . وقال شمر : أراهم أرادوا الأخير ، فأندروا الياء . يتبين من هذه النصوص أن كلا من الأخير والآخر يستعمل تارة بمعنى المتناهي الذى لا شيء بعده ، وتارة بمعنى المؤخر المطروح يدل لذلك مقابلتهم بالأول ، وقولهم : إنهما خلافة . إذن فحيثما يجتمع أحدهما بالأول فإنه يدل على تقيض معناه . وقد سبق أن الأول بجىء أحيانا بمعنى الأسبق على سبيل التفصيل ، وأحيانا بمعنى السابق بلا تفصيل فى معناه .

وقد جاء بمعنى الأسبق ، أى الذى ليس قبله شيء ، وجاء الآخر معه بمعنى المتناهي أى الذى ليس بعده شيء فى قوله تعالى : (هو الأول والآخر) ، وفى قول النابغة الشيباني :

هو الباطن الرب اللطيف مكانه
وأول شيء ربنا ثم الآخر

وجاء بمعنى السابق ، أى المتقدم ، وجاء معه الآخر بمعنى المتأخر أى خلاف المتقدم فى قول الإمام على رضى الله عنه : « الحمد لله الذى لم يسبق له حال فيكون أولا قبل أن يكون آخر » وفى قولهم كما جاء فى اللسان — ما رأيت له أولا ، ولا آخر ، أى قديما ولا حديثا .

وجاء الأخير بمعنى المتناهى الذى لا شئ بعده أيضا فى قول المعاجم : وجاء أخيرا ، أى آخر كل شئ وجاء بمعنى المتأخر مقابلا للأول بمعنى السابق فى قول البحتري :

قهر الدهر أولا وأخيرا

بحجا منه أول وأخير

وقول أبى العلاء المعرى :

وإني وإن كنت الأخير زمانه

لأت بما لم تستطعه الأوائل

ولا يجوز فى عبارة : وأخيرا وليس

آخر ، أن يكون اللفظان معا بمعنى المتناهى ولا بمعنى المتأخر لأن أولهما مثبت ، والآخر منقضى ، فإن اتحدا معنى كان أول العبارة مناقضا لآخرها . ويقضى المقام الذى تستعمل العبارة فيه أن يكون أخيرا فيها بمعنى متأخر ، وأن يكون الآخر بمعنى المتناهى .

وإذا يكون المعنى فى نحو قولنا : وأخيرا

وليس آخر ، أرى كذا — هو : وأرى

رأيا أخيرا ، أى متأخرا فى الذكر ، وليس

هو بآخر كلامى ولا ختامه ، ويكون أخيرا

مفعولا مطلقا صفة لمصدر أرى ،

وناصبه الفعل أرى ، أو ما يخلفه

التعبير .

وإذا تكون هذه العبارة سليمة ، تؤدي

معناها المراد أداء صحيحا ، لاشائبة فيه

ولا دخل .^١

على النجدي ناصف

عضو المجمع

الحركة الانصارية الأضرية في نظام الشعر العربي للأستاذ أنيس المقدسي

توطئة

إلى ذلك من أغراض الشعر القديمة المعروفة . وسواء أكانت هذه المقدمة غزلية أو غير غزلية فإنها كانت بوجه عام تعتبر من لوازم القصيدة . ويندر عند القدماء أن تجد قصيدة : بتراء لا مقدمة لها تمهيد لغرضها الرئيسي بالوصف الغزلي أو الوقوف على الطلول . وقد حاول بعضهم كتابي نواس في صدر الخلافة العباسية أن يُحوّل الشعر في زمانه عن هذه الطريقة المتبعة ؛ داعياً الشعر إلى الكف عن الوقوف على الطلول والتعلق بوصف البادية وأحوال سكانها ، فكان له كثير من مثل قوله :

دع الأطلال تسفيها الجنوب
وتبكي عهد جدتها المخطوب

مرّ الشعر العربي عبر أدوار تاريخية شتى ، وفي بيئات جغرافية واجتماعية مختلفة . إلا أنه على العموم ظل محافظاً على نمط واحد من التعبير اللغوي هو نظام القصيدة ذات الأبيات الفردية المتقفاة الجارية على روى واحد . وقد كان من خصائص هذا النظام أن تستهل القصيدة بمقدمة (غزلية في الغالب) يقف فيها الشاعر على ربوع أحبته باكياً خلوها منهم ، شاكياً ما يقاميه من الوجد بهم وآلم البعاد عنهم ، وقد يقتصر ذلك بوصف ماشاهده أو عاناه في طريقه إليهم ، ثم يخلص إلى غرض في نفسه من مدح أو هجاء أو رثاء أو فخر أو حماسة ، وما

ونخل لراكب الوجناء أرضاً
تحت بها النجيب والنجيب
ولا تأخذ عن الأعراب لهوا
ولاعيا فعيمشهم جديب

ولكن أبا نواس لم يُفلح في محاولته .
ولا نحسبه كما قد يذهب إليه بعضهم
أنه كان يرمى إلى إحداث - حركة
تجديدية في نظام الشعر ، وإنما هي
نفثة منه كان يكثُر ترديدها في
خمرياته . مقابلاً فيها بين شطف البيئة
البدوية وشقاء سكانها ، وطيب
البيئة الحضرية كما عرفها في بغداد
بين مجالسها وملاهيها . فلا غرابة أن
نسمعه ينادى بشعراء الطلول والظعائن
فيقول :

لأجفّ دمع الذي يبكي على حَجَرٍ
ولاصفا قلب من يصبو إلى وَتِدٍ

كم بين ناعت خمر في دساكرها
وبين بالكِ على نُؤى ومُنْتَضِدٍ
لا لم يقصد بهذه النفثات النّواسية ،
إحداث حركة لتطوير النظام الشعري .

على أن ذلك لا يعنى أن هذا النظام جسد
على ما كان عليه منذ أيام الجاهلية فلم
يطرأ عليه تغير يذكر ، ذلك بأن
ناموس التطور العام لا يقف عمله عند
حد زمني وإن تباطأ أو خفى إلى حين .
فإننا لانكاد نصل إلى العصر العباسي
شلا حتى نرى لتطور الشعر آثارا
ظاهرة - منها ما يرجع إلى الشكل أو
البناء الخارجي ، ومنها ما يرجع إلى
المضمون أو البناء المعنوي .

فمن حيث الشكل الخارجي ما يلاحظ
من محاولة بعضهم إضافة أبحر جديدة
إلى الأبحر الستة عشر المعروفة ، كتلك
التي سمّوها المتشد ، والمنسرد ، والمضطرد
والممتد ، والمتوفر ، والمستطيل وسواها .
ولكنها لم تلبث أن أهملت ودخلت في
خبر كان . ومن التطور الشكلي ما ظهر
من النظم التوشيعي في الأندلس أولاً
ثم في سائر الأمصار العربية وقد عايش
التوشيع القصيدة التقليدية وصحبها

(١) الوجناء من صفات الناقة وكذلك النجيب .

طوال الأجيال ؛ على أن التخصيصة : ظلت حتى الآن أشيع منه عند أكثر الشعراء .

أما تطوّر المضمون الشعري فيتناول معاني الشعر وأغراضه ، وعرضها في صور فنية متعة للنفس . والتصوير الفني هو عنصر طبيعي في الشعر أيّا كان وفي أي عصر ظهر . وما كنا لنشير إليه كظاهرة من ظواهر التجديد في أدبنا خلال العصر العباسي ؛ لولا أنه اتخذ في ذلك العصر شكل مذهب فني قائم نفسه ، حتى عرف بعلم البديع في نوعيه اللفظي والمعنوي . ولا ينكر ما كان له من أثر على أيدي ذوي المواهب الشعرية العالية في تحسين الديباجة الشعرية . وإنما جنى عليه سوادهم من الذين جعلوه غاية مطلوبة لنفسها فأفسدوه حتى تبدى بتصنعهم وتكلفهم إياه ؛ فتحول إلى زخارف فارغة وألاعيب كلامية لا طائل نحتها :

لا تَجرَمُ كان العصر العباسي عصرًا ذهبيًا للشعر العربي ، فقد امتد نحو خمسة قرون نبغ خلالها ألام الشعر الذين نفاخر بتراثهم ، ولا نزال نهتز

طربًا لروعة أفوالهم نرددها ونهم بدراستها ، برغم أن الكثير منها كان ينظم . لأغراض لا صلة لها بحياتنا ؛ وفي أجواء حضارية مختلفة عن أجوائنا . إلا أنه عصر فيه بلغت لغتنا العربية أوج مجدها بما قدمته للفكر البشري من نجوم سطعت في تاريخه . وإذا كانت الشعوب العربية خلاله وما بعده قد هبطت من مكانتها السياسية وفقدت سيادتها القومية فإن لغتها فيه ظلت لغة العلم والحضارة ، بل تجاوزته إلى عهود تالية .

ومعلوم أن ما طرأ على العرب من خطوط وتقلبات سياسية ؛ بعد ازدهار حضارتهم خلال العصر المذكور ، قد كان له تأثير بالغ في حياتهم الأدبية ، فالمد الشعري الذي تعاضم على أيدي نوابغ شعرائهم حتى [أواخره] أخذ يتراجع بعده .

وما زال في تراجع مستمر حتى دخل الشعر العربي في دور طويل من الانحطاط ؛ ففقد حيويته وخبأ نوره ، ولم يُتج له الخروج من ظلماته إلا بعد أن بزغت على العالم العربي منذ منتصف القرن

الماضى أشعة حضارة جديدة . وهكذا
أخذ يتدرج في سبيل التجدد والتطور
حتى باغ ما بلغه في وقتنا الحاضر . وقد
تم ذلك تدريجاً ، وعبر مراحل يتعذر
فصل الواحدة عن الأخرى منها بحدود
زمنية واضحة ، إذ هي من حيث الزمن
متداخلة الجوانب بل منعصرة أحياناً .
على أن لكل منها خصائص تميزها .
وبحسب هذه الخصائص نشأتها هنا
كما يلي :

الأولى : مرحلة اليقظة الأدبية
وأبطالها نخبة من الرواد في القرن
التاسع عشر ممن نشطوا إلى تحرير
لغة الأدب من شوائب الانحطاط ،
وتهيئتها لتكون أوفى بالتعبير عن واقع
الحياة الجديدة ، وأصلح لحمل رسالتها
الأدبية والفكرية .

الثانية : مرحلة العودة إلى الأصالة
الشعرية في عصورها القديمة الزاهية ،
وقد نمت على أيدي أعلام من الجيل
الأول في قرننا الحالى أمثال أحمد
شوقي وطبقته في مصر وبعض الأقطار
الأخرى ، ممن وطدوا هذه الأصالة ومسحوا
عليها بمسحة من جدة الحضارة الحديثة .

الثالثة : مرحلة التوجّه نحو الأدب
الغربي وما كان يسوده من نزعات شعرية
كالرومانسية والواقعية ثم الرمزية ،
مما أحدث في الشعر العربي تطوراً بيناً
وأنشأ طبقة من الشعراء الذين رفعوا
الفن الشعري الحديث إلى درجة عالية
من التجديد اللفظي والمعنوي .

الرابعة : مرحلة التنكّر للشعر التقليدي
ومثله ، والدعوة إلى انقلاب جذري في
نظامه المتوارث ، وهي المرحلة التي
جعلناها موضوع بحثنا الخاص في هذا
المقال . وسنتناول فيه الشعر الحر
الجديد من نواح ثلاث . وهي : شكله
الخارجي - تصويره الفني - أبعاده
المعنوية . وللتمييز بينه وبين الشعر
المحافظ على الأصول القديمة في بحثنا
سنكتفي بإطلاق اسم الشعر الحر الجديد
عليه ، كما سنطلق على النوع الآخر اسم
« الشعر الأصيل » أو الأصولي . ويلاحظ
من استعراض هذه المراحل والنظر فيها
أن الشعر العربي قد أخذ يسير منذ
يقظته الحديثة في سبيل التجدد ،
وما زال ، حتى استطاع أن يتحرر من
قيود كلاسيكيته القديمة - قيود الأناقة

بوادر الانقلاب :

وقبل الخوض في خصائص هذا الشعر الحر الجديد الذى يبرز الآن كمنافس شديد للشعر الرومانسى فى قرننا العشرين ، نرى من المفيد أن نرجع قليلا إلى الوراء لنرى مظاهر من بوادره قبل منتصف هذا القرن . نذكر من ذلك على سبيل المثال بعض محاولات قام بها نخبة من الحريصين على التجديد فى الشعر عن طريق تحريره من أحكام العروض وإرساله نفثات عاطفية ، طليقة من كل قيد تقتضيه الأوزان التقليدية وقواعد النظم . ومن رواد هذا النظم الحر أمين الريحاني ، فله فى الجزء الثانى من ريجانيتها أكثر من عشرين قطعة تجرى هذا المجرى كقوله من نشيد الثورة حيث تشتد حرارة العاطفة ويكثر ترديد القوافى :

هى الثورة ووجهها العبوس الرهيب
ألوية كالشفيق تخرج تُشير البعيد
تشير القريب
وطبول تردد صدى نشيد عجيب

الصناعية - من محسنات بديعية يتكلفها وأغراض تقليدية يتمسك بها . وإذا هو - ولم يكد ينطوى القرن الماضى - قد دخل فى طور جديد من حياته هو طور الرومانسية (الرومانتيكية) التى تسربت إليه مع ما تسرب من آثار الحضارة الغربية حاملةً إليه الحرية الشخصية فى النظم ، والاندفاع فى سبيل الابتداع فجرى بملء عواطفه ينشد أناشيد الحب والجمال وما يصحبها من آلام وآمال ، تارة منطويا على نفسه هائماً بين مفاتن الطبيعة ، وطورا ناظرا فى حياة الإنسان وما يتطلع إليه من مُثلٍ عليا تنير لها طريق السعادة على الأرض .

وظلت الرومانسية بما تمتاز به من حزية ضيقة فى أساليب النظم وسهولة التعبير ، وابتداعية فى الأغراض والمواضيع ، المذهب الشعرى العام فى عصرنا الحاضر حتى حدثت فى هذه الحقبة الأخيرة انتفاضة أخرى كانت حربا على الرومانسية تتهمها بالميوعة اللفظية السطحية المعنوية والتهافت العاطفى . تلك هى الحركة الرمزية التى تعدّ من أركان الشعر الحر الجديد ، وهو المحور الذى يدور عليه كلامنا فى الفصول التالية .

وأبواقٌ تنادى كلٌّ سميع مجيب
وشررٌ عيون القوم يرمى باللهيب
ونارٌ تسأل: هل لمن مزيد ؟
وسيف يجيب وهول يشيب
ويـلـ يومئذ للظالمين
ويل لهم من كل مرید مهين
طالبٌ للحق مديـن
ويـلـ للمستعزين والمستأمنين
هي سماعه للظالمين

وعلى هذا النسق العاطفي قوله
في مرثاة يصنف فيها موت ملك
العراق فيصل الأول ، وهذا القسم
الأول منها:

خلق النسر في الفضياء بعيدا
رجع النسر في الفضياء شهيدا
شهيدا يكفذه السمحـباب
شهيدا تشيعه النجـوم
شهيدا نعته شمس الضحى
شهيدا حملته أكف السما
فكان علياً وكان حميـدا
وأكثر ما جاء له من هذا القبيل نفثات
خطابية عاطفية يكثر فيها ترديد
القوافي والألفاظ ، بطريقة درامية

مشيرة ، وقد تبعه في هذا الطريق
كثيرون ومنهم من كان أكثر منه
اقترابا إلى النظم الشعري كقول
حبیب اسطفان في قطعة خماسية
الأدوار يصنف فيها ماورد في الأسطورة
الفينيقية من مصرع الإله أودونيس
على بعض جبال لبنان ونوح حبيبته
(الزهرة) عليه ، وهي طويلة
نشبت منها هنا هذه الأدوار الثلاثة
في وصفه ماأصاب (الزهرة) من لوعة
وشقاء عندما شاهدت حبيبها
(أودونيس) مضرجاً بدمائه بعد أن صرعه
وحش ضار هصور هناك .

أواه على أودونيس كيف يجر على
الصخور بصيغها دمه الجارى من أعضائه
الناعمات . هاهو في الوادى يفترسه
الحيوان الهصور أواه ، أودونيس قد مات
وأسرعت إليها الإلهات فدهاها الصياح
إلهات الأشجار والأنهار والربى والوديان
لاطمات الخدود رافعات العويل والنواح .
أباكيات بأشجي الألحان
والثفن حولها ينحن معها على الحبيب
يا أودونيس كيف مدت إلى الإله يد الحمام ؟
يا أودونيس ، كيف ذبل غصنك الرطيب
ويبس زهره البسام ؟

فترى في أدوار هذه القصيدة نظاماً ذا ترتيب شعري وانسجام إيقاعي في الأسطر والقوافي ، ولكن مع عدم تقييد بتفاعيل مضبوطة ، كما في الشعر الأصيل .

ومن طلاب التجديد من انبعثت خواطره وعواطفه الشعرية في شكل نثري ، كما ترى في كثير من أقوال جبران فجاءت موزونة الأفكار في قوافي نثرية ذات رنة موسيقية تلذ الأسماع وتطرب النفوس ، وسنرى كيف أمست هذه النماذج في الشعر الحر الجديد بعد أن اشتدت الدعوة إلى التجديد . فهذه البوادر على كثرة ما ظهر منها خلال النصف الأول من قرننا الحالى لم تشع في الأوساط الأدبية ، ولم نستطع منافسة الشعر العروضي الأصيل ، فغمرها الزمن ولم يبق منها في النفوس إلا رغبات في بعض النفوس ظلت كامنة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حين عادت إلى البروز على يد جيل جديد في شكل ثورة عارمة تحت اسم الشعر الحر . فلنتقدم الآن إلى درس هذا الشعر الجديد من نواحيه الثلاث .

(١) شكله الخارجى .

(٢) تصويره الفنى .

(٣) بعده المعنوى .

الشعر الحر في شكله الخارجى :

ليس غرضنا الآن أن نقوم بتحقيق لضبط تاريخه ومعرفة كيف نشأ ، ومن كان رائده الأول . فلنترك ذلك للحريصين على هذه الناحية من دراسته .

يكفينا هنا أن نقرر أن الأحداث المستجدة في الحياة لا تكون في الغالب إلا نتيجة عمل تطورى مستمر وإن كان لا يبدو دائماً للعيان . وقد ذكرنا سابقاً أن عدداً غير قليل من أدباء عصرنا في النصف الأول من القرن العشرين قد حاولوا أن يجددوا الشعر العربى بتحريره من قيوده العروضية التقليدية . لكن منظوماتهم لم يفتح لها أن تبلغ شأنها يذكر عند الجمهور الأدبى في مختلف الأقطار ، فظلت الطريقة العروضية بأوزانها الستة عشر المعروفة هى الطريقة السائدة في نظم الشعر . وظلت حركة التجديد المذكورة ضئيلة قليلة الأنصار حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك الحين عادت إلى البروز والاتساع على أيدي فئة من النشء الأدبى المتأثر بما تركته هذه الحرب من انقلابات في حياة الشعوب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية . وما ولدته في نفوسهم من روح التمرد والثورة من آوضاع أو مثل تقليدية . وأخذت الدعوة إلى الحرية والتجديد تشتد

في الأوساط الأدبية. فلا غرابة أن يقبل الجيل الجديد عليها، وينتشر النظم الجديد انتشار النار في الهشيم، بين الطبقات الناشئة في كل إقليم، تدعاه دعاة من ذوى النزعات اليسارية أو من المتأثرين ببعض كبار الشعراء في الغرب الناقمين على تردى المبادئ الروحية والإنسانية في الحضارة العصرية المادية. ويظهر هذا الشعر في شكلين: الأول يلتزم إيقاع الشعر ويسمى عند كثيرين شعر التفعيلة، والثاني بجانب أى التزام عروضي وهو المعروف بالنثر الشعري أو الشعر المنشور - كما سنرى.

الشكل الأول - شعر التفعيلة :

وقد أطلق عليه هذا الاسم لاعتتماد الشاعر في نظمته على تفعيلة واحدة يختارها من أحد الأبحر المعروضة الستة عشر، ويفتن في استعمالها بانياً عليها منظومته. نخذ مثلاً (بحر الكامل) وهو مكون أصلاً من ست تفعيلات لبييت الواحد، ثلاث منها في الصدر وثلاث في العجز. وقد يأتى مجزأً فيكون مؤلفاً من أربع تفعيلات، نصفها في الصدر

٥٠

ونصفها في العجز. وهذه تفعيلاته وهو تام :

متفاعلين . متفاعلين . متفاعلين

متفاعلين . متفاعلين . متفاعلين

كقول المتنبي في مطلع قصيدته المعروفة :
الرأى قبل شعاعة الشجعان

هو أول وهى. المحل الثاني

فلماذاهما اجتماعاً لنفس حرة

بلغت من العلياء كل مكان

ويلاحظ أن كل أبياتها تتتابع على هذا النسق وزناً وقافية، كما يلاحظ جواز تعديل صيغة متفاعلين عند الحاجة لتصبح مستفعلين . وهو أمر شائع في هذا البحر سواء أكان في الشعر الأصيل أو في الشعر الحر الجديد . على أن الشعر الحر لا يتقيد تقيد الشعر الأصيل بانسجام كلي في ترتيب مقاطعه وأسطره، تتابع فيه على غير نظام وانسجام؛ من حيث الطول وعدد التفعيلات والقوافي، فالسطر الواحد قد لا يكون أحياناً أطول من التفعيلة المختارة، وقد تتكرر فيه هذه التفعيلة فيطوك، وهكذا تتفاوت أجزاءها بين قصير وطويل

أو مقفًى أو غير مقفًى . وإنما تترابط بإيقاع يلدّ للسمع لتحررها من رتابة الأبيات . في الشعر العروضى . وإليك بعض نماذج من الشعر الحر نعرضها كما وردت في مظانها مصحوبة بتفصيلاتها لإيضاح الفرق بين بنائها وبناء الشعر الأصيل .

ولنبداها بقطعة من البحر الكامل أيضا لشاكر السياب موضوعها (غريب على الخليج) ننقلها كما هي من ديوانه (أنشودة المطر) وفيها يخاطب - وهو بعيد عن وطنه - فتاة من أهله يسميها « زهراء » مذكرا إياها بما عرفاه من عيشة في منزلهما القديم . قال :

« زهراء أنتِ أتدكرين ؟ »

مستفعلن - متفاعِلن .

تَنُورُنا الوَهَّاجُ تَرْحَمُهُ أَكْفُ المِصْطَلِينَ
مستفعلن - مستفعلن - متفاعِلن -
مستفعلن .

وحديث عمى الخفيض عن الملوك الغابرين
متفاعِلن - متفاعِلن - متفاعِلن - مستفعلن

ووراء باب كالقضا .

متفاعِلن - مستفعلن .

قد أوصدته على النساء .

مستفعلن - متفاعِلن .

أيدٍ تطاع بما تشاء لأنّها أيدى رجال
مستفعلن - متفاعِلن - متفاعِلن -
مستفعلن .

كان الرجال يعربدون ويسمرون بلا كلال

مستفعلن - متفاعِلن - متفاعِلن - متفاعِلن

أفتدكرين أتدكرين ؟

متفاعِلن - متفاعِلن .

وعلى هذا النمط والبحر أيضا قطعة
لعلّى أحمد سعيد تحت اسمه المستعار
(أدونيس) موضوعها (حديث جائع)
في ديوانه (قصائد أولى) .

ويلاحظ في بعض تفصيلاتها (ترفيل)
يعنون به في العروض زيادة مقطع في
آخر التفعيلة الأصلية فتأتي مثلا
في الكامل على صيغة متفاعلاتن أو
مستفاعلاتن بدلا من متفاعِلن أو مستفعلن
ويستوى في ذلك الشعر الأصيل والشعر
الحر . والواقع أن التفعيلة المختارة من أي
بحر تستعمل مع جوازاته في كلا النوعين
على السواء .

مالي أُمير ولا أَسِيرُ

مستفععلن - متفاعلاتن .

ويشار إلى هذا فقيرٌ .

متفاععلن - مستفعلاتن .

جَمَدَ الزمان على يدي .

متفاععلن - متفاععلن .

جمدت يدي .

متفاععلن .

وتهدّلت عيني وقرّحها السموال

متفاععلن - مستفععلن - متفاععلن

وإذا تشربّني عذابي

متفاععلن - متفاعلاتن

وانهدّ في صدري شبابي

مستفععلن - مستفعلاتن .

جمعتُ حالي وانطويت

مستفععلن - مستفعلاتن

وعلى تهدّمي ارتميتُ

متفاععلن . متفاعلاتن

فإذا قابلت بين هاتين القطعتين وهما

تعتمدان على تفعيلة واحدة من بحر (الكامل)

تستطيع أن ترى كيف تختلفان في

ترتيب أسطرهما وفي عدد المرات التي

تتكرر فيها تلك التفعيلة في السطر أو المقطع

الواحد منهما . فكل من الناظرين له

حريته في الإخراج كما يحلو لذوقه

الخاص . بيد أنه على تباين طريقتيهما

في ذلك يتفقان كل الاتفاق في التزام

التفعيلة التي اعتمداها من البحر المذكور

وعلى إيقاعها الذي يجعل من المنظومة

وحدة موسيقية قد تبرر زعم أصحاب

هذا النوع من نظم الكلام أنه داخل

في نطاق الشعر الموزون . بل في صحيحه

وإن كان لا يثقيد بأحكام العروض

المعروفة في الشعر الأصيل .

والذي يبدو من منظومات الشعر الحرّ أن

التفعيلة المعتمدة في بنائه ترجع في الغالب

إلى عدد محدود من الأبحر : الكامل

والرمل والهزج والخفيف والوافر وغيرها

وقد يعتمد الشاعر في قصيدته تفعيلتين

إحدهما من بحر والأخرى من بحر آخر .

وسنرى ذلك بعد . وإليك هذه القطعة

معمودة على تفعيلة من بحر (الرمل) :

لعباء الوهاب البيّاتي من منظومة موضوعها

(القنديل الأخضر) كما وردت في

ديوانه (أباريق مهشمة) . وهذا البحر

يتألف من ست تفعيلات

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

كقول ابن الفارض في يائتيته المشهورة
سائق الأظعان يطوى البیدطی
منعماً عرج على كثنان طی
وكثيرة ما تتحول (فاعلات) إلى
فَعَلَات في هذا البحر كقوله :
وضع الآسى بصارى كفه
قال : مالى حيلة فى ذا الهوى
وهو شائع فى كلا الشعر الأصيل والشعر
الحر على السواء . قال البيهاتى :
تحت جنح الليل والصمت وأعماق الكثيبة
فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن
وعبير الروض والليمون والماضى وحزنى
فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن
لم تعد توقظ أحلام الصبا المخدول فیا
فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن
كان ضوء كان فى قبر بعيداً كان عنى
فاعلاتن فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن
القضاء القدر المظلم يستنزفه شيئاً فشيئاً
فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن
غير أنى كنت أقوى
فاعلاتن . فاعلاتن
كنت من نفسى أقوى
فاعلاتن . فاعلاتن
كنت أهوى
فاعلاتن .

لو تلافينا على ذلك الضياء
فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن
كفراسين على الأوراد غابا فى عناق
فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن
واحترقنا أنا والماضى وعيناها على ذلك الضياء
فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
وهكذا يجرى إلى آخر هذه المنظومة
الطويلة مع التفتن فى تكرير تفعيلاتها
واختلاف عددها فى السطر الواحد .
وقد تأتى التفعيلة الواحدة مجزأة : قسم
منها فى سطر وقسم : آخر موصول به
فى سطر تالٍ . وكما تجرى القصيدة من
الشعر العروضى الأصيل فى سلسلة من
أبيات مستقلة تتابع على وتيرة واحدة وزناً
وقافية : أو من أدوار متلاحقة متماثلة
التركيب . كذلك تجرى القطعة
فى الشعر الحر الجديد فى شكل سلسلة
من أسطر ومقاطع أو من أدوار متلاحقة .
ولكنها كما سبق القول لا تتقيد بها
تتقيد به القصيدة الأصيلية (أو كما
يسمونها أحياناً العمودية) من أحكام
عروضية لازمة . سواء من حيث عدد
التفعيلات أو لزوم القوافى وتمثلها ؛ مثال
ذلك هذه القطعة لأدونيس فى ديوانه .
(قصائد أولى) وموضوعها (المشردون) .

ثم قطعة للبيتاني : الأولى من بحر الكامل
والثانية من الرمل .

المثردون - لأدونيس . ، وهي مؤلفة من
عدد من الأدوار .

في أول العام الجديد
مستفعان - مستفعلاتن

قالت لنا مستفعان

آهاتنا قالت لنا

مستفعان . مستفعان .^٢

شدوا الرحال إلى بعيد
مستفعان . متفاعلاتن .^٢

أوفاسكنوا خيم الجليل

مستفعان . متفاعلاتن

فدياركهم ليست لنا

متفاعان . مستفعان

نحن الذين على الدخيل يحمردوا

مستفعان . متفاعان .

فتهدموا وتشردوا

متفاعان . متفاعان

أكل الفراغ ندائنا

متفاعان . متفاعان

ومشى الأمام راءنا

متفاعان . متفاعان^٣

أيامنا جمدت على أشبالنا

مستفعان . متفاعان . مستفعان

وتقلصت كدمائنا

متفاعان . متفاعان

صارت تعيش على الثوان

مستفعان . متفاعلاتن

صارت تاور بلا زمان

مستفعان . متفاعلاتن

متشبتون مضيعون على الدروب

متفاعان . متفاعلاتن

صفر المواعد والقلوب

مستفعان . متفاعلاتن

والجنوع كلُّ ندائنا

مستفعان . متفاعان

والرياح بعض غطائنا

مستفعان . متفاعان

حتى الصباح يفتر من آفاقنا

مستفعان . متفاعان . مستفعان

ويغيض في أحداقنا

متفاعان . مستفعان

واذا ترنح في تلملنا الكفاح

متفاعان . مستفعلاتن . متفاعلاتن

وتساءلت منا الجراح

متفاعلين . مستفعلاتن

ضحكت حروف نداءنا - ضحك الصباح

متفاعلين . متفاعلين . متفعلاتن

أقلوبنا رفقا بنا متفاعلين . مستفعلين

ماهم . ظلي في المسير

مستفعلين . مستفعلاتن

في الجوع في اليأس المرير

مستفعلين . مستفعلاتن

وتعذب متفاعلين

وتصيح عنف السعير

متفاعلين . مستفعلاتن

وهنا على هذا التراب تتربى

متفاعلين . مستفعلين . متفاعلين

فغدا يقال متفاعلين

من أرضها طلع النضال

مستفعلين . متفاعلين

ونما على أشلائنا ووفائنا

متفاعلين . مستفعلين . متفاعلين

وعلى تلفتها البعيد

متفاعلين . متفعلاتن

لغاد جاد

متفعلاتن

الموت في المنفى (للبياتي) من ديوانه

النار والكلمات من ٦٠ وهي تجري على

بحر الرمل .

بدم القلب بطاقات الرماد

فعلاتن . فعلاتن فاعلات

كُتِبَتْ

فعلا

أين كنوز السندباد

فعلاتن . فاعلات

منك يا زاد المعاد

فاعلاتن فاعلات

آه لو أحرقت أشماري

وأحرقت الليالي بالمداد

فاعلاتن . فاعلاتن

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

لكنبت فيها مرة أخرى

بطاقات الرماد

فعلاتن وفاعلاتن

فاعلاتن فاعلات

بدم القلب وأطعمت القوافي للجراح «

فعلاتن . فعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

صَبَغْتَ ليلي الجراح

فاعلات

فعلاتن

وطنى ناء وكفى ييسـت فوق السـلاح

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

أين من يسـكت فى الأفق النبـاح

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

أين من يبهـمق فى وجه المـخانيـث

ومن يزرع فى الأفق آقـاح

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن . فاعلات

أين من يشعل فى صدرى قناديل الصبـاح

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن فاعلات

وطنى ناء . فياليت بـطـاقـاتى جـناح

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات . فاعلات

لتطير الليلة الليلة فى أفق الجـراح

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات . فاعلات

القناديل بصـدرى ،

فاعلاتن . فاعلاتن

افتـحوا الأبواب للنور افتـحوها

فاعلات . فاعلات . فاعلات

أصدقائى الفقراء . أصدقائى الشعراء

فاعلات . فاعلات . فاعلات فاعلات

احـسبـنى يـاربـاح . عبـر آلام اللـيالـى

فاعلاتن . فاعلات . فاعلاتن . فاعلاتن

احـسبـنى يـاربـاح

فاعلاتن - فاعلات .

وقـد يـتـمـنـن الشاعـر الحـر فـيسـتـعـمـل مـع

التفعيلة الواحدة فى قصيدة تفعيلة ثانية

أو أكثر من بحر آخر كما ترى فى منظومة للشاعر

بدر شاكر السياب موضوعها (رؤيا فى عالم

١٩٥٦) يجرى فى قسم منها على بحر الرمل ثم

يتحول إلى آخر . وإليك القطعة التالية

منها . ننقلها عن ديوانه ص ١١٦ .

حـطـطـت الرـؤيا على عـينـى صـقـراً من لهـيب

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

إنـها تـنـقـض تجـثـث السـواد

فاعلات . فاعلاتن . فاعلات .

تـقـطـع الأغـصان تـمـتـص القـذى من كل

جـفـن فـالـمـغـيب

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن

فاعلاتن . فاعلات .

عاد منها توأما للصـبـح - أنـهـار المـداد

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

ليس تـطـفى غـلة الرـؤيا . صـحـارى من نـحـيب

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

من جـحـور تـلفـظ الأثـلاء . هل جـاء المـعاد ؟

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

أهـو يـبعـث ، أهـرمـوت ، أهـى ناراً مـرمـاد

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات ؟

ويؤالى العجز على هذا البحر ثم يتحول
عنه إلى بحر آخر إذ يقول :

في غيبة الرؤيا

مستفعلن فعلمن

يوم بلاميعاد

مستفعلن فعلا

جنكيز هل يحيا ؟ جنكيز في بغداد

مستفعلن فعلمن . مستفعلن . فعلات

عين بلا أجفان تمتد من زوحى

مستفعلن فعلا . مستفعلن فعلمن

شدق بلا أسنان ينداح في الريح

مستفعلن فعلا . مستفعلن فعلمن

يعوى : أنا الإنسان

مستفعلن فعلا

الشعر الحر في شكله النثرى :

مما عرضناه سابقا يتضح أن الشعر
الحر المبني على التفعيلة الواحدة لم
يقطع صلته قطعا باتا بنظام الأوزان
العروضية . فهو شعر إيقاعى كالشعر
الأصيل إلا أنه مختلف النمط . أما في شكله
النثرى فهو يعجز حرا من كل قيد يربطه
بوزن خاص أو بشكل إيقاعى معين ؛ فلا
غربة أن الكشيرين من أهل النقد الأدبي
يترددون ، أو يابون ، أن يطلقوا اسم
لشعر عليه . لكن أربابهم كما يبدو يصرون

على هذه التسمية . فتراهم يخرجونه في
ديباجة أشبه بديباجة الشعر . وينشرونه
في دواوين خاصة كدواوين الشعراء .
والحقيقة أنه نشر مشبع بروح الشعر .
وقد شاع وأصبح له جمهور غفير من
الأنصار وبخاصة بين ناشئة الأدب من
جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية ،
جيل الثورة على الأوضاع القديمة المتأثر
بالنزعات اليسارية إلى الرفض ماورثه
من الماضى ، المتعطش إلى الاستقلال الذاتى
في تصرفاته الفردية والاجتماعية . وهذه
النزعة إلى الثورة قد أثرت في حياته
الفكرية والفنية . فإذا بشعره يخرج اليوم
محرا من تقاليده اللفظية والمعنوية التي
لازمته مدى الأجيال السابقة . يقود في
هذا السبيل رخط من دعاة التجديد الفنى
والشعرى ؛ من رمزيين وسورياليين وسواهم
ممن أخذوا بهذه المذاهب الجديدة في
الغرب ، ورأوا فيها الطريق السوى لتجديد
حقيقى في الأدب العربى شعرا ونثرا .
واليك بعض نماذج من الشعر النثرى
الذى أخذ يتدفق من أقلام أربابه .
قطعة ليدوسف الخال وهو من كبار
الدعاة إلى الشعر الجديد ، نشرت في ملحق
جريدة النهار بتاريخ ١٠ من شباط ١٩٧٤ :

خذوا كل شيء

خذوا العصافير عند الصباح

وصمت الماتيج خمرة كاس
وبقية نار وحيدة

ولا تنركه الى قصور العناكب
أحلامها معلقة بخيوط السماء
خذوها ، خذوا كل شيء

نقيق الضفادع . رفيف الخفافيش
عند المساء

وآثار أقلامهن - الرتيلات
عند مسندى .

ودعوني . دعوني

بعيداً عن الأسواق

لأن الجداول عند الرجوع

تحت هذه السهول

وصوت السكينة تحنانها

هناك على الشطوط .

وحين أموت خذوا جسدي

ولا تدفنوه

لئلا يقوم مع الفجر

ويكشف سر الإله

ونزيمه في الدعوة إلى الشعر الجديد

أنس الحاج قطعة موضوعها (السقوط)

هني ذات شقين كمايلي - عن ملحق

النهار ١٢ من كانون الثاني ١٩٧٤ .

١ - (أنا من سقط) :

من حافة عينيك

حملوني إلى السهول

سقطت من حافة عينيك

أخذوني إلى النوم

وسقطت من حافة عينيك

رفعوني كنكسيح الطير

أمسكوني وأغمضوا عيني

وأبعدوني

فرحت أبداً من جافة عينيك

أسقط إلى اللقاء

٢ - (من ؟) :

إذا انتحرت

والدائنون سيظنون بسببهم

المثل العليا ننتقل بسببها

وكل صديق خاصمته سيظن

ندماً يتسألني عنه بدهشتها الطاهرة

آ من جعله يفعل ذلك ؟

ومن ديوانه (خبثاً الصواريخ في
الهياكل) لثرياء ملحق رقم ٣٧ نختار
هذه المنظومة في ذكرى الوالدين وهذا
بعضها - (ذكرى الأم)

ذكرى الأم :

أمي ...

فانسري عني شيء بعض الشيء «

لففتُ أمي بذراعي

ضغطتُ على نحري

لفظت اسمها : أمي . أمي

ضجر مني الفراغ

والنوى على جسدي

يأكل قلبي . كل قلبي

هرولت من قسوة الفراغ «

(ذكر الوالد) :

أبي :

فانسري عني شيء . بعض الشيء

رحت أمرغ رأسي على رأس أبي

أبحث عن ذراعيه

زلتُ قدمي من حافة التلال

تدحرجت من فوق الجبل إلى تحت

إلى صدى النداء

عدت أتسلق الجبل

هرولت من قسوة الوادي

وقطعة أخرى لها من ديوانها

(محاجر في الكيف) من قصيدة

ص ٣١٦ (وأكرر هذا الديوان نفثات

وطنية حارة) منها هذه القطعة .

غربيّ تزداد كل يوم شبراً فشبرا

عيناي تنزلقان من وجهي فثراً فثراً

وعمارات تتلوى مغروسة كاشواك الغضا

دروب بلادى قواقع فارغة

تتسطى والآفاق فيها تمتحجر

الذئاب رؤاها

ولعبة الأسود الكاسرة

تفضفض عظامها

تكوم الجماجم القناطير

تتكسر النفوس سجدا

للفراغات الصغيرة

والقصيدة طويلة ، ولكنها على هذا

النسق من مرارة نفس تقاسى ألم

الغربة عن وطنها فلسطين المحتلة

ومن هذا الطراز الوطني القطعة

التالية من ديوان (زهرة اسمها الحب)

لجهاد قاعجي يخاطب فيها تاريخ

العرب الفاتحين ، مقابلاً بحسرة

حارّة بين ماضيهم وحاضرهم نادباً

محدثهم الممتدود (من ٥٤)

أيها التاريخ !

كم أسافر في أرجائك فارساً

وأنهل من خورك شاعراً

وأعزف معك البطولة شهيداً

ثم لا أجد حولي

سوى صراع بلا فروسية

وقاف بلا شاعرية

واستشهاد بلا بطولة

يا عمرو.. يا خالد.. يا طارق.. يا صلاح الدين

أهذه بلادكم ! وهؤلاء قومكم !

ومن نماذج هذا الشعر الجديد هذه

القطعة من ديوان لمي صايغ وهي من

النوع الرمزي ، الذي يلف الغموض مافيه

من عواطف الشاعرة الحارة . ننقلها

عن جريدة النهار (١٥ من تموز ١٩٧٤) .

وفيها تقول :

لست حجراً

تسطرنى الحوانيت الملحومة الأبواب

بالأوكسجين .

دماً لاذعاً كالمأساة

أتلجس طريقى بين الحرائق

وتعبر الأحزان جبينى

في الحارات المشتاقة

حيث تُصدّر زنايق الجبل البيضاء

حيث تُصدّر زهور الحناء

حيث يُصدّر الفلّ وعروق البرتقال

يبقى قبرك مجرداً لإلّا من زهرة

ولعل ما أوردناه من أمثلة الشعر الجديد

في وجهتيه الإيقاعية (أى القائمة على

التفعيلة الواحدة) ، والنثرية المطلقة

(المرسلة دون إيقاع خاص) كافٍ

لإيضاح طريقة إخراجها ، وهي طريقة

دراميتيكية رمزية تغلب فيها غرائب

الصور المجازية ، والألفاظ البهمة

الدلالات والإشارات البعيدة المدى .

والواقع أنّ منها الشعر الجيد الممتاز

الذى ترى وراء غموضه الظاهري إبداعاً

في التصوير وتسامياً في الفكر . كما أنّ

منها ما لا ترى وراء غموضه غير تكلف

في محاولة التصوير وفراغاً من جمال

المعاني . والآن بعد النظر في شكله

الخارجي فانتقدم إلى النظر فيه نظرة

داخلية مع مقابلته في ذلك بالشعر العروضي

الأصيل .

الشعر الحر والتصوير الفني :

لامراء أن التصوير في الشعر هو من أهم عناصر الجمال فيه : يستوى في ذلك القديم والحديث المنظوم بلغة فصيححة أو بلغة عامية . فالشعر بطبيعته مصور يجسم ما يستلهمه من الحياة والطبيعة بشكل أشد تأثيراً في النفوس وأكثر إمتناعاً لها . نخذ مثلاً قول امرئ القيس في معلقته المعروفة ، إذ يصف ليلة أطبقت عليه بالهموم وقاسى فيها ما قاساه من عناء السهاد فقال :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
على بأنواع الهموم ليبتلى
فيالك من ليل كأن نجومه

بكل مغار الفتل شدت بيذبل
ففي تصويره هذا الليل بحرًا تتابعت
أمواجه بأنواع الهموم عليه ، وقد طال
حتى كأن نجومه شدت بأمراس إلى
صخور جبل (يذبل) يشعرونا بما لان شعر
به لو قال . ليل طويل أسهدتني فيه
الهموم المتراكمة على .

ومن هذا القبيل وصف المتنبي لسموة
حالة يوم كان مقيمًا في مصر على مضيق
عند أميرها كافور ، وقد أصابته حمى

زادته شقاء على شقاء . فقال من قصيدته :
يصف الحمى وكانت تراجع ليلاً بعد
ليلة :

وزائقي كأن بها حياء
فليس تزور إلا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا
فعافتها وباتت في عظامي

يقول لى الطيب : أكلت شيئاً
ودأوك في شرابك والطعام
وما في طبه أنى جواد
أضر بجسمه طول الجمام

تعود أن يغبر في السرايا
ويدخل من قتام في قتام
فأمسك لا يطال له فيرعى
ولا هو في العليق ولا اللجام

فتأمل هذا التصوير الرائع لسوء حاله ،
وهل كانت النفوس تهتز له لو أن الشاعر
اكتفى بأن يقول : أصابتني حمى في
مصر وأنا مكره على الإقامة فيها كالأسير
لدى أميرها كافور .

هذان مثالان من ألوف الأمثلة في أدبنا
العربي على ما لحسن التصوير في الشعر
من روعة وتأثير ولا سيما إذا كان الشاعر

ذا موهبة فنية عالية. ولقد امتاز بهذه الموهبة كثير من شعراء العربية قدماء ومحدثين. فأخرجوا النام من بدائع تصويرهم روائع خالدة. ومعظم اعتمادهم فيها على جودة في التعبير البياني؛ من تشبيه واستعارة وتمثيل وكنائية ومجاز مرسل وما إليها.

ونرى الشعر الحر الجديد يعتمد أكثره على الرموز والإشارات إلى أبعاد من المعاني والحقائق الإنسانية والاجتماعية وإليك للإيضاح بعض أمثله .

يقول بدر شاكر السياب في قصيدته (قافلة الضياع) واصفاً حال الفلسطينيين الذين أكرهوا ظلماً وعدواناً على هجر أوطانهم واللجوء إلى أوطان أخرى . نثبت منها القسم الافتتاحي فقط :
أرأيت قافلة الضياع^(١) ، أما رأيت النازحين !

الحاملين على الكواهل من مجاعات السنين

آثار كل الخاطئين^(٢)

النازحين بلا دماء

السائرين إلى وراء^(٣)

كَي يَدْفِنُوا هَابِيلَ وَهُوَ عَلَى الصَّلِيبِ
رَكَامِ طِينِ^(٤)

قابيل ! أين أخوك؟ أين أخوك؟ جَمَعَتْ
السَّما

آمادها لتصيح - كَوَّرَتْ النجوم إلى
نِماء

قابيل أين أخوك؟

يرقد في خيام اللاجئين^(٥)

والقصيدة طويلة وكلها على هذا النسق من التصوير الرمزي وبعد الإشارات . وهي كما ترى مشبعة بروح النغمة الثائرة لما أصيب به بنو العروبة في فلسطين على يد غزاتهم المعتدين . إذ استولوا على بلادهم بمساعدة بعض الدول القوية ، فاحتلوا وطرّدوا سكانها .

(١) يرمن بقافلة الضياع إلى هؤلاء المشردين الذين أضاعوا حقوقهم وأوطانهم .

(٢) أي الحاملين على ظهورهم آثام الذين ارتكبوا خطيئة إبعادهم وسببوا لهم كل هذه المحن .

(٣) و (٤) قابيل وهابيل هما ابنا آدم ويرمز بهما إلى الأخوة في الإنسانية أو الوطنية . وكان السما ونجومها تدأل الأخ الأكبر قاتل أخيه : أين أخوك؟ فإذا بها تسمع الجواب في خيام اللاجئين .

وقد لا يقتصر هذا النوع من التصوير الشعري على ذكر الأوطان السليبة، وصب جام النعمة على مالبئها ومن ساعدتهم على السلب^١. بل تناول أحيانا الاعتزاز بماضيها وتاريخها الجيد والمباهاة ببطولات أبطالها السالفين. كهذه القطعة لأدونيس من مجموعة نشائده المنشورة تحت عنوان (قالت الأرض) حيث يعدد مآثر سكانها الأقدمين كالفينقيين مثلاً، فيهدف متاف القوى المعترز بقومته - (ص ٩) :

من نعمة هنا . من بلادنا نحن أقبلنا
شراعاً وموجةً ولا إلى

ومشيناً حرفاً على صندقة القلب

وحرفاً على شفاها الليالي

إن نشأ تترك الحصا زهراً حلوا

ونحفر على النجوم خطانا

نحن شئنا الدنيا جبالاً وحقاً

وبخلقنا للعالم الإنساني

إنه زهو شائع في الشعر الجديد الطموح ، الدائر على الأوضاع ، على أنه لا يخلو من الحسرة على وطن كان عندهم فيما مضى منشأ البطولات والأبطال ، فيبكون ولكن

لابعين البائس^٢ اليائس بل بعين^٣ الراجي المتطلع إلى عهد أعز وأكرم . عين تحلم بولادة ثانية لهذا الوطن الذي أدل بنييه توالى الكوارث والخنوع للطغاة ، وذهب بجيوشهم طول التردى في وهدة الهوان حتى غدوا فيه راقدين كالأموات^٤. وفي هذا العجو المشبع^٥ بروح الحياة الجديدة تتجلى لنا في كثير من أقوالهم أسطورة البعل الفينيقي (تموز) كيف مات قتيلاً في جبال لبنان ثم كيف قام لابساً ثوب الحياة ، بل كيف يموت كل سنة في الشتاء ثم يقوم في الربيع مجدداً خصب الأرض ، ومن بدائع الرموز إلى ذلك ما تجلّى لخليل حاوي من رؤيا قيامه ثانية لوطنه الشرق ، على يد الأجيال الآتية ، بعد أن مرّ في طور عقم لا خصب فيه ولا إنتاج . وبخفقة رائعة من قلب الشاعر سجل لنا قلمه هذه الكلمة . مخاطباً الجيل القادم ، موقى الروح والطموح فقال : (ديوان ١٢٣)

لن تموت الأرض إن مُمّت

لها بعل^٦ إلهى قديم

طالما حنّت إليه عبر ليل العقم

أنثى وإلهة

أى تربة الأرض العطشى إلى

الخصب

فضها البعل ورواها

فغصت بالرجال الآلهة «

فامتلات الأرض من أبطال كآلهة

(وبنفحة من الأمل يتساعل بلسمان

الوطنى الواله) :

أترى يولد من حبى لأطفالى وحبى

للحياة

فارس يمتشق البرق على الغول

(يشير إلى أسطورة مار جرجس

وقتله التنين)

« على التّنين ! ماذا هل تعود

المعجزات ! »

أى (هل يعود الزمان فيخرج من

الشرق صانع المعجزات الذين خرجوا

منه فى قديم الزمان)

« بدوى ضرب القيصر بالفرس^(١)

وطفل ناصرى وحفاة^(٢)

روضوا الوحش بروما ، سحبا

الأنياب من فك الطغاه

ربّ ماذا ، ربّ ماذا !

هل تعود المعجزات !

والذى يوازن بين الطريقة الشعرية

الأصولية والطريقة الجديدة الحرة لا يكاد

يجد فرقا بينهما ؛ من حيث اعتمادهما

على التصوير الفنى . فالشعراء فى كلتا

الطريقتين كثيراً ما يستعينون به

فى وصف وقائع الحياة وحفائقها لتبرز

فى شكل أشد تأثيراً فى النفس وأكثر

إمتاعاً لها . على أنهم يختلفون فى

أساليبهم التصويرية ومقاييسهم الجمالية

فالأصوليون قديما وحديثا يرون بلاغة

الشعر أو حقيقة جماله قائمة على حسن

البيان العالى ؛ ويعيبون الوعورة فى الألفاظ

وتكلف غير المألوف ، أو البعيد فى الصور

المجازية . ولوجاءت من الشعراء المعروفين

بفصاحتهم وعلو مكانتهم . أو على هذا

الأساس أخذوا قديما على أبى نواس

(١) إشارة إلى النبى العربى وفتوح أتباعه .

(٢) إشارة إلى المسيح وإلى رساله الذين برغم ضعفهم فتحوا العالم الرومانى حاملين رسالته .

تصويره المال بشخص يمشى على رجليه
إذ قال يمدح أحدهم بالجود :

جاد حتى حصد الفاقة واجتثَّ السؤال
يا أبا إسحق لو أنصفتَ منك المال قالوا :

مال الرجل المال أُمست

تشتكى منك الكُ لا

فانظر إلى هذه المجازات الغريبة
في البيتين الأول والثالث : حصد الفاقة
واجتثَّ السؤال ، وكلال رجل المال من
كثرة إرساله إلى العافين والمحتاجين .
ومثل ذلك في التصوير الغريب ما أخذه
على أبي تمام من قوله واصفًا قائدًا بالشجاعة
والإقدام إذ هاجم في يوم شتوى شديد
الزمهرير والعواصف ، فلم تصدُّ أهواله
عن الهجوم بل خاضها حتى بلغ مبتغاه من
النصر . وقد صور الشاعر ذلك الشتاء بجمل
هائج صعب المراس على من يودُّ ركوبه ،
لكن المدح ضربه ضربة غادرته ذليلاً
طوع القياد . فقال فيه من قصيدة معروفة :

فضربت الشتاء في أخذعيه

ضربة غادرته قوداً ركوبا

ومما قد يؤخذ على أبي تمام من غرائب
المجاز وصفه لبعض أهل المكارم بأنهم

لا يبالون بما يصيبهم من أذى في صحة
أجسادهم ، إذا سلمت أحسابهم من ذلك .
فقال :

لا يأسفون إذاهم سمعت لهم
أحسابهم أن تهزل الأعمار

فاستعمل السمانه للأحساب والهزال
للأعمار وحسب لا يستعملان عادة إلا في
وصف الأجسام ؛ فمقاييس البلاغة الوصفية
التصويرية في نظر الأصوليين من الشعراء
تكون في أن الصورة المجازية غير بعيدة
عن المألوف في العقل . وليس تكلف
الغريب عن الفهم بجائز مستساغ إلا إذا
كان في استعماله ما يزيد الكلام قوة ،
والصورة المعنوية رونقاً وجمالاً . وإلا فهو
مستهجن عند الباطل . *

ولما ظهرت الحركة الرومانسية في
أدبنا الحديث تدعو إلى حرية التعبير
الشخصي ، والإفلاق عن التقاليد الكلاسيكية
وقيودها اللفظية والمعنوية . لم تتجانب
مقاييس البلاغة في استعمال التصوير
المجازي بل وطَّنتها وتوسَّعت في طريقتها
القائمة على السهولة والوضوح ،
فاستساغها الذوق العام . وهكذا أصبحت
الرومانسية هي الطريقة الوحيدة المثلى
لنظم الشعر . على أن كثيرين من أتباعها

لم يُحسنوا الجرى عليها؛ فأسرفوا في استعمالهم السهل الواضح من التعابير حتى كاد النظم يفقد زخمة الشعري. فاتَّهمت الرومانسية بالميوعة والابتذال والتدني، لولا أن نشأت في هذا القرد طبقة من أرباب المواهب الشعرية العالمية الذين تداركوها، فإذا هي على أيديهم ذات قوة لفظية ورونق معنوي. والواقع أنها بفعلهم أصبحت رومانسية جديدة تمتاز بمتانة في الديباجة على عذوبتها. وبعد في المرامي على إشرافها. وعمق في المعاني على سهولة الوصول إليها.

البعد المعنوي في الشعر:

الواقع أنه من المتعذر أن ننصل في الشعر بين حسن التصوير وبُعد المعنى فهما؛ انحصران الأساسيان للإبداع الفني فيه. والشاعر الشاعر هو الذي وهب المقادرة على الجمع بينهما في نظمته، فكان لكلامه روعته الخلاقة. وإذا كان شاعر قديم كائن تمام مثلاً يصف في شخصيه الرجل الطموح الذي لا يرى من سبيل

غير المغامرة واقتحام الشدائد لنيل الرغائب، فيخطب من كانت تحاول صدّه. عن سفر شاق ينويه في هذا السبيل فيقول لها :

ذريني على أخلاق الصم للتي

هي الوفر أو سرب ترن نواديه

فإن الحسام الهندواني إنما

خشونته مالم تغفل مضاربه

فلا عجب أن يهز نفوسنا اليوم كما هزها مدى الأجيال السابقة؛ بتصويره الغريب لحسام يختلف عن سائر السيوف في أن مضاء حده يقوم على تشلم هذا الحد من كثرة استعماله، في الضرب والنزال لا على سلامته وهو مغمود دون استعمال. إن طالب الرغائب من الرجال هو الذي ينالها بهخوض الشدائد إليها، واحتمال الأذى في سبيلها، لا يتوخى السلامة وهو لا يث في منزله، قاعد عن مجابهة الأهوال

ومن هذا الطراز العالي تصوير أبي العلاء المعري مرارة نفسه لرؤيته في

الناس غرور المقصرين وتبجحهم في
التطاول على المتفوقين فيقول :
إذا عير الطائي بالبخل مادر
وعير قسماً بالفهاة باقل^(١)
وقال السهلي للشمس: أنت ضئيلة
وقال الدجى: يا بدر لونك حائل^(٢)
وطاولت الأرض السماء سفاهة
وفاخرت الشهب الحصا والجنادل
فياموت زُرْ . إن الحياة ذميمة
ويانفس جدى إن دهرك هازل
فالشاعر إذ يتأمل أهل زمانه . وما
يتملك الكثيرين بينهم من غرور
يدفعهم إلى التطاول على ذوى المآثر
والفضل ، يحس في نفسه بحرارة تزدهه
في الحياة ، فيعبر عنها بهذه الأبيات
تعبيراً صادقاً لا يسعنا معه إلا أن نشاطره
إياها ، ونحن مع ذلك نشعر في تعبيره
الفنى بحلاوة تلك المرارة .
وللبعد المعنوى في الشعر وجهان : وجه
ذاتى خاص ، ووجه موضوعى عام . ويراد
بالأول ما ينعكس عن نفس الشاعر أو ما يمر

بخطره من ومضات ذهنية ترينا ما لا نراه
عادة من معانى الحياة وحقائقها . أو من
روائع الصور الجمالية فيها
نخذ المتنبي مثلاً وهو من هو بين
الشعراء في تاريخنا الأدبى ، وتأمل ما
وعرف به من نظرات بعيدة في الحياة ،
تجد أنه لم يصطنعها اصطناعاً لذاتها ؛ بل جاءته
عرضاً في سياق بعض قصائده المخصصة
للمدح أو الرثاء أو غيرها من الأغراض
الخاصة ، كقوله في قصيدة يمدح الأمير
سيف الدولة مهنثاً إياه بالعيد وظفره
على ملك الروم :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلى
مضرك وضع السيف في موضع الندى
أو قوله في سياق قصيدة يصف فيها
شجاعة بدر بن عمار يوم هجم عليه
أسد هصور فصرع الأسد :
أنف الكريم من الدنية تارك
في عيشة العدد الكثير قليلا

(١) الطائي وهو حاتم طيىء المشهور بكرمه في التاريخ - مادر هو رجل عرف بالبخل . فس خطيب جاهلى
اشتهر بفصاحة الكلام وحسن البيان وبأفـل رجل عرف بالحق والحق في الكلام .
(٢) السهـى نجم ذو نور ضئيل .

والعار مضاض وليس بخائف

من حتفه من خاف ممّا قبلا

قال ذلك مشيراً إلى ذلك الأسد. إذ أعطاه صورة البطل الأبى الذى يخشى عار الهزيمة أكثر من خشية الموت فزاد تمجيد ممدوحه وتعظيمه لصموده العجيب . وفتكه هذا الأسد الرهيب .

مثل هذه المعانى البعيدة التى توطن للشاعر فى سياق وغرض ما لا تتأتى إلا لذوى النظر الثاقب وفى مناسبات خاصة . . وليست هى من قبيل السلاسل الحكيمية ، والأمثال التى تتتابع تتابع الحلقات فى السلاسل ، أو حبات الخرز أو الدرّ فى العقود، فهذه تُصنع صنعا وترتّب ترتيباً فى سموط خاصة؛ ليستفيد منها مطالعها حكمة أو معرفة وخبرة كأرجوزة أبى العتاهية المعروفة بذات الأمثال، أو لامية ابن الوردى الموجهة إلى الجيل الناشئ فى زمانه ومطلعها : « اعتزل ذكر الأغاني والغزل » أو ماشاكلهما من شعر حكيم وتشقيفى ممتاز. أما تلك الومضات الذهنية التى أشرنا إليها آنفاً، والتى تتجسم للشاعر بالفكر البعيدة خلال نظمه، فهى شئ آخر.

وليس من المحتّم أن تكون هذه الومضات تجسيميا لنظرات فلسفية، أو لحقائق ، خلقية أو لقيم مثالية. فقد تأتى أحيانا إبداعاً تصويرياً لبعض المشاهد أو الحالات الحياتية العادية؛ كقول أحمد شوقى مثلاً فى أبيات من قصيدته « زحلة » أو « جارة الوادى »، كما يلقبها حيث يرسم لنا . مشهداً خيالياً لمتحابين طال الفراق بينهما، ثم حظيا بلقاء سعيد : فيضع الشاعر على لسان المحب الولهان وهو يحدث الخبيبة، واصفا لها شدة ولهه، فيقول . :
وتعطّلت لغة الكلام فخطبت

عينى فى لغة الهوى عيناك
ومحوت كل لبانة من خاطرى
ونسيت كل تعاتب وتشاكى
لا الأمس من عمر الزمان ولا غد
جُمع الزمان فكان يوم رضاك

هذا الجمع للزمان فى يوم واحد وهو يوم رضاها يُعد إبداعاً فى التصوير أو إبداعاً فى الخيال . وإن يكن الغزل هنا غير واقعى، فالقصيدة نظمت فى وصف مدينة فى لبنان لا فى حسنة من الغوانى

الحسان . على أن للشاعر طريقته الخاصة . وإنما نحن نعني بالبعد في تصويره الفني .

ومن هذا الطراز الفني العالى مايلي للأخطل الصغير شاعر ابنان من قصيدة ألقاها في الحفلة التأبينية التي أقيمت في بغداد لفصل الأول ملك العراق وكان فيصل خلال الحرب الأولى القائد الأكبر للشورة العربية . قال يصف فيها حزن وطنه الشامل وولاءه للعروبة :
قد حملنا الشام من طرفيه
فوق بحر من الأسى متلاطم

وسفحنا في دجلة قلب لبنان
وأجفائه الهوامى الهوائى
عربي النجار شمد عراه

باللوائين: عبد شمس وهاشم
فإذا أنعمت النظر في هذه الصورة التي يرسمها الشاعر لحال وطنه وما كان يسوده من حزن عميم، وكيف حمل الشاعر والوفد المرافق له هذا الوطن « من طرفيه »، أى على اختلاف طوائفه وأقاليمه، وكيف سفحوا في دجلة لب لبنان مع دموع سكانه، ثم التفت

إلى تعريضه بمن يشك أو يجهل ولاء لبنان للعروبة التي يحمل لواءها الفقيد العظيم: سليل أمجاد قريش من « عبد شمس وهاشم »-إذا تأملت كل ذلك رأيت خلال هذه العبارات صورة عما فيها من أسى . مشرقة بنور بين من المعاني الجليلة . مثل هذه الأبعاد المعنوية الفردية يطالعك في مالا يحصى في الشعر العربي قديمه وحديثه . وقد تألفت في رومانسية قرننا الحاضر على أيدي نخبة من نوابغ الشعر، بين الحربين العالمتين ولا تزال تتألق على أيديهم حتى الآن .

ومن الإنصاف أن نقرر هنا أن الشعر الحر الجديد لم يقصر في هذا المضمار ، على أن بينه وبين الشعر الأصيل اختلافاً في طريقة العرض للأبعاد المعنوية . ورسم الصور الملائمة لها . فلنقف هنيهة لنلقى نظرة على بعض أوجه هذا الاختلاف بينهما .

البعد المعنوي بين الشعر الأصيل والشعر

الحر الجديد :

مرّ بنا سابقاً أن للبعد المعنوي في الشعر وجهين : أحدهما ذاتي خاص ،

والثاني موضوعي عام . وأن الأول يتكوّن من ومضات ذهنية تعرض للشاعر خلال قطعة شعرية ينظمها الغرض من الأغراض . هكذا كان في عهود الكلاسيكية القديمة . وعلى هذا المنوال جرى في الكلاسيكية الحديثة . ثم ما خلفها من نزعات شعرية أخرى وبخاصة النزعة الرومانسية التي أصبحت - ولاتزال - طريقة النظم الغالبة في عصرنا الحاضر .

والذي يلاحظ أن هذه الومضات الذهنية راجعة في الأكثر إلى إبداعات مجازية في تصوير ما يتجلى للشاعر من معاني الحياة أو حقائقها . وهي عند التحقيق داخلة في ما يسميه البيانويون « البديع المعنوي » ، من تشبيه وتمثيل واستعارة ومجاز مرسل وسمواها .

وإذا قابلنا الشعر الرومانسيّ الأصيل بالشعر الحر الجديد من حيث تصويرهما المجازي للمعاني وجدنا أن الأخير . أي الحر . يُعنى باستعمال (التجسيم للمعاني) عناية خاصة بل هو يسرف فيه إسرافاً ظاهراً ، ويقصد (بالتجسيم) إعطاء المعنويات والجمادات خصائص العقلاء أو الأحياء ، وقد كان القدماء

يستهنون بل يعيبون الإسراف فيه كما قدمنا في غير هذا المكان . على أن أرباب الشعر الحرّ عموماً يُقبلون عليه إقبالا شديداً . ويأتون منه بما يستغربه الكثيرون من أهل الذوق الأدبيّ الأصيل ، وإن يكن منه كما في سواء الحسن المستجاد . وهالك بعض نماذج منه

من ديوان الحاوي . ص ٢٧ « أتجتّرُ
العمر مشلولاً مدميً » .

ص ١١١ « تولد الفكرة في السوق
بغياً » .

ص ١٩٥ « والثواني مرّضت . ماتت
على قلبي » .

ص ٢٢٣ « نعجنُ الوهمَ ونطلي
الجمجمة »

ص ٢٣٩ « ترّف اللؤم نُحلي طعمه
بالنفاق » .

ومن ديوان الماغوط . ص ٦٣ « البواجر
التي أحبّها تبصق دماً وحضارات » .

ومن ديوان البيّاتي ص ٣٠ « ضوء النهار
يتمصّ أعواي ويبصقها » (أباريق-
مهشمة) .

ومن ديوان البيّاتي ص ٢٨٠ « والسُرُّ على شِفاهها انتحر » .

من ديوان الفيتوري في قصيدته :
« أحزان المدينة السوداء » يصف حالة بلاد إفريقية وشقاء أهلها ، يقول :

« - وتجرى كتاباتها في عروق الحياة - »

وتصبغ لون الحياة

وتصبغ وجه الإله

وتضحك أحزانها في الشفاه »

من ديوان حجازي ٢٢٥ « رسالة إلى مدينة مجهولة » :

« حملتُ كأس عُمرى الصغير فارغاً

لمن يصبّ فيه قطرتي سرور »

ومن شعر أدونيس في قصيدة (المشردون) :

« يأكل الفراغ ندائنا

أيامنا جمعت على أثلاثنا »

أما الوجه الثاني من البعد المعنوي فيتجاوز ما يمرّ في خاطر الشاعر عرضاً من ومضات ذهنية نيرة تظهر له في سياق بعض قصائده . فإن هذا الوجه في الواقع هو المحور الذي يدور عليه نظمه . والغرض الذي يرمى إليه وهو ينبعث في نفسه عن تأثيره بأوضاع إنسانية عامة ، منها ما هو

واقعي مُشاهد ، كحالة وطنه مثلاً وما يقاسيه من سوء الأحكام وعناء الحياة ، ومنها ما هو مثالي كتقديسه لقيم الحياة العليا والتغنى بها والدعوة لها . كالحق والعدالة والحرية والمساواة والسلام وإيثار المصاحبة العامة على الخاصة ، وما إلى ذلك من قيم مثالية هي في اختيار البشرية الأسس الثابتة لتقدم الإنسان وصلاحي حاله على الأرض .

ولقد يمرّ الشاعر في حالات وجدانية تدفعه إلى التأمل الفلسفي في الوجود والحياة والمصير ، فيقف حائراً ، وفي وقفته هذه لا يرى لديه ما يخفف ثقل حياته أو يهديه في حيرته غير الارتفاع على أجنحة الخيال إلى عالم من الرؤى يطيب له فيها المقام . والذي يلاحظ أن الشعر العربي قديماً لم يحفل على العموم بمفارقة ما يتعلق بحياة بيئته المعيشية العادية . فهو قلماً يعكس لنا غير تلك الومضات الحكمية التي ذكرنا أننا نتألق في بعض ما كان ينظم في أغراض شتى ، حتى المعري وهو كبير حكماء الشعر العربي الإنساني لا يرى في لزومياته غير حملات مكبرة ، يشنها على ذوى الفساد من حكام وشيوخ

دين . وإلّا فأين تلك الأبعاد المعنوية التي
تبتكر المواضع المتخصصة للنظر في الحياة
وقضاياها والإنسان ومشاكله ، أو في
العوامل الفعّالة إما لرفع الحضارة البشرية
ودفعها إلى الأمام لأجل الخير العام ، وإما
للووقوف في سبيلها وتعميم الخراب فيها
بيد الشر الهدّام ؟

تلك أبعاد نرى الشعر الحديث اليوم
أكثر احتفالا بها ، ولا سيما بعدما عظم فيه
شأن الحركة الرومانسية واتسع مداها ،
وكذلك ماتبعها من شعر حر يجرى في
نظمه على غير طريقته . وإليك للمقابلة
بعض نماذج من كليهما .

خذ من الشعر الرومانسي مثلاً وقفة
لخليل مطران أمام الأهرام بمصر ، وقفها
لمجرد وصف تلك الصروح الجبّارة
والتغنى بأمجاد بُنائتها من طغاة الفراعنة
بل للتأمل فيما هو أبعد من ذلك ، فهي
تترأى له عبرة من عير التاريخ ، بل عظة
اجتماعية يلقيها الزمان على الطغاة المستبدين
من الحكام الذين يسخرون الأفراد
لمآربهم الذاتية : لا يهمهم ما يقاسيه
الناس من عناء وشقاء ولأما ، يذوقونه
من عذاب وحرمان أو موت ، ليشيدوا لهم

صروح أمجاد يتوهمون فيها خلوداً
لحياتهم وبقاء لعظمتهم وجبروتهم ، فتأمل
كل ذلك فقال من قصيدة مخاطبا الذين
شادوا الأهرام بتسخير المستضعفين ، لتكون
مدافن لهم يخلدون فيها ، وهاهم الآن جثث
بالية مدفونة مع طفيانهم واستبدادهم :
يا أيها الموتي أَلَمْ يسمعكم ؟

صوت المنادى صادقاً مردداً
قوموا انظروا الشعوب فيما حولكم
تدوس هامات الملوك همداً
قوموا انظروا أجسادكم معروضة
في مشهد لمن يروم المشهدا
وكان يغنيكم جميل الذكر لو
خففتهم اللحد وشدتم للهدى
ولهذا الشاعر أكثر من وقفة كهذه
يصف فيها استبداد المستبدين وكيف
ساعت عاقبتهم ، ونشير هنا بنوع خاص
إلى قصيدته الكبرى (نيرون) والتي
يصف فيها حياة هذا الطاغية الروماني
ويختتمها بقوله :

كلُّ قومٍ خالقو نيرونهم
قيصرٌ قيل له أم قيل كسرى

وبعد أن يستعرض في بضعة أدوار
عدداً من الدول العظمى التي ازدهرت
في التاريخ وسادت ثم تقهقرت فاندثرت
أو تضاءلت وأصبحت صغيرة لا شأن
لها .

يقول مخاطباً القوة المادّة حربيّة^١
أو مالية :

حَكَمُوا فِي النَّاسِ حِينًا وَمَضَى
حُكْمُهُمْ تَهْزَأُ مِنْهُ الْحَقِيرُ
حَسَبُوا أَنْ لَنْ يَزُولُوا وَقَضَى
دَهْرُهُمْ فِي عَكْسِ مَا قَدْ حَسَبُوا
أَيُّهَا الْقُوَّةُ سِيرِي بِاحْتِرَامٍ
وَانْظُرِي فِي مَدْفِنِ الدَّهْرِ الرَّمَامِ
بِالْيَاسِ فَسَيَأْتِيكَ الْحِمَامُ
وَتَصِيرِينَ كَتَلِكِ الرَّمَمِ
بَيْنَ أَحْدَاثِ الْبَلَى وَالْعَدَمِ
هَاهُنَا السِّيفُ سَيَعْلُوهُ التُّرَابُ
هَاهُنَا الْمَدْفَعُ يَصْدَأُ فِي الظَّلَامِ
هَاهُنَا الرَّمْحُ سَيَبْلَى وَالْحِرَابُ
وَيَذَلُّ الْفَخْرُ فِي جُوفِ الرِّغَامِ
لَيْسَ لِلْقُوَّةِ سُلْطَانُ الْوُجُودِ
لَيْسَ لِلسِّيفِ الْعُلَى أَوْ لِلجُنُودِ
إِنَّمَا الْحَقُّ سَيَعْلُو وَيَسُودُ

ومن هذا القبيل وقفة لشاعر روماني
آخر، وقفها على نهري لندن عقب الحرب
العالمية الأولى وما كان من زهو الحلفاء
وفي مقدمتهم بريطانيا إذ خرجوا منها
منتصرين على الألمان وشركائهم . وعلى
هذا النهج حرّكت الشاعر ذكرى تلك
الحرب الهائلة، وعواقبها الوخيمة على
كلا الغالب والمغلوب (وكانت بريطانيا
يومئذ قد بلغت غاية عظمتها الإمبراطورية)
فتأمل في الممالك العظمى التي سادت على
الأمم منذ القديم، وما آل إليه أمرها بعد
العزّ والطغيان فجعل وقفته وهو في عاصمة
بريطانيا تذكرياً لدوى السلطان الآن،
وتحذيراً لهم من أحكام الزمان وهي
مؤلفة من عدة أدوار، وهذه بعض
أدوارها :

عَلِمَ بَرِيْطَانِيَا أَيَّ عَالَمٍ
رَفَعْتَهُ فِي الْوَبَى أَجْنَادَهَا
شَبَّهُوا أَمْجَادَهَا بَيْنَ الْأُمَمِ
هَلْ تَرَى تَبَوَّأَهَا أَمْجَادَهَا ؟
ذَلِكَ الْأُسْطُولُ خَفَّاقُ الْبِنُودِ
ذَلِكَ الْجَاهُ وَهَاتِيكَ الْجُنُودُ
أَمَّ لِكُلِّ أَجَلٍ ثُمَّ يَعُودُ
ذَلَّةٌ عَزَّ بَنِيهَا وَالْعُلَى
وَعَلَى الْأَمْجَادِ يَسْتَوْلِي الْبَلَى

أيها . القوة هلاً تعقلين

هاهى الحكمة تدعو العالمين

وقد يستلهم الشاعر أبعاده المعنوية العامة من بيئته السياسية أو الاجتماعية ، كما ترى فى قصيدة للشاعر التونسي أبي القاسم الشابي موضوعها (إرادة الحياة) وفيها ينعكس لنا شعور الشبيبة التونسية التواقفة إلى أن تفرى بلادها حرة مستقلة من الاستعمار الأجنبي . وهذه بعض أبياتها . ومنها نستدل على روحها العامة (ديوانه ١٩٦٥) :

إذا الشعب يوماً أراد الحياةَ

فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد ليلى أن ينجلي

ولا بد للقيـد أن ينكسر

وهى طويلة ، وقد ختمها بما يلى :

ورنَّ نشيد الحياة المقدس

فى هيكلي حالم قد سحر

وأعلن فى الكون أن الطموح

حبيبُ الحياةِ وروحُ الظفر

إذا طمِئتْ للحياة النفوس

فلا بد أن يستجيب القدر

وفى ديوانه تتضح روحه بالدعوة إلى الحرية والتنديد بالطغاة، كقوله من أبيات مخاطبا طغاة العالم :

ألا أيُّها الظالمُ المستبدُ

حبيبُ الفناء عدوُ الحياة

سخرتَ بأناتِ شعبٍ ضعيفٍ

وكفُّك مخضوبةً من دماه

وعشتَ تدنس سحر الوجود

وتبذر شوك الأسي فى رباه

وقد ينعكس الفكر الشعري البعيد عن أمنية إنسانية أو فكرة فلسفية يرغب فى الحصول عليها أو إدراك كنهها كما ترى فى تلك الوقفات الفكرية الحائرة التى يقفها بعض شعرائنا الرومانسيين ، كما فعل مثلاً إيلىا أبو ماضى فى عدد من قصائده المعروفة ، أكتفى منها للتمثيل الآن بتلك التى جعل موضوعها (العنقاء) . والعنقاء طائر خرافي وهو عند العرب أحد المستحيالات الثلاثة ويرمز بها إلى السعادة التى يقضى الإنسان حياته . مفتشاً عنها ساعياً للاهتمام إلى مكانها ، ولكنه لا يمتدئ إليه إلا وشمس حياته

قد أشرت على الغروب ، يقول في
مطاعها :

أنا لست بالحسناء أول مولع

هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي
ثم يجرى في حديثه عنها فيصف
سعيه طوال حياته للحصول عليها؛ يسأل
كل إنسان ويفتش كل مكان . حتى إذا
بلغ آخر العمر وقف يصف لنا في ختامها
نتيجة طوافه ، وقد استولى عليه القنوط
فقال :

حتى إذا نشر القنوط ضبابه

فوق فغيبي وغيب موضعي
وتقطعت أمارش آمالى بها
وهى التى من قبل لم تنقطع
عصر الأسى روحى فسالت آدمعاً
فلمحتها ولمستها فى آدمعى

وعلمت حين العلم لا يجدى الفتى

أن النى ضيعتها كانت معى
وإذا كان الشعر العروضى الحديث
لا يعتمد عادة على الرموز والأساطير
الغامضة فى ابتكار المواضع لأبعاده المعنوية
كما يعتمد الشعر الحر الجديد فإنه
لا يخلو منها ، كما نرى فى ديوان الشاعر

الرومانسى الكبير إلياس أبو شبكة حيث
يعرض لنا قصة شمشون الجبار
الواردة فى سفر القضاة من التوراة
وما كان من أمره مع الفلسطينيين أعداء
قومه ، وكان شمشون قاضياً (أى زعيماً
أو رئيساً) لقومه ، وقد نذر أبواه لله
منذ ولادته ، فوهبه ربّه قوة جسدية فائقة
على أن لا يعلو مقصّ شعره . وظل كذلك
حتى انحرف عن سبيل الله وعكف على
شهوته الجسدية . ثم فتن بهنت هوى من
الفلسطينيين اسمها دليلة التى أغوته
بطلب من قومها لتعرف سرّ قوته الجبارة
فأناخته وقصّت شعره لما أيقنت من
فقدانه القوة التى كان يتغلب بها على
أعدائه ، وسلمته إلى قومها فقبضوا عليه
وقلّعوا عينيه وقيدوه بالسلاسل وزجّروه
فى السجن .

وفى ذات يوم استاقوه إلى بيت صنم
لهم ؛ ليتفرج عليه الشعب ويضحكوا
من حركاته . وهناك هاجت فيه روح
النقمة على نفسه وعلى آسريه . فتحايل
حتى قبض بكلتا يديه على العمودين
القائم عليهما سقف البيت وضغطهما
ضغطة زعزعته ، فسقط على جميع من

الشعرين (الأصيل والحر) اللذين
يتجاريان اليوم في حلبة الشعر المعاصر
كأنهما فرسا رهان .

فالأول من حيث الشكل : أصولي
محافظ على نظام الأبحر الشعرية المعروفة
مع اعتناؤه على الحرية التامة في استعمال هذه
الأبحر على طرق شتى ؛ من عمودية أو
توشيفية أو مُجَزَّاة إلى مقاطع وتراكيب
وأشكال جديدة لم تعرف من قبل ، وما يتبع
هذه التراكيب والأشكال من تفنن في
استعمال القوافي المتماثلة أو المتنوعة ، وكذلك
اعتماده على أصول البلاغة اللفظية ؛ من
إشراق بالألفاظ وسلاسة في العبارة ،
ومتانة في الديباجة .

ومن حيث المضمون تحرره من النزعة
الكلاسيكية القديمة التي كان الشعر فيها
مُخَصَّصًا لخدمة أفراد من العظماء والحكام
أو يكرّس لأهواء شخصية ومآرب ذاتية
من مدح وذم وفخر وغزل واستجداء
وحماس وحكمة ، وما إليه من أغراض
الشعر التقليدية القديمة ، وانطلاق في
أجواء الحياة العامة وما ينشأ فيها من
قضايا اجتماعية وحاجات اقتصادية ومشاكل

كان فيه . وهكذا قضى شمشون وأصبح
أسطورة في التاريخ وعبرة للاعتبار .
هذه الاسطورة المأساة اتخذها أبو شبكة
موضوعاً لمعنى شعري بعيد ، وختمها بالأبيات
التالية التي وضعها على لسان ذلك الجبار
إذ قال :

فاسقطي ياد عائم الكذب الجاني
وكوني أسطورة للدهور
مَحَقَّ الله في شر ظلامي
فلتضيء في الحياة حكمة نوري
إذ تكن جزّت الخيانة شعري
في ضلالى فقوتي في شعوري
ولنتحول الآن إلى الشعر الحر :

أما وقد عرضنا بعض نماذج تمثل البعد
المعنوي في شعرنا الأصيل ، الجارى على
الطريقة الرومانسية الحديثة ، فلنتحول
مقابل ذلك إلى عرض نماذج من الشعر
الحرّ الرافض لهذه الطريقة ، وقد رأينا
للاختصار أن نختار هنا لثلاثة فقط ممّن
يمثل شعرهم هذه الحركة الانقلابية .

ولعله من المفيد أن نقف هنا لنتلفت
ولو لحظة إلى ما سبقت الإشارة إليه من
خصائص يعرف بها كل من هذين

مختارات من الأبعاد العامة في الشعر الحر :

من باب الوجدانيات . أى التجارب
النفسية الخاصة :

قطعة من ديوان خليل حاوي في قصيدة
(حبّ وجلجلة) وكان يومئذ طالب علم
في جامعة بريطانية . يعانى وحشة البعد
عن وطنه لبنان وقد أَلَمَّ به مرض أَقْضَى
مضجعه ، حتّى كان يشعر باياليه وهو
..أاهد كأنّما جلاميد ثقال تضغط على
صدره . وفي تلك الحال تراءت لنفسه
صورة وطنه وأهله وأحبائه ، وكأنّهم
ينادونه أنّ يعود إليهم ، فيتجلد رغم
شقاء حاله ويصيح :

« آه ربّي .. »

صوتهم يصرخ في قبري : تعال
كيف لا أنفض عن صدرى الجلاميد
الثقال - الجلاميد الثقال .؟!

كيف لا أضرع أوجاعى وموتي
كيف لا أضرع في ذل وصمت ؟!
رُدّنى ربّي إلى أرضي
أعدنى للحياة »

سياسية ومطالب إنسانية ، وبكلمة واحدة
كل ما يتطلبه تطور المجتمع البشرى
وتقدم الإنسان ماديا وروحيا .
أما الشعر الحر الجديد فأهم خصائصه
ما يلي :

١- أنه رافض لنظام الأبحر العروضية
وما يتعلق بها من قيود وأحكام .

٢- أن شكله الخارجى عبارة عن
مقاطع قائمة ؛ إما على أساس التفعيلة
الواحدة وعلى قوافٍ ليست ضرورة
على نسق واحد فى العدد والترتيب، وإما
على طريقة الإرسال النثرى المطلق من كل
قيد من قيود الشعر . كما أوضحنا ذلك
فيما سبق .

٣- أنه يعتمد على الأسلوب الرمزي في
ألفاظه ودلالاته سواء في ذلك القريب
منه (أى الواضح الدلالة للفهم) أو
البعيد المتحجّب وراء حجب كثيفة من
الغموض .

٤- أنه كثيراً ما يركّز على الأساطير
ويشير إليها في سياق عرضه لموضوع من
المواضيع ، أو تجربة من التجارب .

وهناك خصائص أخرى ستبرز لنا
فيما اخترناه من نماذجه التالية .

ولكنه برغم ما كان يشعر به من شقاء
وَألم في غربته يتابع سيره رغم محنته
رجاء العودة إليهم ظافرا :

« وليكن ما كان ما عانيت منها

محنة الصلب وأعياد الطغاة

غير أنى سوف ألقى كل من أحببتُ

من لولاهم ما كان لى حياة

بعث . وحين . . وتمنى »

وفى رجائه يتحدى محنته وما يقاسيه
فى منفاه من مرض واغتراب ، فيخطبهم
مفاخرأ بهم وبوطنه :

« أنتم أنتم يا نسل إله

دمه يُنبِت نيسان التلال

أنتم أنتم فى عمرى

مصابيخ . مروج . وكفاه

وأنا فى حُكم . فى حُكن

وفدى الزنبق فى تلك الجباه

أتحدى محنة الصلب

أعانى الموت فى حُب الحياة »

إنه الشباب الطامح إلى العلى الذى

يتحدى فى سبيله العذاب والشقاء ،

فلا يخضع لضعف فيه أو لميل يغريه ، أن

يعحول دون بلوغه . أمانيه ، الطموخ للعلى ،
خلفها هو المعنى البعيد ؛ فى قطعة صور لنا
فيها الشاعر حاله وهو بعيد فى دار غربته .

وهذه . قطعة أخرى من ديوان الحاوى

موضوعها (المحبوس فى أوربا) استوحاها

من قصة وردت فى الإنجيل عن مجوس

جاءوا المشرق يوم ولد المسيح مهتدين

بنجم إلى المغارة التى ولد فيها حيث

خروا للطفل ساجدين . وهى فى الواقع

مقابلة شعرية بين أولئك المجوس

القدماء وما اختبروه فى جو تلك المغارة

وبين مجوس من أهل هذا العصر أقبلوا

من المشرق أيضا إلى حيث ولدت حضارة

العلم الحديث فى الغرب . وما اختبروه

فى جو هذه الحضارة . فى ليلة الميلاد

الأولى سجد المجوس خاشعين أمام طفل

إلهى تثلثت لهم فيه السماء على الأرض :

السلام والمحبة والسمو الإنسانى .

أما المجوس العصريون فماذا وجدوا وإلى

أين قادهم نجمهم وما وجدوا فى ليلة

الميلاد أحيوها فى الغرب ؟ يحدثنا الشاعر

وهو أحدهم بطريقته الرمزية فيقول :

« ساقنا النجم المغامر

عبر باريس بلدونا صومعات الفكر

عَفِينَا الْفَكْرَ فِي عِيدِ الْمِبَاخِرِ
وَبَزَومَا . غَطَّتْ النُّجُومُ . مَحَتَهُ

شَهْوَةٌ . الْكَهَّانُ فِي جَمْرِ الْمِبَاخِرِ
ثُمَّ ضَيَّعْنَاهُ فِي لَنْدُنْ . ضَعْنَا

فِي ضَبَابِ الْفَحْمِ فِي لَغْزِ التَّجَارَةِ
(فَإِذَا هُمْ فِي لَيْلَةِ مِيلَادِيَّةٍ لَا نَجْمَ فِيهَا
لَا طِفْلَ سَمَاوِيٍّ مُوَلَّدٌ بُشْرَى لِلْبِشْرِيَّةِ) .

لَيْلَةُ الْمِيلَادِ . نَصَفَ اللَّيْلَ . ضَمِيقُ
شَارِعٍ يَفْرُغُ . ضَحِكَاتُ حَزِينَةٍ
وَانْحَدَرْنَا فِي الدَّهَالِيزِ اللَّعِينَةِ
لِغَارَاتِ الْمَدِينَةِ

أَعَيْنُ تَرْتُدُّ مِنْ بَابِ لِبَابٍ
أَعَيْنُ نَسَّالَهَا أَيْنَ الْمَغَارَةِ «

فَإِذَا أَمَامَنَا بَابٌ مُضَاءٌ بِضَوْءِ أَحْمَرٍ
وَعَلَيْهِ حَفَرَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ : أَنَّمْ هُنَا وَهَذِي
هِيَ الْجَنَّةُ . فَادْخُلُوهَا آمَنِينَ . . .
جَنَّةُ الْأَرْضِ هُنَا لَا حَيَّةٌ تُغْوَى

وَلَادِيَانِ يَرْمِيَانِ بِالْحِجَارَةِ

هَهُنَا الْوَرْدُ بِلَا شَوْكٍ

وَهُنَا الْعُرَى طَهَارَةٌ

اخْلَعُوا هَذِي الْوُجُوهُ الْمُسْتَعَارَةَ

(وَدَخَلْنَاهَا مِثْلَ مَنْ . يَدْخُلُ فِي لَيْلٍ .
الْمُقَابِرِ فَسَحَرْنَا مِرْأَى أَجْسَامٍ تَقْلُوبُ ،
وَأَنْوَارٍ تَتَرَاكُصُ وَأَلْحَانٍ تَتَأَخَذُ بِمَجَامِعِ
الْقُلُوبِ . وَرَكَعًا فِي جَنَّةِ الْأَرْضِ خُشَّعًا
لِسِحْرِ الْعَالَمِ الْبَادِي) .

وَعَبَدْنَاهُ إِلَهًا يَتَجَلَّى فِي الْمَغَارَةِ

يَا إِلَهَ الْمُتَعَبِّينِ !

يَا إِلَهَ الصَّائِعِينَ !

يَتَخَفَّى فِي الْمَغَارَةِ

فِي كَهُوفِ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ

فِي أَرْضِ الْحَضَارَةِ

فِي هَذِهِ الْحَضَارَةِ الرَّمْزِيَّةِ الْمُثِيرَةِ نَرَى
الْفَرْقَ بَيْنَ مِيلَادِ الطِّفْلِ الْإِلَهِيِّ كَمَا رَأَاهُ
الْمَجُوسُ الْقَدَمَاءُ . وَمِيلَادِ التَّرَفِّ الْمَادِيِّ فِي كَهُوفِ
الْحَضَارَةِ الْحَدِيثَةِ . وَهَكَذَا يَنْتَقِلُ بَيْنَا الشَّاعِرُ
بِالرَّمُوزِ مِنْ تَصْوِيرِ الْوَاقِعِ إِلَى مَا وَرَاءَهُ
مِنْ أَبْعَادٍ مَعْنَوِيَّةٍ .

وَلِخَلِيلِ حَاوِيٍّ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الرُّوَائِعِ
الرَّمْزِيَّةِ ذَاتِ الْأَهْدَافِ الْبَعِيدَةِ الْمِرَامِي
الْفِكْرَ مَا تَتَلَأَّلُ الْمَعَانِي الْبَعِيدَةُ وَرَاءَ غَمُودِهِ
وَلَكِنَّكَ تَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ وَمَعَانَاةٍ لِتَرَاهَا

ولتشعر بلذة الكشف عن أسرارها .
على أننا إذا التفتنا إلى الشعر الحرّ في
أجوائه الواقعية من سياسية أو اجتماعية
أو وطنية وجدناه على العموم أوضح
رموزاً وأقلّ توغّلاً في ظلمات الغموض
المعنوى . ومن أمثلة ذلك ما يلي :

قصيدة (الجندى المجهول) لصلاح أحمد
إبراهيم في ديوانه غابة الأبنوس ص ٦٣ ،
حيث نراه واقفاً موقف المتهكم من وعود
الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية . فقد
كان الحلفاء يغرون شباب السودان
بالتطوع للمجهود الحربي ضد الألمان
واعدين هؤلاء الشباب بنعمة الحية
والاستقلال لوطنهم متى تم النصر لهم .
وقد تم النصر للحلفاء ، ولكن الشباب
السوداني لم يحظ من ذلك إلا بإقامة
نصب رخامي للجندى المجهول ، مما حفز
الشاعر أن يقول في قصيدة تهكمية .
«وقضى الحلفاء على القوات النارية

وعلى الوعد في الشدة مدوه في كل مكان
لم يبق لنا منه سوى الكلام المعسول
ورخام منتصب مصقول » .

وما أشبه هذا القول بقول الأخطل
الصغير في مرثاته الفيصل الأول منوهاً
بوعود الحلفاء للعرب . ثم حنثهم بتلك
الوعود إذ يقول بطريقته الرومانسية
في وعودهم الفارغة :

أملٌ كالسماء في بسمه الفجر
وفي موكب الرياض الفواغم
فرمّذ مدّت الأكفّ إليه
كفرار النعيم من كف حالم
حدثونا عن الحقوق فلما
كبر النصر أحوجتنا التراجم
نفحتنا بها الحروب سلاما

رمانا بها السلام أداهم
وفي هذه الأجواء الواقعية فيه نجد
للشعر الحر نشائد تكرست للمجاهدين
في سبيل الحرية أو المثل الإنسانية محتملين
عذاب الاضطهاد أو مضحين في هذا السبيل
بالأرواح والأجساد ، كقصيدة لبدر
شاكر السياب في بطولة جميلة بوجيرد

إذ يقول منها :
« يانفخة من عالم الآلهة
هبت إلى على أقدامنا التائهة

لا تمسحها من شواظ الدماء

أنا سنمضي في طريق الفناء

حتى تُروى من سيول الدماء

أعراق كل الناس - كل البحور

حتى تمس الله - حتى تثور .

ومن هذا القبيل قصيدة لعبد المعطي

حجازي ، موضوعها «بغداد والموت ص ١٨٠»

حيث نلمس شعوره العميق بالأسى لحال

هذه المدينة العربية عقب مصرع وطني

حر فيها بيد الطغيان ، إنه يبكي لحال

تلك المدينة ، فيقول ناقما سكوتها

عما حدث :

«بغدادُ دربُ صامت وتبّة على ضريح

ذُبابة في الصيف لا يهزها تيار ريح

نهر مضى عليه أعوام طوال لم يفيض

وأغنيات محزنة»

ويستمر على هذا المنوال واصفا شقاءها

حتى يتحول الأسى في نفسه إلى نفحة ، إذ

يتخيل ذلك الوطن الشهيد حياً يخاطب

من قبره مواطنيه صائحا : «متى الثأر ؟» ،

وقد وضع على لسانه هذه العبارات :

«من قاع حفرتي سمعت قصتي تطوى

البلاد

كالطائر الليلي يبكي ويبذر السهاد

بغداد ! طفلك الاقتيل ساهر تحت الرماد

منتظران تكتبني بالقاس تاريخ المعاد .

وهنا توامض للشاعر فكرة عن الحياة

والموت فيعكسها لنا في معنى بعيد إذ

يقول :

«الموت ليس أن تُوارى في الثرى

ولا الحياة أن تسير فوقه

«الزرع يبدأ الحياة في الثرى

ويبدأ الموت إذا ماشقه

فامنح هواك للذي يحيي

واعط للتراب ما استباحوا خنقه

فلن تموت يا مسيح إنما

على الصليب ينتهي من دقه» .

وفي رّمزه إلى الصليب والمسيح قد استوحى

معناه البعيد ، وهو أن الحق لن يموت وإنما

يموت الذين يدقون مساميره في أيدي

الشهداء من أهل الحق .

ومن واقع السجن يستوحى مثل هذه

الأبعاد المعنوية إذ يقول في قصيدته

السجن (٢٥٦)

«لى ليلة فيه

وكل جيلنا الشهيد

عاش لياليه

فالسجن بابة ليس عنه محيد .

السجن عنده باب لا عار من أن يدخله
المجاهدون الأحرار . ولكن هناك سجونا
ليست ذات أسوار وأبواب مثقلة بالحديد
هى سجون معنوية أشد وأقسى ، يقول :
« والسجن ليس دائما سورا وبابا من
حديد

فقد يكون واسعا بلا حدود

كالليل كالتيه ، نظل نعدو فى فيافيه
حتى يصيبنا الهمود » .

هو جفن نطويه على الضيم فى صمت وتخفيه ،
أو ساق لا تقوى على غير القعود فى عالم
لا يعطينا ما ترومه قلوبنا الطامحة ، وهو
أرض لا أهل لنا فيها ولا صديق .

كلمة ختامية

الآن بعد هذه الجولة القصيرة
فى أرجاء الشعر الحر الجديد ، وما يدعو إليه
من انقلاب فى نظام شعرنا العربى ، نرى
لزما علينا أن نقف متسائلين : هل
من مبرر لهذا الانقلاب ؟ وهل حقاً
أن النظام الشعرى الأصيل أضيق من أن

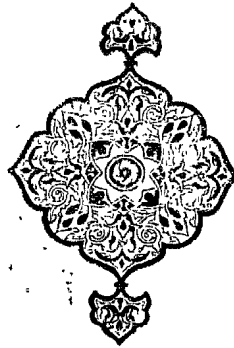
يحسن التعبير عن أبعاد الحياة الحديثة ،
بمحتطبائها المادية المعنوية ؟ سؤال يتحدانا
جميعاً لعل فى كلمتنا الختامية هذه
بعض الجواب عنه .

إذا تخيلنا عن عصبيتنا للشعر العربى
الأصيل ، وما طالما اهتزت له نفوسنا
كما اهتزت له نفوس الأجيال قبلنا
من روائع فكرية ، وعواطف ذات أوزان
شجية ، فإنه لا يسع الباحث منا
إلا أن يهتم بما يحدث فيه اليوم من انقلاب
جذرى ، فى طريقة إخراجهِ وفى الأسباب
التي دعت إليه وآلت إلى انتشاره ، فإن
شعرا مثله غريبا عن المقاييس العربية
فى ألفاظه وأوزانه بعيدا عن الأفهام
العادية برموزه وألغازه ، يجتذب فى
النصف الثانى من قرننا الحالى جمهرة
من نشئنا الأدبى ، يقبلون عليه ويرون
فيه ما يطمحهم ، بل يروى ظمأ نفوسهم
لحرى بأن ينظر إليه بعين الاعتبار
وأن يُعطى حقه من الدرس والاهتمام .
ولست أنا من دعاة هذا الشعر أو
الضاربين بسهم فيه ، وقد نشأت
فى جو غير جوه ، وشاركت أول اطلاعى
عليه المتنكرين له ، لكن ذلك لم يحل

دون رغبتى فى مواصلة الاطلاع لأتفهّمه
ولا تعرف الدوافع التى حملت أربابه
على التحول عن الأصالة الشعرية التى
عرفناها فى الأدب القديم ، كما عرفناها
فى الأدب الحديث الذى وطّدها فى
القرن العشرين ، فى رومانسية جديدة

متحررة من قيود الكلاسيكية التقليدية
متفتحة على عالم الواقع والحياة الإنسانية
العامة ، وذلك بعد أن مرّت فى طور من
الانطوائية الذاتية تعيش لنفسها فى عالم
الخيال منشدة عواطف الحب ، والجمال
فى نفثات من الأسى ، لما حرّمها الزمان
من رغائب وآمال ، هذه الرومانسية
الجديدة التى تجمع بين المثل العليا
وواقع الحياة هى التى تبثّها أعلام
القرن العشرين ، فأخرجوها من منعزلاتها
الذاتية ، وأنزلوها من أبراجها العاجية

أنيس المقدسى
عضو المجمع من لبنان



الشعر احسنه

ومكانه من الشعر العربي

للدكتور عبدالرزاق مجبى الدين

الحقيقية الأولى . وتتل وتندر فيه الدلالات
الحجازية ، ولا يتكلف فيه قدر محدد في أبعاد
الجملة وأطوالها . ولا جرس معين في نهاياتها .
وفي النثر الأدبي ألفوا من حيث الشكل
أن يكون نثرا مرسلا أو مفصلا مزدوجا
لا يلتزم نهاية بعينها . وإن التزم قدرا متشابها أو
مقاريا . ونثرا مسجوعا وهو ما يلتزم أبعادا
متقاربة في الحمل والتزاما محددًا في النهايات ،
إلى الاكثار من إيراد المعاني الحجازية كثرة
بخرج به عن أن يكون نثرا علميا
يأتمم الحقائق الأولى في التعبير . لكنهم وقد
استعجزوا والخروج إلى المحازات في البيان
الأدبي اشترطوا شروطا للخروج بالمفردات
عن معانيها الأولى . بحيث يكون القصد
واضحا ، والخروج بالنظ عن معناه مقبولا .
وذلك ما تكفل به عالم البيان .

أما الشعر فقد انتصوه بظاهرتين : إحداهما
تتعلق بمضامينه والأخرى بشكله وهيئته
ففي المضامين ألفوا أن يخرجوا بالألفاظ عن
معانيها الحقيقية خروجًا بالغا ، بحيث تطغى
المجازات على الحقائق طغيانا واضحا أحيانا

في الآونة الأخيرة بين
المثأدين وبخاصة الناشئة
منهم نظم الشعر على أسلوب جديد يختلف
عن الأسلوب العربي الذي درج عليه الشعر ،
من التزام للوزن والقافية ، ومن تقييد بأسلوب
البيان العربي في جملة ما كان الخروج
على الوزن والقافية في هذا الشعر الظاهر الوحدة
فيه ليتمكن أن تتجاوز ونفص الطرف عنها
ولكن التهجوا وتناول البيان العربي بجملة على
وجه لا يصح السكوت عليه .

وسأبدأ بمقدمة موجزة أحدد فيها صور
البيان العربي المختلفة ؛ لنشخص المجال الذي
يشغله هذا الشعر بين صور البيان
ولنشهد فيما إذا كان ما يسمى بالشعر الحر
شعرا عربيا أو نثرا عربيا ، أو هو شيء ليس
من الشعر ولا من النثر العربيين .

بوجه عام قسم العرب كلامهم إلى شعر
ونثر ، وقسموا النثر إلى علمي وأدبي ،
وفرقوا بين ما يكون نثرا علميا أو نثرا
أدبيا ؛ بأن النثر العلمي تسوده الدلالات

بحين تقف بها عند حدود مادلت عاينه
الألفاظ من حقائق (وإن تكن قيمه) لم يكن
لما أوردته كبير أثر في نفوسنا، إنما نستشعر
الطابع الشعري في الطاقة التي تحماتها
الآبيات بنجواز الحقائق الأولى منها إلى
الحقائق الثانوية :

كذلك الحال في قول أبي الطيب المتنبي :
ووضع الندي في موضع السيف بالعدى
مضمر كوضع السيف في موضع الندي

ليس الذي بهرنا منه الحقائق التي دلت
عليها جملة من معاني : ووضع الندي في موضع
السيف بالعدى مضمر . أو كوضع السيف
في موضع الندي . إنما الذي بهرنا
ويمكن له في أن يفعل في نفوسنا الطاقة التي
تحملها هذا البيت من معان . فتنقلنا إلى مجالات
أخرى ليس فيها السيف والندي والعدى . هو
مثلا : وضع الأناة في غير موضعها ، والهجوء إلى
العنف واللين بأولى منه . والصفح في مقام
يكون العقاب والقصاص أجدر ، إلى غير ذلك
من مجالات .

وتمسكا بهذه الخاصية التي تعتبر الميزة
الأولى للنثر الأدبي وللشعر خاصة وأعني بها
استعمال الألفاظ في غير معانيها الحقيقية .
وتلافياً لما يمكن أن يقع فيه الشعراء من تجاوز
على القيم والطاقات التي تتحملها المفردة في
الاستعمال ، التزم العرب قوانين تنظم عملية
التصرف في اللفظ : ولم يتركوا الأمر
بحيث يباح للأديب أو الشاعر أن يطلق

وإن تكن الحقائق هي المرادة على أي حال .
وهنا مواطن الفنية في الشعر والصعوبة في التأني
له ؛ ذلك أن تقول شيئاً ونريد شيئاً آخر . وأن
يفهم منك السامع الشيء الذي لا تقوله وأن
يستحسن منك التصرف الذي أوقعته بالألفاظ
وبالمعاني من تجاوز . ولعله لهذا ألمع القائل حين
قال : إنما الشاعر البحتري وأبو تمام والمتنبي
حكيمان . ومن هذا الملاحظ عدء أبو العلاء
شاعراً في ديوانه سقط الزند . وحكما في ديوانه
اللزوميات ، لأنه استعمل الحقائق التي في غالب
اللزوميات ، وبدت وكأنها سر دلحقائق حكمية
يصلح لها النثر أكثر مما يصلح الشعر .

ولهذا لم تكن الحكمة في الشعر بلداتها وفي
الأمثال المنشورة (وإن تكن قيمة) مجال
الإعجاب والإكبار . وإنما مجال الإعجاب فيها
بقدرتها على التجاوز إلى معاني أخرى مجازية
بالنسبة لها .

فالحكمة في شعر زهير بن أبي سلمى .
لا ينظر إليها بإعجاب حين تلحظ من جانب
الحقائق التي وردت فيها . وإنما من حيث
مجالات استعمالها في مواطن شبيهة بها مجازاً ،
أي حين توردها مورد الاستعارة التمثيلية
فقله مثلاً .

ومن لم يند عن حوضه بسلاحه

يهدم ومن لا يتق الشتم يشتم

أو قوله :

ومن لا يصانع في أمور كثيرة

يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

اللفظ . ويريد ما شاء . إيماناً منهم بأن لكل مفردة أبعاداً معينة في مجالات الاستعمال إذا خرجت عنها أو تجاوزتها فقدت الكلمة طاقتها الدلالية . وظلت مجرد صوت ليس من وراءه معنى مفهوماً ، ولقد تكفل بتنظيم عملية التصرف بالألفاظ علم البيان كما ألحنا سابقاً ، فلم يبح للأديب وللشاعر أن يتصرف في اللفظ ، وينقله إلى غير معناه ، إلا أن تكون هناك صلة بين المعنيين . يدركها ويحس بها السامع ، فإن لم تكن هناك صلة يتحسسها السامع تحسناً كما لو كان على علم مسبق بها . فليس للشاعر ولا للأديب أن يتصرف في اللفظ . ذلك أن عملية الفهم شركة بين المتحدث والمتحدث إليه ، ليس لأى منهما بمفرده أن يدعيها بمنأى عن الآخر ، فإذا ادعاهما المتحدث ولم يستشعرها السامع كان المتحدث مغرباً غير مبين . وإذا ادعاهما السامع ولم يقصدها المتحدث كان السامع محرفاً أو مثولاً بغير دليل . ولن يتم فهم سليم بين المتحدث والمتحدث إليه إلا حين يكونان على أمر سواء من العلاقة ، نظير ما يكرنان عليه من علم بالحقائق اللفظية للكلمة . لهذا عيبت المفردة الغريبة ، والاستعارة الغريبة ، لأنهما ليستا من مدركات السامع . وإن قامت في فهم المتحدث .

وحين قيل لشاعر : لم تقول ما لا يفهم ؟ قال لم لا تفهم ما أقول ؟ ظل الحوار في مكانه لا ينتهي إلا بأن يقول الشاعر ما يفهمه السامع . وادعاء بعض الشعراء أنهم يدركون العلاقة بين الأشياء من وحى لا يدركه الآخرون قد يكون أمراً حقاً في بعض الأحيان ، أو يكون

ظاهرة نبوغ وإبداع في أحيان أخرى . ولكن الأديب مسئول في حدود إبداعه . أن يكون على صلة بمفاهيم الذين يكتب أو ينظم لهم . وفي حدود ما قرره علم بيان اللغة ، وإلا فبأى تمييز أن يكون مبدعاً أو أن يكون مخلصاً موسوساً ما لم يكن هناك نقطة التقاء على نوعية العلاقات المقبولة وغير المقبولة بين القائلين والسماعين . وما لم نفهم على طريق التعبير أضواء ترشد السامع إلى قصد القائل .

لقد أعجب الناس بأبيات أبي الطيب في وصف « الحمى » التي انتابته في مصر . وقد تحدث عنها كما لو كان يتحدث عن فتاة تزوره . وما أعرف قبل أبي الطيب شاعراً وصل بين الحمى والحبيبة . فليست هذه الاستعارة من مألوف الناس . ولكن أبا الطيب بما ألقى من أضواء على قصيدته أتاح للسامع أن يبتدى لهذا التشبيه الغريب عاية . مستدرجاً إياه إلى قبول العلاقة الغريبة التي ما كان يبتدى إليها لو ترك بحاله وإدراكه من أبي الطيب لخطر هذا التشبيه غير المتوقع من السامع . استدرج روضه على قبول التشبيه : فيعد له من الخصائص المشتركة بين الحمى والفتاة زائرتة ما يكشف عن المشابهة بينهما في الخصائص المشتركة ، حتى يطعن السامع بأن ما فعله كان مستساغاً مقبولاً :

وزائرتي كأن بها حياء

فليس تزور إلا في الظلام

فرشت لها المطارف والحشايا

فعافتها ونامت في عظامي

إذا ما فارقتني غسّلتني
 كأنّما عاكفان على حرام
 كأن الصبح يطردها فتجري
 مدامعها بأربعة سجام
 أبنت الدهر عندي كل بنت
 فكيف وصلت أنت من الزحام
 جرحت مسجّراً لم يبق فيه
 مكان للسيوف وللسهام
 يقول لي الطبيب : أكلت شيئاً

وداؤك في شرابك والطعام
 وما في طبه أنى جواد
 أضرب جسمه طول الحمام
 تعود أن يغبر في السرايا
 ويدخل من قتام في قتام

إنه بدأ استعارته في أول كلمة من
 المقطع (وزائرتي) ، لكنه شعر أنه مورط
 في تشبيه غير مألوف إذا استمر فيه من
 دون إلقاء ضوء على ما يريد بهذه الزائرة ،
 وسيتبقى غير مفهوم وسيضل السامع فبادر يقول :
 كأن بها حياء . ولم يقل : بها حياء ، فاستعمل
 الكاف لينوه بأنه لا يقصد امرأة بها حياء وإنما
 يقصد شيئاً يشبه أمره وأن يكون به حياء
 وأكمل البيت بقوله :

(فليس تزور إلا في الظلام)

والزيارة في الظلام حالة تشترك فيها المرأة
 الحبيبة والحمى التي تعتاده في الليل .

ثم قال : (فرشت لها المطارف والحشايا
 فعاقبها) ، وهي حالة تكون من شأن

المرأة حين تزور فتفرش لها المطارف
 والحشايا ، لكنه إبعاداً ؛ لأن يكون
 المقصود بالزائرة امرأة قال : فعاقبها ونامت
 في عظامي ؛ ليأتى ضوءاً من جديد على أنها
 ليست امرأة هذه التي تزوره . وإنما
 هي شيء آخر ، هي شيء يعتاده ولا ينام على
 حشية أو فراش ، ثم قال :

إذا ما فارقتني غسّلتني . والغسل من
 مثله يعقب عادة مثل هذا اللقاء .

ولكنه قال : « غسّلتني » ولم يقل : « اغتسلت »
 لينوه بأنه اغتسال مجبور عاينه لم يأت به
 استثناء للطهارة ، وإنما يأتيه بفعل ما تنزله
 به الحمى التي تعتاده في الظلام ، ثم قال :
 كأننا عاكفان على حرام ، ولم يقل : لأننا
 عاكفان على حرام ، ليأصح أن هذا
 الاغتسال ليس اغتسالا لفعل ما يوجب
 الاغتسال ، وإنما اغتسال آخر من أثر
 ما يصيب المحموم .

ثم عاد ليجد مبرراً آخر لتشبيهه الحمى
 بالفتاة فقال : « كأن الصبح يطردها فتجري
 مدامعها » .

وهو حال يكون من الفتاة الطارقة تحت
 جنح الليل ، والحمى للمعادة التي تعتاده
 في الليل .

ثم أتم بأربعة سجام ليقول : إن المراد
 بالزائرة ليست فتاة لأن الفتاة تبكي بعينين
 لا أربع ، وإنما أريد بها حمى تعتادني فيرشح
 لها جسمي من جهاته الأربع .

ولو أن المتنبي وقف عند تشبيهه الحمى
بنتاة زائرة لكان مغرباً في تشبيهه ولأنكرنا
عليه وجه الشبه بينهما ، ولو وجدناه متجاوزاً
في استعمال كلمة « زائرة » للحمى . ولكنه
وهو المدرك . لخصائص التعبير الشعري ،
وما يمكن أن يؤخذ به في هذا التشبيه
غير المألوف . استطرد يوالى عرض
الخصائص المشتركة بين الفتاة الزائرة ،
والحمى المعاودة ؛ ليقرب لنا سرّاً ما أقدم
عليه . ويلقى الأضواء على مراده من هذه
الزائرة « الحمى » : فيميزها بخصائصها التي
تتفرد بها حتى لا نضل المقصود منها ، ومع
كل هذا أنهى أبياته بقوله :

يقول لي الطبيب إلخ . . .

وطبيعة الشعر مطالبة بشئ من هذا حتى
في الحالات التي تكون العلاقة فيها بين الشئتين
مألوفة معروفة من السامعين : وحتى في الحالات
التي يمكن أن يورد فيها التشبيه مجحلاً كما يذكر
البلاغيون . فما لم يلمس الشاعر وجوداً للعلاق
تدق بعض الشئ فإن ما يقوله سيظل
أمراً معتاداً لا إبداع ولا جودة فيه .

لننظر إلى شاعر العصر « أحمد شوقي » وهو
يأخذ تشبيهاً مألوفاً كثيراً التردد في الشعر والنثر
وجلىّ العلائق في أذهان السامعين ، كيف
يتناوله في عرض لخصائص كل من المشبه
والمشبه به في استزادات لم يبلغها غيره .

يقول في قصيدته في « بكفيا » :

وأغنّ أكحل من مها بكفية
علقت محاجره دمي وعلقتُه

دخل الكنيسة فارتقت فلم يطل
فوقفت دون طريقه فزحمته
فازورّ غضباناً وأعرض نافراً
حال من الغيد الحسن عرفتُه
قد جاء من سحر العيون فصادني
وأثيت من سحر البيان فصدمته
فصرفت تاعالي إلى أترابه
وزعمته لباني فأغرته
فدشني إلى وليس أول جؤذر
وقعت عليه حباتي فقنصته
لما ظفرت به على حرم الهوى
لابن البتول وللصلاة وهبته

فهو منذ بدأ الاستعارة في مطلع البيت
(وأغنّ أكحل من مها) استشعر بأن عليه
واجباً في أن يفصح عما يعنيه من هذا الأغن
الأكحل ، فأضافه إلى « بكفية » ليزيل ما
يحتمل أن يصرف إليه لفظه « أغن أكحل
من مها » فبادر بحدد قصده منه أنه
من مها بكفية . وليس « بكفية » من مواطن
الآرام ، وزاد بأن قال : علقت محاجره دمي
وعلقتُه ، وأضاف أنه دخل الكنيسة فارتقت
حتى إذا خرج وقف دون طريقه وهي من
صفات الإنسان ، ثم عاد إلى شيم المهمل والظباء
حين يعترضها معترض فتوسع بشرحها فقال :

فازور غضباناً وأعرض نافراً ، ثم دفع
أن يكون ذلك ظلياً فقال : حال من
الغيد الحسن عرفتُه ، قد جاء من سحر
العيون فصادني . ثم رجع إلى المشبه به
فقال : فصدمته . ورجع إلى المشبه الفتاة فقال :
فصرفت تلعالي إلى أترابه وزعمته لباني

فأغرته ، ثم رجع إلى المشبه به فقال : فشى إلى وليس أول جوذر وقعت عليه حباتي فقصته . ثم أنهى ترده وبين أن يكون المقصود ظهيا أو غانية : فقال :

لما ظفرت به على حرم الهوى
لابن البتول وللصلاة وهبته

وهكذا يتأتى للشعر ويقصد له ، من أجل تقريبه من ذهن سامعه وإلقاء الأضواء على طريقة تعبيره . أما أن يضع لفظاً مكان لفظ ولا مناسبة مألوفة بينهما . أو تكون له مناسبة في ذهن الشاعر ولا عهد للسامع بها . فلذلك أمر غير مقبول شعرا كان أم نثرا ، مادام لا يتوفر على أسباب الوضوح والظهور ، لأن الفهم أساس في أى بيان . يقول «ابن سنان» في كتابه «سر الفصاحة» : إن الكلام غير مقصود في نفسه وإنما احتيج إليه ليحبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني التي في نفوسهم فإذا كانت الألفاظ غير دالة على المعاني ولا موضحة لها فقد رفض الغرض من أصل الكلام . وكان ذلك بمنزلة من يصنع سيفاً للقطع ويجعل حده كليلًا ، ويعمل وعاء لما يريد أن يحرز فيه قصد إلى أن يجعل له خروقا تذهب بما يوعى فيه ، فإن هذا مما لا يفعله عاقل . ثم لا يخلو أن يكون المعبر عن غرضه بالكلام يريد إفهام ذلك المعنى أو لا يريد إفهامه ، فإن كان يريد إفهامه فيجب أن يجتهد في بلوغ

الغرض بإيضاح اللفظ ما أمكنه . وإن لم يرد إفهامه فليمدح العبارة عنه فهو أبلغ في غرضه .

هذا ما يقال في الكلام من حيث هو كله نثراً علمياً أو نثراً أدبياً ، أو شعراً موزوناً متقياً . وما يخرج على ذلك يخرج على البيان العربي جماله وتفصيلاً .

ولكن للشعر أساليباً من أساليب الأداء العربي لو حظت فيه : اعتبارات سنّت له طريقه سوى ما قدمناه من شروط الظهور والوضوح للبيان العربي بجماله ، اعتبارات خاصة في الأغراض ؛ فليس كل غرض يصلح له الشعر ، اعتبارات خاصة في المعاني ، فليس كل معني صالح للأداء به ، واعتبارات معينة في هيئة تأليفه فليس لإيراده على أية هيئة مدخلا له في باب الشعر ، إنه لا بد أن يتوفر على جملة ما يشترط في الشعر الجيد ويدخل في العمود الشعري الذي هو المثل الأعلى والمقتدى به في الشعر العربي ، وإن لم يتوفر على جملة خصائص الشعر واكتفى بالوزن والقافية كان من الشعر وليس من عموده ، فليس كل موزون متقنى داخل في العمود حين لا يتوفر على أسباب الأصالة والصدق ومهينات الصناعة الشعرية ؛ فإن خرج على الوزن والقافية عن أن يكون شعرا عموديا أو غير عمودي ، وانتقل إلى باب النثر ، إن كان كان به صلاح في أن يدخل في باب النثر فإن لم يك صالحا لذلك خرج عن أن يكون

من البيان العربي شعره ونثره. ولن يكون الخروج على بيان أية أمة تطويراً في أسلوبها ، لأن تغيير أسلوبها -البياني- يعنى موت اللغة موتاً نهائياً وإحلال لغة أخرى محلها. وذلك ما هو مقرر لدى المعنيين بالدراسات اللغوية .

يبقى لنا أن نتساءل عن المبررات والأسباب التي حثت بجماعة الشعر الحرّ لأن يخرجوا على الوزن والقافية في هذا الذى يسمونه شعراً حرّاً . لعل في مقدمة المبررات من حيث الشكل أن الوزن والقافية قيدان مكبلان لا يستطيع معهما الشاعر أن يؤدي غرضه بحرية في اختيار المفردات ولا في اختيار هيئة التأليف ، وأن التأتى للمفردة الصالحة في لفظها ، والملائمة في معناها ، مع الحفاظ على الوزن والقافية يستدعى معاناة وجهداً يتجاوزان الطاقة على وجه يستوجب أحياناً قبول ما لا يوائم وطرح ما يوائم ، في إدراك لطبيعة هذه الصناعة . وهذا حق ومبرر سليم إذ أن الصناعة الشعرية صناعة دقيقة مجتهدة تستدعى التأتى لها طاقة لغوية عالية على تطوير العبارة ، بتقليبها على وجوه شتى حتى يهتدى إلى الوضع المتوازن السليم ، والقافية غير المتكلفة وغير النابية ، وهو شئ يتحقق لشخص دون آخر ، ولطاقة شعرية دون أخرى ولكن هذا الفن لن يتحقق فنيته إلا بالصورة التي ينعونها عليه .

وقد عرف العرب ذلك وأدركوه وقد

كان بإمكانهم أن يتخالفوا عنه . لكنهم لم يفعلوا ذلك إدراكاً لما للوزن والقافية من بليغ أثر في الصناعة الشعرية .

ولقد تحدث الشعراء عما ياقون في سبيلها وليس المطلوب من كل الناس أن يكونوا شعراء ولا من كل الأغراض أن تؤدي بالشعر وفي النثر الأدبي مندوحة ومجال واسع . وقد قيل منذ القديم :

الشعر صعب وطويل سلّمه

إذا ارتقى له الذى لا يعلمه

زلّت به إلى الخضم قدمه

يريد أن يُعرب فيُجمعه

ولكن هذه المعاناة المبذولة في سبيل الوزن والقافية لم تذهب سدى ولم تضع حداً . بل حققت للشعر من المزايا ما لم يتحقق بالنثر من ضبط الفكرة . وتقييمها ، ووضعها في إطار يحفظها . ويبقى على شخصيتها ، فيستقل البيت عن جملة القصيدة حين يراد انتزاعها منها ، وينتفع به بمفرده قدر ما ينتفع به موصولاً بجملة الأبيات .

وتلك مزية لن تتأتى والبيت الشعرى لا يضبطه وزن ، أو تختمه قافية ، لهذا لا ينتفع بالشعر الحر — إن كان به قدرة النفع — إلا حين تقرأ القصيدة كلها ، فليس يجزئ منه قابلية الاستقلال ، كما في الشعر الموزون المقفى . في الشعر الموزون المقفى ينتفع بالقصيدة أبياتاً مجزأة ، بل ربما انتفع بشطر من بيت

يكون شطره الثاني مجال انتفاع لفكرة أخرى ، لنأخذ قول المتنبي :

لولا المشقة ساد كلهم

الجود يفقر والأقدام قتال

ولنما يبلغ الإنسان طاقته

ماكل ماشية بالرحل شمال

ذكر الفتي عمره الثاني وطاقته

مافاته وفضول العيش إشغال

لأنه بفعل القافية والوزن ، وضبط أبعاد

العبارة تهيأ لنا أن ننتفع بكل بيت مستقلا

وبكل مجزوء منه مستقلا . وبالأبيات موصولا بعضها ببعض .

وهناك واقع له بالغ الأثر في عقد صلة بين

الشاعر وسماعه ، حين تكون قصيدته موزونة

متفافة . وتربية الصلة بين القارئ والسماع

تعين أيما عون على التقى وحسن التقبل ،

وهي بالتالي تصعد من عملية التأثير بالشعر

بحكم التجاوب الذي هيأه الوزن والقافية ،

فنحن حين نسمع البيت الأول من القصيدة

نتهيأ لمشاركة نفسية ، وتجاوب تعبيرى ، نفتح

به للقائل آفاقنا النفسية ، فنأخذ منه ونعطيه

خلال إلقائه وسماعه ، ونبادل وإياه المعاني

والعبارات والصور ، وليس شيء من هذا

بمئات والكلام لا يرتبط بوزن ولا يتحم

بقافيته ، إذ لا ندرى حين يبتدئ الشاعر

إلى ما ينتهى ، وكيف ينتهى حتى تهيأ أنفسنا

للتلقى .

هذا ما يقول ميرّ الشعر الحرّ من

حيث الشكل .

١٠ أما ميرّهم لأمّن حيث المضمون فلنّ مما

يحتج به قالة الشعر الحرّ : أن

العصر بمفاهيمه وعلائقه اختلفت

اختلفاً كلياً عن العصور التي سبقتها ،

وأن دنيا جديدة من العلائق قامت بين

المدركات . ولذلك لا يصح أن تبقى العلائق

بين الأشياء على النحو الذي كانت عليه ،

بل لا يمكن أن تبقى على ما كانت عليه ،

فلا بد من تجديد في العلائق ، وإبداع

في الصور . وتجاوز للمفاهيم التي لم تعد

ملائمة لحياتنا المعاصرة .

مثلاً لا يصح أن تبقى العلاقة بين نظافة

القدور والبخل في الكناية . ولا بين الرجل

والأسد في الشجاعة ، ولا بين الليل والبحر ، على

حد ما قال امرؤ القيس : وليل كموج البحر ،

إلى آخر ما ألفناه من صور الحجاز والاستعارة .

وتلك دعوى لها ما يبررها بل لها ما

يلزم بها ، فليس في الإمكان الإبقاء على العلائق

بين الأشياء في الشعر ، حين تزول تلك

العلائق في المجتمع ، ومن مدركات أبنائه ،

بل ليس من الصديق الفني أن تبقى على صور

ليست لها في نفوسنا ولا في المجتمع الذي من حولنا

أثارة من وجود ، ولكن لا نطالبهم بالإبقاء

على الصور القديمة التي زالت من الوجود

أو على العلائق القديمة التي انتفت بين ،

الأشياء ، بل نطالبهم بالاحتفاء بالعلائق

الجديدة ورصدها ، ولكن على ألا يختلوا

علائق ليس لها وجود بين الأشياء في حياة

مجتمعاتهم ، ولا في مدركاتهم هم أنفسهم

« بدم القلب بطاقات الرماد

كتبت

أين كنوز السندباد

يازاد المعاد

آه لو أحرقت أشعاري

وأحرقت الليالي بالمداد

لكتبت

مرة أخرى — بطاقات الرماد — بدم

القلب وأطعمتُ القوافي لاجراد . ا »

ولست بحاجة إلى التعليق على ذلك .

وقريب منه مناسب إلى «حبيب إسطنبول»
في قطعة خماسية الأدوار يصف ما ورد في
الأسطورة الفينيقية من مصرع الإله «أودونيس»
على بعض جبال «لبنان» ونوح حبيبته
الزهرة عليه عندما شاهدت حبيبها أودونيس
مضرباً بدمائه بعد أن صرعه وحش ضار
هصور هناك :

«أواه على أودونيس كيف يُجرّئ على الصبح
يصبغها دمه الجارى من أعضائه الناعمة
هاهو في الوادى يفتسه الحيوان الهصور
أواه .. أودونيس قد مات :

وأسرعت لها الإلهات قد هالها الصياح
إلهات الأشجار والأنهار والربى والوديان
لا طمات الحدود ، رافعات العويل والنياح
باكيات بأشجى الألحان .

والتفنن حولها ينحن معها على الحبيب
يا أودونيس كيف مدت إلى الإله يد الحمام ؟ ! -

بل يأتونها تقليداً . ومتابعة لبيئات غريبة
عنهم ، ولحجومات لعلها بادت وبقيت لها
أنارة من وثنية . وقصص أسطوري خرافي
لا يقره علم . ولا يسمو به خيال ، وقد
تخطتها البشرية منذ سادها عقل . وسما
خيال .

لقد مرت العربية خلال عمرها الطويل
بأدوار تجددت فيها الأفكار . وكان لها
في كل دور فكر يختلف عن غيره .
وتفاوتت الأحياء فكان لها في كل دور خيال
يختلف عن خيال سواه . ولكن الأديب العربي
يستطيع أن يقرأ شعر تلك العصور جميعاً
فلا يفريق بها فهمه : ولا يتبدل معها حسه
ولا يستشعر أنه يدخل بيئة غريبة عليه
ضيقه به . لا يدرى من أين يسلك إليها
ومن أين يخرج ، ولكن الأديب العربي حين
يقرأ الشعر الحر في غالب نوعيته يختلف
عن حاله حين يقرأ مختلف ما مر على الشعر
العربي من صور التجديد والتطوير .

وسأتلو نختين من الشعر الحر مما يعتبر
من أحسن صوره ؛ لنستجلى ما بلغه الشعر على
يد دعائه من إضاعة لأصول البيان العربي
وطبيعة شعره .

وسأختارهما مما عدّه بعض مؤرخي الأدب
وشيونخه تجديداً في الشعر وثورة في تطوره .

يقول البياتي من قصيدة عنوانها «الموت
في المنفى» .

فماذا تنتظر من وراء هذا العنوان :

يا أودنيس كيف ذبل غصنك الرطيب
ويبس زهره البسام ؟ !

أهذه هي الأنخيلة التي جدت على العربية ؟ !
أهذه هي المعاني التي ضاق بها الشعر
ذو القوافي والأوزان ؟ ! أى ذوق يسمو
بهذا أم أى عقل به يستعين .

ويحسن أن نورد أخيراً من قصيدة
لشاعر يُعد من كبار الشعر الجديد :

خذوا كل شيء

خذوا العصفور عند الصباح

وصمت المفاتيح - خمرة كأس

وخمرة نار وحيدة

ولا تتركوا لى قصور العناكب

أحلامها معلقة بخيوط السماء

خذوها . خذوا كل شيء

نقيق الضفادع - رفيف الخفافيش

عند المساء .

وآثار أقدامهن الرتيلات

عند مسندى

ودعوني . دعوني

بعيداً عن الأسواق

لأن الجداول عند الرجوع

تحت هذه السهول

وصوت السكينة تخانها

هناك على الشطوط

وحين أموت خذوا جسدى

ولا تدفنوه

لأنه يقوم مع الفجر

ويكشف سر الإله

إن ما يسمى بالشعر الحر خطر على
أذواق الناشئة . يقطع صلتهم بماضى
ببائهم العربى . ويحول بينهم وبين الانتفاع
به ميراثاً حضارياً .

لقد بدا الخطر واضحاً على أذواق الناشئة ؛
فليس للناشئة المعاصرة التدوق الذى كان
للناشئة قبلها . وهم لا يقبلون على
القصيد العربى نظير ما هم يقبلون على الشعر
الحر ، على أننى واثق بأن الغلبة الغالبة
منهم لا يفهمون منه قصداً ، ولا ينتفعون
به مادة ثقافة ، وتلك مصيبة حرجية بالتخلص
منها ، والتوجه بهم إلى ما يمكن أن يفهم ويعلم .
وكلمة أخيرة أوجهها إلى مؤرخى
الأدب العربى وأساتذة الجامعات ؛ بأنهم
مطالبون بتتبع حص هذه الظاهرة حتى لا
يخدعوا ببهرجتها ، وحتى يكتشفوا ما بها
من زيف ، فإن تسجيلها ورصد ها بالثناء
والحمد يعين على تفشيها ، ويكشف
عن عجز مؤرخى الأدب العربى عن فهم
واقع البيان العربى .

إن الشعر الحر فيما رأينا ليس من النشأة
العلمى لأنه لا يعنى علماء ولا ياتزم
المداليل الأولى فى التعبير ، وهو يخل بالحجرات
بشكل واسع ، ولا هو من النثر الأدبى
لأنه لا يلتزم ضوابط العبارة العربية فى
الأداء للمجازات وللاستعارات ، ولا
من الشعر العربى ؛ لأنه لا يلتزم ذلك ؛ ولا
آداب الوزن والقافية .

عبد الرزاق محيى الدين

أعضو المجمع من العراق

بواعث زهد أبي العلاء

- ١ -

للككتور احمد المحمدي

هو

الشاعر الفيلسوف

أحمد بن عبد الله

المعري نسبة إلى بلده المعرة ، وهي قرية صغيرة في شمال سورية ، بين حلب وحمص .

ولد سنة ٣٦٣ وتوفي سنة ٤٤٩ هـ . فأدرك القرنين الرابع والخامس وهما أغنى عصور العلم والأدب واللغة ، وأحفلها بالثقافة المذوعة . تتلمذ في المعرة لأبيه .

وأخذ عن علمائها . ثم رحل إلى حلب يطلب العلم . وكانت تشرق بالعلماء

والأدباء والفلاسفة منذ اجتذبهم إليها

أميرها سيف الدولة الحمداني ، ثم سافر

إلى أنطاكية وانتفع بنفائس كتبها ،

ثم ارتحل إلى طرابلس ، ومروا باللاذقية

فنزول في دير فيها ، وتأثر براهب

متفلسف هنالك وأخذ عنه بعض الآراء ، وبعد ذلك شخص إلى بغداد عش العلوم والآداب ، ووعى ما شاء من مكتباتها ، وشارك في نواديها الأدبية والعلمية ، وأعجب به علماءها ، وأعجب بهم ، وقضى هنالك سنتين لم تمنح السنون من نفسه ذكرياتهما ، كان لهما أثر في نضج عقله وسعة ثقافته ، ثم عاد إلى المعرة . ولزم منزله . وانقطع للتفكير والتأليف إلى أن مات .

بواعث زهده

١ - العمى :

فجع أبو العلاء في بصره طفلاً ، فشب في عالم حالك الظلمة ، لا يميز مليحه من دميحه ، ولا قبيحه من وسيمه ، يتحسس في وجهه ندوب الجدرى ،

٣ - موت والدته :

وبعد سنوات من موت أبيه فجع في أمه . فعظمت مصيبتة . وفقد ينبوع العطف الذى طالما نعم به ووثق بصفائه وخلوصه له . فهزته هزة المصيبة وهدته . وزادته شعورا بضعفه ونقمة على الحياة والأحياء . قال في رثائها :

إن ينقطع منك الرجاء فإنه
سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

وقال في رسالة إلى خاله ينعاها له :
« فله الحمد ممزوجاً به الدمع . مُسْتَكَاً
له من الوجد السمع » فأصبح حمده الله
بدمعه . وصور الحزن قد أثقل الحمد على
سمعه .

٤ - فقره :

كان أبو العلا فقيراً ، يغل عليه وقف
لأهله ثلاثين ديناراً في كل سنة . يعطى
خادمه نصفها ، ويستبقى لنفسه النصف
الباقى . لكنه كان يستطيع أن يشرى لو
أنه سلك سبل الكسب والثروة ، وبخاصة
أنه من أسرة عالم وفضل ورياسة ووجاهة

ويحس قصوره عن الناس . فهم مبصرون
وهو كفيف ، يسمعون يتحدثون عن
الأرض والسماء ، ويسمعان الأدباء
في وصف الطبيعة والجمال . فتأخذه
من ذلك حسرة أى حسرة .

وليس في الحياة آلم من فقد البصر .
على من كان حساساً وشاعراً يجسم خياله
بلواه ، ويمضه التفكير في نصيبه التعس
من الحياة .

٥ - موت والده :

ثم حرمه الموت عطف أبيه في الرابعة عشرة .
وفقد الأب نكبة على من هم في سن
أبي العلاء . ونكبة مضاعفة على ذى العاهة ،
فقد كان أحوج إلى أبيه ليعتمد عليه ،
ويستند إليه ، ويعتز به . ويتناسى
في بحبوحة عطفه آلام عماء . ويستشير
بتوجيهه العلمى والأدبى . فقد عرفنا
أن أباه كان أستاذه الأول . لهذا حزن
عليه حزناً شديداً ، فقال يرثيه :

فليت فمى إن شام سنى تَبَسُّمى
فم الطعنة النجلاء تَدَمَّى بلاسِن^(١)

(١) شام : رأى .

في المعرة ، ولها نسب عريق في القضاء ،
ومنها من ولي المعرة ، غير أنه كان حياً
أبياً عظيم النفس ، لا يتكسب بالمدح ،
ولا يقبل العطاء ، وكان إلى ذلك محسناً
سخياً ، فإن الشاعر الفارسي ناصر خسرو
زار المعرة قبل موت المعري بعشر سنوات
تقريباً ، وقال عنه إنه رجل عظيم الجاه
في بلده ، وذو ثروة ينفق منها على الفقراء ،
ولكنه يعيش متقشفاً زاهداً .

وفي شعره وفي نثره أدلة على أنه كان
يهدى إلى بعض الأدباء ، كقوله وهو في
الخمسين من عمره يعتذر لفقيره عن
صغر هدية :

فيا ليتني أهديت خمسين حجةً
مضت لي فيها صحتي وشبابي
وقلت له : فاترك ثلاثين أسوداً
معي ما تكشفت تُلَفَ غير لباب
لعل الذي أنقذت يكفيك ليلة
لإسباغ طهرٍ حان أو لشراب
٥ — بيته :

هذا إلى فساد الحياة في عصره ، وهو
ذكي يدرس ويستقصي ، حساس
يسمع ويدرك ، درس طبائع الناس

فأحسن درسها ، وبلا نفوسهم فأجاد
بلاها ، فلم ينتج له الدرس المتشائم
إلا شراً .

فالدويلات الإسلامية ، والمسلمون
والروم يتبادلون النصر والهزيمة ، والحكام
يظلمون الرعية ويغتصبون أموال الناس ،
والساسة خداعون جهال يستعبدون الرعايا ،
ويستلبون قوتهم . نجد هذا في قوله :

ملّ المقام فكم أعاشر أمة
أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
فعدّوا مصالحتها وهم أجراؤها

وفي قوله :

يسوسون الأمور بغير عقل
فينفذ أمرهم ويقال ساسه
فأف من الحياة وأف مني
ومن زمن رياسته نحاسه

وفي قوله :

إن العراق وإن الشام مذ زمن
صفيران ما بهما للملك سلطان
ساس الأنام شياطين مُسلطة
في كل مصر من الوالين شيطان

من ليس يَخْفِلُ خِمَصَ الناس كلهم

وقال :

إن بات يشرب خمرا وهو مبطان^(١)

أما شرت بآنها لا تقتنى

والقضاة يحكمون بالجور . وكان

خيلا وأن شرارها شعراؤها

الأحرى بهم أن يحكموا بالقسطاس .

أثرت أحاديث الكرام بزعمها

ويدفعوا البلاء عن المستضعفين . يقول :

فأجاد حبس أكفها إثرافها

وأى امرئ في الناس ألقي قاضيا

وقال :

فلم يُمض أحكاما كحكم سدوم^(٢)

بنى الاداب غرتكم قدما

وأخلاق جميع الناس منحلة ، يفعلون

زخارف مثل : زمة اللباب

التبجح والمنكر ، ويصطنعون الخداع

وما شعراؤكم إلا ذئاب

والغش والمكر والقسوة ، ولهذا دمهم

تأجج في المدائح والمباب

بقوله :

٦ — ثقافته

وجوهكم كُلف وأفواهكم عدا

وهو إلى ذلك كله قرأ من كتب

وأكبادكم سمو وأعينكم زرق

الفلسفة م وافق هواه . فاشتد بغصه

وإذا كان قد ذم الناس فإته حمل على

للدنيا ، وسوء ظنه بالناس . حتى إنه

الأدباء وحملهم وزر هذا الفساد ، لأنهم

لما تحدث بحفاوة أهل بغداد بتوديعه

في رأيه الدعاة إليه ، قال :

وحزنهم لفراقه وتقديمهم المال إليه ذلك

فيما فعلوا آكان رياء أم وفاء .

وما أدب الأقوام في كل بلدة

ونعلم من تاريخه أنه درس الفلانة

إلى المين إلا معشر أدباء^(٣)

اليونانية في أنطاكية واللاذقية . ثم ألم

(١) الخمص : المراد الجوع . مبطان : المراد شيعان مستأى .

(٢) حكم سدوم : أشاره إلى جرائم قوم لوط ومظالمهم وكانوا يقيمون في قرى منها سدوم .

(٣) المين : الكذب .

بها في بغداد^١ ، ودرس الفلسفة الهندية أيضا في بغداد . إذ كانت بغداد بعد فتح السند تتروى من هذه الفلسفة التي يحملها إليها المترددون من هنا وهناك للتجارة أو للسياحة^٢ . ويفجر ينابيعها أولئك الذين ترجموا عن الهندية منذ عهد الخليفة أبي جعفر المنصور ، والطابع العام للفلسفة الهندية الزهادة ، وازدراء الحياة^٣ ، وتعذيب الجسد لتنقية الروح ، والشفقة على الحيوان : وتقديسه في بعض الأحيان .

كما أنه وقف على الثقافة الفارسية التي ثقفتها العرب منذ خالطوا أهل فارس . وترجموا عنهم ، وقد ألم أبو العلاء بما ترجم منها في السياسة والأدب والأخلاق والقصص^٤ ، فلما شخص إلى بغداد خالط بعض الفرس وتأثر بهم ، فليس عجيبا أن نجد في شعره ألفاظا فارسية مثل قوله :

إذا قيل لك الله مولاك فقل (آرا)
أى نعم .

على أنه بعد هذا كله عالم فاحص دارس ، اطلع على الأديان كلها ، ودرس

الإسلام والنصرانية واليهودية ، وعرض لبعض قضاياها في لزومياته .

٧ - ميله :

لكننا نجد في الحياة عميا فقراء مشوهين ، وهم مع هذا كله^٥ مهتهجون بحياتهم ، ينالون من لذاتها ، وينهلون من متعتها ، فلماذا لم يحاول أبو العلاء أن ينال وينعم ؟

ولماذا سخط على الحياة هذا السخط ؟

الحق إن ذلك يرجع إلى مزاجه الخاص الذي يآلف الحزن ويأئس به ويركن إليه . وتسبح له فرص الابتهاج فيفر منها فرارا ، ويرى العالم كله رزايا وأشوارا .

فقد كان^٦ بشار أعمى^٧ ولكنه جنح إلى المجانة^٨ والخلاعة ، واستمتع بالحياة ما شاء أن يستمتع^٩ .

وكان شو^{١٠} ابنهور فيلسوف التشاؤم في العصر الحديث بصيرا صحيح الجسد ، ثرياً ثراء واسعاً ، ولكنه كان ينظر إلى الحياة نظرة سوداء كآلة^{١١} ، فإل العالم في نظره شرف كله ، أيما توجهت ألفيت

عراكا ومنافسة . وليس الإنسان إلا ذئبا
للإنسان ، والإنسان تعس إذا تزوج .
وتعس إن لم يتزوج ، وخير للعالم أن
ينقطع النسل ، وتنتهى الحياة . والحياة
في نظره جحيم يفوق جحيم دانتي .

ولقد تشابه الرجلان المعري وشو بنهور
في العزوبة ، وسوء الرأي في الناس .
والبرم بالحياة والأحياء . والتجنى
المرأة ، واتفق الرجلان في أن التشاؤم
نابع من نفسيهما . وإن كانا متأثرين
بعوامل أخرى خارجة على قدرتهما تشابه
قليلا أو كثيرا ، فقد انتحر والدشو بنهور
واعوج ماوك أمه ، ولم يجد ما يزجى به
فراغه غير النظر والفكر والتأليف .

فلم يتزوج ولم يلد . ولم يزاول عملا
يلهبه عن مآسية ، فضجر بالحياة ،
وسئم الناس .

على أن فساد الحياة الاجتماعية يؤرث
نار السخط في نفوس الساخطين ،
فلما خاب الأمل المنوط بالثورة الفرنسية
بعد أن زلزلت الأرض بحروب نابليون
أطبقت سحب التشاؤم على أوروبا ،
فكان مرسبه في فرنسا . وبيرون في إنجلترا ،
وشو بنهور وهينى في ألمانيا . ولما فسدت
الحياة الاجتماعية والسياسية في عهد
أبي العلاء رجّع في جوها الخائق نغماته
الحزينة .

أحمد الحوفى
عضو المجمع



تحقيق لسان العرب

- ٦ -

للسان عبد السلام هارون

ووردت «جم» في المخطوطة مهمة ضبط الجيم، وصواب ضبطها: «جُم» يضم الجيم، كما في ديوان امرئ القيس: ١٧١. أي ليس لعظامها نتوء. والجُم: جمع أجَم، وهو العظم يكثر عليه اللحم فلا يظهر.

٨٥٣ - (ورق) ٢٢٥: ٢٥٠ وببيروت ٣٨٦ والمخطوطة:

ألم تر أن الحربَ تُعرجُ أهلها
مراراً وأحياناً تُفِيد وتُورقُ

صوابه «تُعرج» كما في اللسان (عرج)، ومجالس ثعلب ٤٤٤ قال ثعلب: «تُعرج: تعطيهم عرجاً من الإبل»، يعني الغنائم والعرج، بالفتح والكسر أيضاً: ما بين السبعين إلى الثمانين من الإبل، أو ما بين الثمانين إلى التسعين.

٨٥١ - (ورق) ١٥٢: ٥٢ وببيروت ٣٧٢ قول الراجز:

* كُوم الذرى وادقة سُراتها *

وفي المخطوطة: «سراتها» بفتح الراء مخففة وإهمال ضبط التاء. والوجه «سراتها» بكسر التاء. وهو من رجز مكسور الروي لعمر بن لُجأ في الأصمعيات ٤٣ - ٣٥ والخزانة ٣: ٤٧٨. وقبله وهو في صفة الإبل:

* أَنْعَتْهَا إِنْىَ مِنْ نُعَاتِهَا *

ونصب «سراتها» على التشبيه بالمفعول به. وانظر معجم شواهد العربية ٢: ٤٥٢.

٨٥٢ - (ورق) ٢٥١: ٢٥٠ وببيروت ٣٧٢ قول امرئ القيس:

دخلت على بيضاء جَمَّ عظامها
تعفى بذيل العرط إذ جئت مودقي

٨٥٤- (ورق) ٢٥٧ : ١٠ وببيروت
 ٣٧٦ والمخطوطة : « فإذا زادت فهي
 السحرة » مهملات نقط ما بعد الحاء .
 والوجه فيها « السحرة » كما في اللسان
 (سحتن) وتهذيب اللغة ٥ : ٣٢٣ .
 والسحرة : الأبنة الغليظة في الغصن .
 ٨٥٥- (ورق) ٢٥٧ : ١٩ وببيروت
 ٣٧٨ والمخطوطة : « قول عمرو في ناقته .
 وكان أقدم المدينة :

طال الشواء عليه بالمدينة لا

ترعى وبيع له البيضاء والورق
 أما عمرو قائل هذا الشعر فهو « عمرو
 ابن الأهمس » كما في التهذيب ٩ : ٢٨٩
 رصواب الإتيان : « عليها بالمدينة » .
 و « وبيع لها » يعود الضمير فيهما إلى
 الناقة وبيع هنا بمعنى اشترى ،
 والبيضاء : الحلي ، وهو ما أبيض من
 يبيس السبط والنصي . والورق ، يعني
 به هنا الحبط

٨٥٦- (ورق) ٢٥٧ : ٢٤ وببيروت
 ٣٧٨ قول الطائي :

وهزت رأسها عجباً وقالت
 أنا العبري أيانا تريد

ووردت « العبري » في المخطوطة
 مهملات الضبط : والوجه فيها « العبري »
 بوزن التثنية ، كما في التهذيب ٩ : ٢٩٠
 وهو وصف من عبر . إذا حزن ، أو إذا
 ذرف الدمع .

٨٥٧- (ورق) ٢٦٢ : ١٨ وببيروت
 ٣٨٣ : الوفاق : كل شيء يكون متفقاً
 على تيفاق واحد « وقد أهمل ضبط
 « تيفاق » في المخطوطة . وصواب
 ضبطه بكسر التاء ، كما في التهذيب
 واللسان نفسه (وفق ٢٦٣) .

٨٥٨- (وفق) ٢٦٣ : ٨-٩ وببيروت
 ٣٨٣ : « هو بيت في السناء تيفاق الكعبة ،
 أي حذاؤها ومقابلها » . ولم تضبط
 قاف « تيفاق » في المخطوطة ، ووجه
 ضبطها النصب على الظرفية ، كما أن
 الصواب « حذاؤها » بالنصب . وقد
 رسمت في المخطوطة « حذاها » بطرح
 الهمزة المنصوبة كما هو مألوف في الرسم
 القديم .

٨٥٩- (ورق) ٢٦٤ : ٤ وببيروت
 ٣٨٤ والمخطوطة ، قول الشاعر :
 تصبئنا حتى ترق قلبنا
 أوالق مخلاف الغداة كذوبها

والوجه «يصببنا» كما في التهذيب
٣١٠ : ٩ . والوجه أيضا : «حتى ترفّ
قلوبنا» كما في التهذيب . ونحوه في
قول الحسين بن مطير في الحماسة ١٢٣٠
بشرح المرزوقي :

يمتئتنا حتى ترفّ قلوبنا
رفيف الخزامى بات طلّ وجودها

أما «الغداة» فصوابها «الغدات» : جمع
غداة ، وهي الوعد .

٨٦٠ - (ولق) ٢٦٤ : ١١ وبيروت
٢٨٤ والمخطوطة : «قال الشماخ يهجو
جليدا الكلابي» صوابه «القلاخ» كما
في اللسان (زلق) ، وهو القلاخ بن حزن
المنقري . ولم يرد هذا الرجز في
ديوان الشماخ

٨٦١ - (ألك) ٢٧٣ : ٢٠ وبيروت
٣٩٣ والمخطوطة ، قول الشاعر :

ألكنى ياعتيقُ إليك قولاً

سُتهديه الرواة إليك عني

والشاعر هذا هو النابغة الذبياني .
والبيت في ديوانه ١٩٧ من قصيدة
يخاطب بها عيينة بن حصن بن حذيفة
ابن بدر الفزاري ، حين أراد أن يعاون

بنى عيس ويخرج بنى أسد من ذبيان .
وصواب الرواية : «ألكنى ياعيين» ،
مرخم عيينة كما في الديوان . وقد ورد
النص صحيحاً في ص ٢٧٤ من اللسان .
ألكنى : بلغ رسالتى . وعيينة هذا ممن
صاحب وفد تميم في وفادتهم على
رسول الله . السيرة ٩٣٤ جوتنجن .

٨٦٢ - (بتك) ٢٧٥ : ٢٠ وبيروت
٣٩٥ والمخطوطة : «وفي التنزيل العزيز :
«وَلْيَبْتَكَنْ آذَانَ الْأَنْعَامِ» . وقد رسمت
الواو واضحة في المخطوطة ، معززة
بالفتحة فوقها ، وهو تحريف . والتلاود :
«فليبتكن» بالفاء . وهي الآية ١١٩
من سورة النساء .

٨٦٣ - (ترك) ٢٨٦ : ٢٢ وبيروت
٤٠٥ وديوان الأعشى ٦٥ قول الأعشى :
ويهما قفر تخرج العين وسطها

وتلقى بها بيض النعام ترائكا

وخروج العين هنا عجب عجب .
إنما هي «تخرج» ، أى تحار . وفي
رواية المقاييس (ترك) : «تأله» بمعنى
تحار أيضا . وهو أحد الأقوال في
اشتقاق لفظ الجلالة ، لأن العقول تأ

في عظمته ، أى تتحير . ومنه قول ذى
الرمة :

تزداد للعين إبهاجاً إذا سمرت

وتخرج العين فيها حين تنتقب

وفي مخطوطة اللسان : « إتحرح » ،
بالحاءين المهملتين ، صوابهما ما أثبت .

٨٦٤- (حكك) ٢٩١ : ١٧ وببيروت

٤١٠ والمخطوطة أيضا : « وتروى
هذه الأبيات لزميل بن أبيين » ، وإنما
هو « زميل بن أبير » كما في شرح
الحماسة للتهريزي والمؤتلف ١٢٩ والإصابة
٢٩٧٣ والخزانة ١ : ٢٩٣ - ٢٩٤ .

وزميل وأبيرا كلاهما بهيئة التصغير ،
ويسمى أيضا : زميل بن أم دينار .
وهو ممن نسب إلى أمه من الشعراء ،
كما في نوادر المخطوطات ١ : ٩٢ .

٨٦٥- (حكك) ٢٩٥ : ١١ وببيروت.

٤١٣ والمخطوطة : « وقيل معناه أنا
دون الأنصار بذل حكاك لمن عاداهم

ونواهم » والصواب « وناوهم » .
كما في تهذيب اللغة ٣ : ٣٨٦ . ناوأ
الرجل مناوأة ونواء : فأنزله وعاديته .
وفي الحديث : « لا تزال طائفة من أمتي

ظاهرين على من ناوهم » . أى ناهضهم
وعاداهم .

٨٦٦- (حلك) ٢٩٧ : ١٣ وببيروت

٤١٥ والمخطوطة أيضا :

ياذا النجاد الحلكه

والزوجة المشتركة

ليست لمن ليست لكة

وجعله شاهداً على أن « الحلكة » دويبة
تغوص في الرمل . وصواب الرواية في الشطر
الأول :

* ياذا البجاد الحلكه *

كما في جمهرة ابن دريد ٢ : ١٨٥

وتاج العروس (حلك) . قال الزبيدي :
« وتقول للأسود الشديد السواد : إنه
لحلكة ، كهَمْزة ، والصواب ما ذكرنا » .
يعنى الشديد السواد .

والبجاد : كساء مخطط من أكسية
الأعراب . وصواب الرواية في الشطر
الآخر :

* لست لمن ليست لكة *

كما في الجمهرة : وورد في التاج محرفاً
كما في اللسان : « ليست لمن ليست » .
وذكر ابن دريد أن هذا من كلام لقمان
بن عاد ، في كلام طويل .

٨٦٧ - (درنك) ٣٦٠ : ٢٠ وبيروت
 ٤٢٣ : « له خَمَلٌ قصير كَخَمَلِ المناديل »
 وكلمة « خمل » وردت مجردة من ضبط
 الميم في المخطوطة ، ووجه ضبطها « خَمَلٌ »
 بسكون الميم كما في القاموس وغيره . وفي
 المصباح المنير : « الخمل مثل فَلَس :
 الُهدب . والخمل : القطيفة » .

٨٦٨ - (دك) ٣٠٧ : ٢٣ وبيروت
 ٤٢٤ والمخطوطة أيضا قول الشاعر :
 وطاوعتاني داعِكا ذا معاكة

لعمري لقد أودى وما نخلته يُودى
 وصواب الرواية « وطاوعتاني » كما في
 مجالس ثعلب ١٧ مع الاستضاءة بآمالى
 المرتضى ٢ : ٦٠ . كما أن الصواب كذلك
 « لقد أزرى وما مثله يُزرى » .

والبيت من أبيات رائية لعبيد الله بن عبد
 الله بن عتبة المسعودى ، في مجالس ثعلب
 وآمالى المرتضى والحيوان ١ : ١٤ - ١٥
 والمجبر لابن حبيب ٢٩٧ ، ومنها البيتان
 المشهوران :

فَمَسَّا تَرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خَلْقَتَا

وفيه المعاد والمصير إلى الحشر
 ولا تَأْنَمَا أَنْ تَرْجَعَا فْتَسْلَمَا
 فما حُشِيَ الإنسان شراً من الكبر

يخاطب معاتباً رجلين مرّاً به وهو أعمى
 فلم يسألْما عليه .

٨٦٩ - (دك) ٣٠٨ : ٥ - ٦
 وبيروت ٤٢٤ والمخطوطة : « والدك :
 القيّران المنهالة » ، وإنما هي « القيّزان »
 بالزاي المعجمة ، كما في التهذيب ٩ :
 ٤٣٦ . والقيّزان : جمع قوز ، بالفتح ،
 وهو المستدير من الرمل ، والكثير المشرف .
 ٨٧٠ - (دك) ٣٠٨ : ١٦ وبيروت
 ٤٢٥ : « إنا وجدنا بالعراق خيلاً عراضاً
 دُكّاً ، فما يرى أمير المؤمنين من أسهامها » ،
 والصواب « في أسهامها » : أى اقتسمها
 كما في المخطوطة ، وإن كانت « أسهامها »
 مجردة من الضبط فيها .

٨٧١ - (دك) ٣٠٨ : ٢٠ والمخطوطة
 « واختلفوا في الدكان فقال بعضهم : هو
 فُعْلان من الدَّكِّ ، وقال بعضهم : هو فُعْال
 من الدَّكِّ » . وليس كذلك ، بل صواب
 الأخيرة « فُعْال من الدكن » كما في
 التهذيب ٩ : ٤٣٨ . وبذلك صححت في
 طبعة بيروت ٤٢٥ .

٨٧٢ - (دك) ٣٠٩ : ١٨ وبيروت
 ٤٢٦ والمخطوطة أيضا قول الراجز :
 يادار سلمى بدكاديك البرق
 سَقِيّاً فقد هيَّجتِ شوق المشتاقِ

والراجز هو رؤبة ، كما في شرح شواهد الشافعية للبغدادى ١٧٤ . كما أن الشطرين في الخصائص لابن جني ٣ : ١٤٥ والمقرب لابن عصفور ١٠٧ والصحاح (شوق ، دكك) واللسان (شوق) بدون نسبة .

أما « المشتاق » التي وردت محرفة في هذا الموضع وحده فصوابها « المشتق » كما في جميع المراجع المتقدمة . قال البغدادى : « أصله المشتق ، فقلب الألف همزة وحركها بالكسر لأن الألف بدل من واو مكسورة » ، يعنى أن أصلها مشتوق .

٨٧٣- (ركك) ٣١٧ : ٤ وببيروت ٤٣٢ والمخطوطة قول الشاعر :

توضّحن في قرن الغزالة بعدما

ترشّفن ذرات الذهب الرقائق

ولم ينسب البيت في اللسان ولا في التهذيب ٩ : ٤٤٤ . وهو لذى الرمة في ديوانه ٤١٩ : ٥

كما أن صواب النص : « ذرات الذهب » بالدال المهملة المكسورة . كما في الديوان والتهذيب . والذرات : جمع درة بالكسر ، وهي سيلان المطر ، كما أن الدرة سيلان

اللبن وكثرته . والذهب : جمع ذهبة بالكسر ، وهي المطرة الضعيفة .

٨٧٤- (ركك) ٣١٧ : ٦ وببيروت ٤٣٣ : « قيل لأعرابي : ماء طرة أرضك ؟ فقال : مرثكة » . أما المطرة على وضعها هذا فصوابها « المطرة » بسكون الطاء . وفي اللسان : « المطرة : الواحدة » يعنى أنها اسم مرة . لكن صواب النص المطابق للمخطوطة : « ماء طر أرضك » . وكذلك ورد النص في تهذيب اللغة ٩ : ٤٤٥ وهو مرجع ابن منظور في هذا الاقتباس . ٨٧٥- (سكك) ٣٢٧ : ١-٢

وببيروت ٤٤٢ : « يقال سكك بسلكه وسكج وهك ، إذا حذق به » . وفي المخطوطة « إذا حذف » بالدال المهملة . والوجه « حذق » بالخاء والذال المعجمتين والقاف ، كما في التهذيب ٩ : ٤٣٢ وإن كانت في بعض مخطوطات التهذيب : « حذف » ، إذ هو المؤلف في التعبير عن سلاح الطائر . وفي التهذيب ٧ : ٢٠ « عن الأصمعي : ذرق الطائر وخذق ومزق وزرق » .

٨٧٦- (شكك) ٣٣٨ : ١٢ وببيروت ٤٥٢ والمخطوطة : « والشكائك من

الهُودَج : «أشكَّ من عيدانها التي بقيت بها بعضها في بعض » ، ولا وجه لقوله « بقيت بها » ، والصواب « التي تُقَبَّبُ بها » ، كما في التهذيب ٩ : ٤٢٦ مع التجاوز عن خطأ الطبع . وفي اللسان : (قَبَب ١٥٢) : « وبِيت مقَبَّب : جعل فوقه قبة . والهودَج قَبَّب » .

١٧٧- (ضبرك) ٣٤٥ : ١٩ وببيروت ٤٥٩ قول الفرزدق :

وردوا أراق بعجمنل من تغلب
لجِب العشيُّ ضُبارك الأركان

وفي المخطوطة : « وردوا اراق » ، وفي الهامش أمامها « إراق » ، مع وضع الحرف « ط » فوقها . وصوابهما جميعا : « إراب » كما في الديوان ٨٨٢ . وفي معجم البلدان : « إراب بالكسر وآخره باءٌ موحدة » ، من ميا البادية . ويوم إراب من أيامهم ، غزا فيه هذيل بن هبيرة الأكبر التغلبي ، بنى رياخ بن يربوع ، والحى خلوف ، فسبى نساءهم . وساق نَعَمهم » .

وقبل هذا البيت في الديوان :

وكانَّ رايات الهذيل إذا بدت
فوق الخميس - كواسرُ العقيان

فهذا الهذيل هو هذيل بن هبيرة التغلبي قائد يوم إراب . والفرزدق في هذه القصيدة يعترف للأخطل التغلبي الشاعر بمكرمه في تفضيله إياد على جرير ، ويمدح رده في بني تغلب . ويهجو جريرا . ويقول الأخطل في الانتصار لفرزدق وهجاء جرير (ديوانه ٥٠) :

فأنق بـشأنك يا جرير فإلما
مَنَّتْكَ نَفْسُكَ في الغلاء ضلّالا

مَنَّتْكَ نَفْسُكَ أَنْ تُسَاقِ دارما
أَوْ أَنْ تَوَازِيَ حاجبا وعقلا

٨٧٦- (عفك) ٣٥٥ : ٢ وببيروت ٤١٩ والمخطوطة : « وامرأة عفتاء ، وعفكاء ونفتاء » ، إذا كانت خرقاء . والعفك والعفت يكون العُسر والعُرق » ، لكن في المخطوطة « العُسر » بالرفع . وفي النص تحريفان . أما « نفتاء » فلاوجه لها ، والصواب « لفتاء » باللام كما في التهذيب ١ : ٣٧٢ . وفي اللسان (لفت) : « والألفَت والألفك في كلام تميم : الأعسر ، سمي بذلك لأنه يعمل بجانبه الأميل » . وفي كلام قيس : الأحمق ، مثل الأعفت . والأنثى لفتاء » .

وأما التحريف الآخر ففي ضبط « العسر »
وصوابها « العسر » كما رأيت ، بنسخ
السين وبالنصب .

٨٧٩- (عكك) ٣٥٧ : وببيروت
٤٦٩ والمخطوطة : قول دَلَم . أبي زُعَيْب
العيشي :

* لما رأيت رجلا دعكاه *

ووجه الرواية : « لما رأيتني » على أن
الرواية في اللسان (درج ، دعك) :
« إلهًا تريني » .

٨٨٠- (عكك) ٣٥٧ : ١٣ وببيروت
٤٧٠ قول الراجز :

* أَرَزْتُهُ تَجَدُّهُ عَكَ وَكَأ *

وفي المخطوطة : « أَرَزْتُهُ » ، والصواب
« إَزَرْتُهُ » لتقابل « مَشَيْتُهُ » في الشطر
الذي بعده ، وهذا الصواب في الصحاح .
وفي التهذيب ١ : ٦٥ : « إن زرتَه » ،
وليست بشيء . وبعد الشطر :

* مَشَيْتُهُ فِي الدَّارِ هَاكَ رَكَا *

يقال ائْتَزَرَ فلانُ إِزْرَةَ عَكَ وَكَ ،
وإِزْرَةَ عَكِّي ، وهو أَنْ يُسِيلَ طَرَفِي إِزَارَهُ
ويضم سائرهُ . فالنص يتناول تصوير
الإِزْرَةِ والمشيّة ، ولا يمتلئ بالزيارة .

٨٨١- (فرك) ٣٦٢ : ٧ وببيروت ٤٧٤
والمخطوطة أيضا قول رؤبة :

وَالْعَسَقُ : ظِلْمَةُ اللَّيْلِ ، وَلَا وَجْهَ لَهَا هُنَا
إِنَّمَا هُوَ « الْعَسَقُ » بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ كَمَا فِي
ديوان رؤبة ١٠٤ واللسان والمقاييس (عسق)
والأسرار من السَّرِّ ، وهو النكاح . ويقال
عَسَقْتُ الناقةَ بِالْفَحْلِ عَسَقًا : أَرَبَّتْ بِهِ
ولزمته . وقد سبق الكلام عليه في التنبيه
رقم ٣٧٧ .

٨٨٢- (لكك) ٣٧٣ : ٧ وببيروت ٤٨٤
والمخطوطة ، قول الشاعر :

إِلَى عُمَاجِيَاتٍ لَهُ مَلَكُوكَةٌ

فِي دُنْحَسٍ دُرْمِ الْكُحُوبِ بَيَانٍ

بإهمال نقط الكلمة الأخيرة ، وإنما هي
« أَتْنَانُ » كما في التهذيب ٩ : ٤٥٢ .
وَالْأَتْنَانُ : جَمْعُ تَيْنٍ بِالْكَسْرِ : وَهُوَ الْمَثِيلُ
وَالشَّبِيهُ .

٨٨٣- (لوك) ٣٧٤ : ٦ قول عبد بن
الحسن :

أَلَكْنِي إِلَيْهَا عَمْرَكَ اللَّهُ يَافَتِي

بآية ماجأت إلينا تهاديا

والصواب «عمرَك الله» بنصب لفظ الجلالة ، كما في المخطوطة . وجاءت على هذا الصواب في طبعة بيروت ٤٨٥ . وفي اللسان (عمر ٢٨٠) : «الكسائي : عمرَك الله لا أفعل ذلك ، نصب على معنى عمرَتَك الله ، أى سألت الله أن يعمرَك ، كأنه قال : عمرت الله إياك . قال : ويقال إنه يمين بغير واو . وقد يكون عمرَ الله . وهو قبيح » .

٨٨٤ - (ملك) ٣٨٥ : ١١ وبيروت ٤٩٥ والمخطوطة كذلك ، قول أوس بن حجر :

فملأك بالليط التي تحت قشرها

كغرقى ببض كسَه القيص من عل
وصواب الرواية : «الذي تحت قشرها»
كما في الديوان ٩٧ واللسان (ليط)
والمعاني الكبير لابن قتيبة ١٠٦١ .
والليط : جمع ليطه ، وهى قشرة القصبية
والقوس والقناة وكل شئ له متانة . وملأك ،
أى ترك من القشر شيئاً يتمالك به .

٨٨٥ - (نرك) ٣٨٨ : ١٢ وبيروت ٤٩٨ والمخطوطة : « أنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لامرأة وقد لامها ابنها في زوجها :

وددت لو أنه ضب وأنى
ضبيبة كدية وحداً خلأ

والبيت في الحيوان ٦ : ٧٥ منسوب إلى حبي المدنية ، قاله لابنها حين عذلها لأنها تزوجت ابن أم كلاب ، وهو فتى حدث ، وكانت هى قد زادت على النصف .

وانظر سبب تمنى هذه المرأة لأن تكون ضبة زوجاً لضب ، في كتاب الحيوان . و «وحداً خلأ» خطأ في النص والرسم . والصواب «وجداً خلأ» أى أصابا خلوة . وفى الحيوان : «كضبة كدية وجدت خلأ» .

٨٨٦ - (ورك) ٤٠٤ : ١٨ وبيروت ٥١٢ قول الهذلى :

بها مَحِصٌ غيرُ جافى القوى
إذا مُطى حنَّ بوركِ حُدالٍ

وفى المخطوطة : «جُدال» بضم الجيم مع إهمال ضبط اللام ، وهذه معروفة ، وإنما هى بالحاء المهملة كما فى المطبوعتين ، لكن وجه الخطأ فى ضبط اللام بالسكون وإنما هى «حُدال» بكسر اللام ، من قصيدة لأمية بن أبى عائذ الهذلى فى

ديوان الهذليين ٢ : ١٧٢ وشرح السكري
٤٩٤ مطلعها :

ألا يا لِقَوْمٍ لَطِيفِ الْخِيَالِ
أَرْقَ مَنْ نَازَحَ ذِي دَلَالِ
وَحُدَال : فِيهَا حَدَل ، أَيْ طَمَأْنِينَةٌ
إِلَى أَحَدِ جَانِبَيْهَا ، تَنَحَدِرُ سَيِّئُهَا قَلِيلًا .

٨٨٧ - (وشك) ٤٠٦ : ٦ - ٧
وببيروت ٥١٤ والمخطوطة : « قال عبد الله
بن عَنَمَةَ يَرْتِي بِسَطَامِ بْنِ قَيْسٍ :
حَقِيبَةً سَرَجَهُ بَدَنٌ وَدِرْعٌ
وَتَحْمَلُهُ مُوَأَشِكَةٌ دَوُوكُ

فَأُولُ نَحْطًا تَسْمِيَةِ الشَّاعِرِ ، فَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ
بْنُ عَنَمَةَ : لَا عَنَمَةَ . وَأَصْلُ الْعِنَمَةِ وَاحِدَةٌ
الْعَنَمُ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ النَّبَاتِ . وَعَبْدُ اللَّهِ
هَذَا شَاعِرٌ مَعْرُوفٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْمَفْضَلِيَّاتِ
وَالْأَصْمَعِيَّاتِ ، لَهُ الْمَفْضَلِيَّةُ ١١٤ وَالْأَصْمَعِيَّةُ
١٠ . وَمَطْلَعُ قَصِيدَتِهِ فِي الْأَصْمَعِيَّاتِ ص ٢٦ :
لَا مَّ الْأَرْضِ وَيْلٌ مَا أَجَنَّتْ

غَدَاةً أَضْرَّ بِالْحَسَنِ السَّبِيلُ
وَالْخَطُّ الثَّانِي « دَوُوكُ » بِالْكَافِ .
صَوَابُهَا « دَعُولُ » بِاللَّامِ ، مِنَ الدَّالِّانِ :
وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْعَدُوِّ .

عبد السلام محمد هارون
عضو الجمع

في معاني الأفعال :

المزيد بالهمز كالمجرد

في الأفعال الشرطية التسدية

للسان محمد بن أبي

حروف الزيادة يستطيعون أن يستخلصوا ظاهرة صرفية واضحة ، هي أن أكثر هذه الأبنية المزيادة قد تأتي كالمجرد بلا مغايرة له في معناه ، فما من مؤلف في تصريف الأفعال — قديم أو محدث — إلا أنه إلى ذلك صريحاً في غير مواربة ولا لبس ، ومن أبرز ذلك في تأليفه «النارابي» في «ديوان الأدب» فهو يرشد في بيان معاني الأبنية إلى تلاقى المجرّد والمزيد على معنى مشترك ، فيأتي المجرّد بمعنى المزيد سواء :

«و هاك من ذلك القليل نماذج ممتبسة من جملة من التصانيف الأصول ، تتناثر في تضايع الصفائف والأبواب ، نقدمها فيما يلي على سبيل التمثيل لا الحصر :

أولاً - بناء «فعل» المجرّد تشاركه في معناه الضيغ الآتية :

(أ) أفعل ، مثل : بهجت فلانا وأبهجته .

(ب) فعل المضعف ، مثل : ماز الأمر وميئزه

١ - المشهور من أحكام التصريف العامة أن هناك معنى لكل حرف من حروف الزيادة في بناء الأفعال ، وأنه إذا زيد حرف أو حرفان أو أكثر كان لكل زيادة من هذه الزيادات معناها الملحوظ ، وذلك تفرقة بين المجرّد والمزيد .

ذلك إذا يسوقه علماء العربية في عامة ما يقولونه وما يعتمدونه أساساً راسخاً في دلالة المباني على المعاني ، ولكنهم يجدون في مسموع اللغة من الأفعال المزيادة ما هو في معنى الأفعال المجرّدة ، دون تفریق .

ولإزاء هذا الذي يجدونه لا بما يكون إلا أن يشيروا إليه ، فتراهم يقولون إن هذه الضيغة المجرّدة أو المزيّدة تحرف أو أكثر تجيء بمعنى ضيغة أخرى من ضيغ المزيّادات ، ثم يجتزئون بذلك مثال أو أمثلة معدودات ، وربما نصّوا على أن ذلك قليل أو نادر .

٢ - والذين يتبعون أقوال النحاة والصرفيين في أبنية الأفعال المزيّدة بمختلف

ولم يغيب هذا السؤال عن بال النحوى
الألمعى «الرضى» فتعال في التعقيب على
ما أورده «شافية ابن الحاجب» من معنى
«أفعله بمعنى فعله» نحو : قلته البيع وأقلته :
« وكل زيادة لمعنى وإن لم يكن إلا التأكيد »
والحق أن اصطلاح «الرضى» فائدة «التأكيد»
لتسويغ الزيادة : إنما هو محاولة مقترضة
لحل قاعدة أن الزيادة لا بد أن تكون للمعنى
قاعدة مطردة لا تتخلف .

ويقف في وجه هذه المحاولة أن اللغة
حين تذكر الأفعال الزائدة بمعنى الأفعال
المجردة : لا تضيف في الأكثر منها جديداً
يفرق بين المجرد والمزيد : وإن يكن
الفارق هو محض التوكيد .

وقد اختلف علماء التصريف في تسمية
الهمزة الزائدة في أفعله بمعنى فعله وتعليماها .
وإن لم يختلفوا في ورودها . وقد ذكر
« المالكى » في كتابه « رصف المباني »
ص ٥٠ أن هذه الهمزة تسمى همزة
النقل . وقال : « إنها لا تنفيد شيئا سوى النقل ،
سواء كان الفعل متعديا أو غير متعد . وليس
لها معنى إلا مجرد النقل خاصة »

٤ — على أن اللغويين الذين يعنون بتسجيل
ماتناقله الرواة من تنسيب الكلام العربى إلى
اللهجات العربية المتعددة . يرجعون أنساب
بعض هذه الأفعال المزيّدة إلى قبيلة أو قبائل
مسماة أو غير مسماه . ويقولون إنها تناظر
صيغها المجردة بمعناها في لهجة أو لهجات
أخرى لقبيلة أو قبائل غير تلك .

(ج) فاعل ، مثل جاز البلد وجاوزه .
(د) افتعل ، مثل قفى الشيء واقتناه .
(هـ) انفعل . مثل : عدل عنه وانعدل .
(و) استنفعل مثل : يأس منه واستيأس .
ثانيا — بناء «أفعل» يشركه في معناه بناء ن
هما :

(أ) فعّل المضعّف . مثل : أسمى
الشيء وسماه .

(ب) فاعل ، مثل : عافاه الله وأعفاه .
ثالثا بناء «تفعّل» يأتى بمعناه البناءان الآتيان :
(أ) تفاعل ، مثل : نجوز في الأمر
وتجاوز .

(ب) استنفعّل . مثل : تكبّر فلان
واستكبر .

رابعا — بناء «فعّل» المضعّف ، له بمعناه
بناءان كذلك : —

(أ) فاعل ، مثل ضعّف الشيء وضاعفه .
(ب) تفعّل المضعّف ، مثل : ولّ فلان
وتولى .

فلذا رجعنا إلى كتب فقه اللغة وما هو
منها بسبيل . ألفينا ثمة أبوابا تعقد لبيان ما
يتحد فيه المبنى مع اختلاف البناء . وفي
هذه الأبواب تسرد الأمثلة من فصيح العربية
بتدرّ يغزر أو يندرفى هذا الكتاب أو ذاك .
٣ — وهنا يتبادر إلى الخاطر هذا السؤال :
فيم الزيادة إذن إن لم تكن لمزيد معنى ،
أفادته زيادة المبنى ؟

وفى هذا المنظور القائم على التنسيب،
اللهمجوى^(١) ما يضعف من جدية المحاولة
التي عبر عنها «الرضى» بأنها التوكيد
تبريز بها دخول الحرف الزائد على الفعل
المجرد بمعناه، مادام اللغويون يطبقون
على أن الزيادة لغير مزيد معنى مأنوسة في
غير لهجة من لهجات العرب.

ومع ذلك فإن هذا التنسيب اللغوي الذي
رصدناه بعض اللغويين بالنص على
فروق اللهجات غير مطرد في قبيلة بعينها،
أو موقوف على لهجة برأسها، فربما نسبوا
إلى إحدى القبائل مزيداً بمعنى المجرد في قبيلة
أخرى. ونسبوا إلى جانب هذا مجرداً في
القبيلة الأولى بمعنى المزيد في القبيلة الأخرى.

٥- وفى هذا المقام نريد أن نخص
بالبحث بنية «فعل وأفعل»، وأول ما ننوه
به أن هاتين البنيتين لقيت كلتاهما فضل
عناية من النحاة وأصحاب اللغة، إذ لاحظوا
كثرة ورودهما بمعنى واحد، فنبهوا إلى ذلك
بمثل قولهم: «ويجىء أفعله بمعنى فعلته». وفى
مؤلفات فقهاء اللغة، أبواب أوفصول
معينة ينص فيها على مجئ البنيتين باتفاق المعنى
وأذكر من هذه المؤلفات «أدب الكاتب» لابن
قتيبة، و«سر العربية» للشماعى و«الخصص»
لابن سيده، و«الزهر» للسيوطى، و«الأفعال»
للسرقسطى، وهو أغزرها مادة وأرضعها تفصيلاً.

وإن صيغة أفعل بمعنى فعل، من أظهر
ما يظهر فيه تنازع رواة اللغة وأثبتها حول
تعاقب المجرد والمزيد، تارة يقولون هذه
اللفظة المزيدة موافقة لأختها المجردة، كما
فى ملكت العجبين وأملكته وطورا يقولون
هذه لغة دون نسبة كما فى أردفه بمعنى
ردفه. وحينما يعزون اللغة إلى ذوبها كما فى
أرجفته فى لغة هذيل بمعنى رجفته وأعصفت
الريح فى لغة بنى أسد بمعنى عصفت :
ويذكرون أن بنى عامر يقولون : ذهبه فهو
ذهيب ونيته نهومنيوت وبرزه فهو مبروز،
ويبينهم من يذكر تفرقه خفيفة بين أفعل
وفعل، فى أقيسه وقيسه، فيقول : أقيست
والرجل علما وقبسته نارا، ويتصدى له
الكسائى « فيقول^٢ : أقبسته ناراً وعلما سواء،
ويجوز طرح الألف منهما. وربما أنكر
بعضهم مجئ أفعل بمعنى فعل فى بعض ألفاظ،
كما فى إنكار «الأصمعى» لأبرق وأرعد
بمعنى برق ورعد، فردوا عليه محبة جين
بشعر «الكهيت». وفى اللغويين من لاحظ
أن العرب تقول : أحزننى هذا الشيء، فإذا
صاروا إلى المستقبل قالوا : يحزننى بفتح الياء،
ويحمل هذا على أنه كان فى الأصل أحزنه
بحزنه، وحزنه بحزنه بمعنى واحد، كما
قاله : سلكه وأسلكه، وسحته، وأسحته
بمعنى واحد، فأخذوا من هذه الصدر ومن
هذه الغابر وأماوا الآخرين، وما استظهره
ذلك اللغوى يؤيده إثبات «الجوهري» لأحزنه

(١) نسبة إلى علم اللهجات، أى نسبة إلى الجمع، باعتبار أن (اللهجات) قد اكتسبت العلمية بأنها اسم يعطف
من العلوم. فيةال - طجوى، كما يقال فى النسب إلى هتات وصعبات : هندوى وصعبوى.

وحده، نه بمعنى واحد، وإن لم يقل إن أحد الفعلين في ماضيه أو مضارعه مسلوب الحياة. وفي الدراسة التي نشرها الأستاذ الدكتور «أحمد علم الدين الجندى» في الجزء الثاني والثلاثين من مجلة «مجمع اللغة العربية» لصيغتي «فعل وأفعل» — جملة من النصوص الوثائق حول جملة من الأفعال، يؤخذ منها أن اللهجات العربية تتعاور الصيغتين، بيد أن لهجة «تميم» يغلب استعمالها لصيغة «أفعله» بمعنى «فعله»، وأن غيرها من لهجات الحجاز وتجد وهذيل وقيس وعقيل وجرم يرد في استعمالاتها ذلك أيضاً، على حين أن لهجة «تميم» تستعمل كذلك صيغة «فعله» بمعنى «أفعله» فتقول في أهلكه هلكه، وفي أجبره على الأمر جبره، وفي أخلى على الله واللحم خلا، يضاف إلى ذلك أن هناك أفعالا هي: سحت وفتن ولات وجنب وسرى وحزن، وردت (هي؛ وغيرها) ^(١) في قراءات القرآن، مداولة بين فعل وأفعل بمعنى واحد، لا خلاف في ذلك بين لغوي ومفسر.

٦ — وبجمل بنا أن نقف مع «ابن درستويه» وقفة قصيرة، فقد جاهر بمخاصمته لاتفاق أفعال وفعل في المعنى، وأظهرنا على أنه ألف كتاباً في افتراق معنى فعل وأفعل، ^(٢) وله في كتابه «شرح الفصيح» مقولة ينادى بها ويصر عليها، وهي قائمة على أساس أنه لا يؤمن في فلسفته اللغوية بالمشارك لفظاً أو

المشارك معنى، فهو ينكر تعدد المعاني مع وحدة اللفظ، كما ينكر اختلاف أبنية اللفظ مع وحدة المعنى. وبما أفاض فيه يتجلى أنه يتأول ما يرد من أفعال وفعل بأنه إما لتباين اللهجات، وإما لعلّة وفروق، وإما لتشبيه فعل بفعل، وإما لحذف واختصار. وإذا كان لهذا الوجه من النظر مدرك يمكن قبوله، والاطمئنان إليه، في تعليل بعض الأفعال المسموعة عن العرب، فإن ذلك لا يقدم ولا يؤخر في واقع اللغة المروى الحاصل في اليد من الألفاظ التي يرد فيها أفعاله بمعنى فعله سماعاً عن العرب الخالص. وشأن ما بين النظر والعمل، وما بين المنطق والواقع، وما ينبغي لنا أن نرسم للغة شريعة من قواعد وضوابط منبثقة من فكر وتدبر، وتأصيل وتفصيل، ثم نحكم بها على المأثور من فصيح الكلام. لنعدل به عن وجهه. ونصرفه إلى غير مدلوله، فلأننا تخضع القواعد والضوابط للوارد المسموع، فتجري عليه. وتأنزم به، كما نقله رواية اللغة وحفظها؛ بدلالته التي تعبر عن حرية العربي الفصيح في الوضع، وتصرفه في الصوغ، بلاسلطان عليه، ولا نكير.

ولو أننا عمدنا إلى اللغة فنقيسنا منها مالا يطابق القواعد والضوابط التي نتزعاها من أفكار مجردة، وتصورات عقلية، لأكرهنا اللغة لإكراهها على غير ما هي جارية عليه بالفطرة والدرية، والمرونة والطلاقة.

(١) قرئ (جمده) في سورة لقمان مجرداً ومزيداً، كما في «النسفي».

أفيعجز لنا أن نؤلف معجمنا العربي على أساس رفض المشترك لفظا والمشارك معنى ، على نحو ما ينادى به «ابن درستويه» ؟ إذن بلحاز لنا أن ن حذف من مواد اللغة وتفريعات مدلولاتها ما يعيا به الإحصاء ، وإذن لأفقدنا متن اللغة ما نفهم به النص العربي المأثور ، من منظوم ومنثور .

ومقطع الحق في هذا ما عبر عنه «ابن فارس في فقه اللغة كما في «المزهر» ص ٣٦٩ بقوله : «إن العرب تسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد ، وتسمى لشيء الواحد بالاسماء المختلفة» وأزيد : أن الأفعال في هذا كالأسماء :

٧ - ولقد أورد أعلام النحو والصرف مما جاء فيه فعلته وأفعاله باتفاق المعنى أمثلة لا تجاوز أصابع اليد ، للتمثيل ، وسرد له فقهاء اللغة في مختلف كتبهم عشرات الأمثلة للتعريف . وكنت فيما سلف من الأقضية أعنى بجمع ما يقع لى من هذا القبيل فيما أطالع من المراجع اللغوية المعتمدة كالجمهرة والصحاح والتهذيب واللسان والناج وغيرها من الأصول . ومن حصيلة ذلك كله توافر لى عدد جهم من الأفعال يبلغ نحو ستين فوق المائتين ، ثلاثة أرباعه أفعال ثلاثية مجردة متعددة بنفسها ، لها ما يناظرها في معناها ، مما دخلت عليه الهزة مزيدة دون معنى مزيد ، والربع الباقي أفعال ثلاثية مجردة أيضا تعدت بحرف الجر ولها نظائر بمعناها مع الهمز . وعمدنى في بيان المعنى المشترك ما نص عليه معجم أو تواردت في النص عليه معجمات . مناد

ذلك كله عند جمة اللغة ومدونها أن هذه الأفعال مزيدها كمجردها ، دون تفرقه في معنى ، أو زيادة في دلالة ، ودون توقف في جواز استعمال المزيد كالمجرد ، سواء بسواء .

٨ - وغنى عن القول أن مأثور اللغة كله حجة للاستعمال إن صح ، ودرجة للقياس إن كثر ، والمقصود بالصحة النقل عن العرب الذين تنوّل عنهم الكلام ، والمراد بالكثرة ما يطمأن به إلى سنة العربية في البناء والصوغ ، وليس بقادح في ذلك أن يكون المسبوع عن العرب متعدد المصادر من مختلف اللهجات المروية عن قبائل اعتمد علماء اللغة عروبها في جمع مواد اللغة . وحسبنا فيما نحن بصده من صيغة أفعله معنى فعله أنها واردة في لهجات شتى ، وأنها لا صفة لصوقا ظاهرا بلهجة «تميم» التي قال فيها «ابن حزم» في «جمهرة أنساب العرب» : «إنها قاعدة من أكبر قواعد العرب» .

وطوعا لما أسلفنا يسعنا القول بأن من سنن العربية استعمال أفعلت الشيء بمعنى فعلته ، وللقائل بأنقياس ذلك الاحتجاج بهذا العدد الوافر الزاخر مما تحويه خزائن اللغة ، ومنه تلك المصنعة التي أوفت على المائتين عدداً ، ونحن موردوها من بعد مرتبة بحسب حروف الهجاء ، مفصلة بحسب التعدى بالنفس أو بالحرف :

٩ - ورب سائل قائل : ما الحاجة إلى هذا الذى تبجهد فيه جهدا ، وتبجج له جدّا ؟

والجواب عن ذلك أن القول بقياسية أفعاله بمعنى فعله ، فيه غناء من عدة نواح : الأولى : تحقيق السنة العربية في مجيء أفعاله بمعنى فعله ، وإضافة ذلك إلى قواعد التصريف المقررة ، فما هو بالشاذ ، ولا بالنادر ، ولا بالقليل :

الثانية : تطويع هذه الصيغة الفعلية لحاجة الاستعمال ، برفع الحجب الذي تفرضه فيها المقررات التعليمية العامة وإجازة القياس عليها ، لاستخدامها حين يراد التخصص في مصطلح ، أو التصرف في تعبير ، إلى غير ذلك من وجوه التنويع أو التيسير .

الثالثة : أن الأفعال المزيدة بصورتها المهموزة معدية إلى مفعولاتها ، أسرع في إفادة التعدية من الأفعال المجردة متعدية بنفسها أو بحرف الجر ، وكذلك الشأن في مصادر المجرد ومصادر المزيد .

الرابعة : أن الأفعال الثلاثية المجردة يصعب الحكم فيها على حركة عين الماضي والمضارع ، بخلاف المزيدة ، فإن الضبط فيها لا يحتاج إلى توقيف في مضي أو استقبال ، إذ هو موحد مقيس .

الخامسة : أن مصادر الأفعال الثلاثية المجردة أغلبها لا قياس فيه ، على عكس المزيدة ، فمصادرهما مما ينقاس . وما لا يحتاج إلى سماع أولى وأيسر مما يحتاج إلى السماع . السادسة : أن مصادر الأفعال الثلاثية المجردة قد توافق الأسماء المأخوذة منها في صيغتها ، فيشتبه التعبير ويلتبس ، ومثاله «العذر» فهو اسم بمعنى حجة الاعتذار ووجهه ، وبهذا المعنى أشهر حتى اختص به :

والعذر كذلك مصدر للمعنى الخلد وهو رفع اللوم . تقول : عذره عذرا أى قبل اعتذاره : فالعذر إذن هو قبول العذر . ولا يكاد هذا المعنى يسفر باستعمال لفظ العذر . كما يسفر إذا جئ بالبناء المزيد . فيقال : أعذره إعتذاراً أى قبل عذره . وذلك مثبت في مسموع اللغة .

السابعة : أن اسم المرة من مصدر الثلاثي المجرد لا يستبقى في الغالب صورة المصدر ، بل يقصره على صورة موجبة ربما كان فيها تشكيرا لصورته الأصلية . فاسم المرة من الفراغ فرغة ، ومن الإتيان أتية ، ولا كذلك المزيد ، فإن اسم المرة لا يتحيف صورة مصدره ، بل يستقيمه على أصله ، بزيادة تاء في آخره . وفي الإبقاء على الأصل إيضاح ، وفي تغيير الصيغة إغماض ، والخنوح إلى الوضوح غرض منشود .

الثامنة : أن من الشائع في اللغة المعاصرة قول الكتاب هذا عمل مشين أو مريع أو مريبك (بضم الميم) وذلك العمل يضيره ، بضم الياء ، وقد أضير الرجل بضم الهمزة ، وإشهار البيع ، وهذه الاستعمالات إنما تجاز على أن أفعالها المزيدة في معنى أفعالها المجردة .

١٠ - والآن نسوق الأمثلة الفصاح من الأفعال الثلاثية المجردة التي وردت متعدية بنفسها أو بالحرف ، كما وردت مزيدة بالهمز ، مع اتفاق المعنى . وهى قسمان : القسم الأول : المجرد والمزيد بالهمزة ، مما يتعدى بنفسه .

القسم الآخر : المجرد والمزيد بالهمزة ، مما يتعدى بالحرف :

أولا - من المتعدى بنفسه

ألف المكان وآلفه	جنة وأجنته	ردح البيت وأزدحه
أمر ماله وأمره	جهرت وأجهرت	رجعه وأرجعه
أجر الغلام وأجره	جملت الشحم وأجملته	رملت الحصير وأرملته
أديه وآدبه	حزنه وأحزنه	روى الزرع وأرواه
أدمه وآدمه	حقه وأحقه	رحض الثوب وأرحضه
أثمه وآثمه	حكيت العقدة شادتها	ردفته وأردفته
أويته وآويته	وأحكيها	رعى الماشية وأرعاه
بر الله حججه وأبره	حبه وأحبه	رهن الشيء وأرهنه
بشرت الرجل وأبشرت	حرقه وأحرقه	رقن الشعر وأرقنه
بدأ الخلق وأبدأه	حشمه وأحشمه	رتج الباب وأرتجه
بت البيع وأبته	حرقه وأحرقه	رسته وأرسته
بدع الشيء وأبدعه	حرمه وأحرمه	ركسته وأركسته
بلق الباب فتمحه وأبلقه	حكمته وأحكمته	رابه الشيء وأرابه
يهج فلانا وأهجه	حشته وأحوشته	زجاه وأزجاه
باع الشيء وأباعه	حترت الحبل وأحترته	زلت الشيء وأزلته
برزه وأبرزه	حدره وأحدره	زاق رأسه وأزلقه
برم الحبل وأبرمه	حمده وأحمده	زنت خيرا وأزنت
بهره الأمر وأبهره	حتأ الثوب وأحتأه	زففتها رأزففتها
تباه الحب وأتباه	جاذا الأمور وأجودها	زكتته وأزكتته
ثقفه وأثقفه	خمر الشيء وأخمره	زدق الثياب وأزرقها
جنبه وأجنبه	خبا الخبا وأخباه	سيفقت الناقة وأسيفقتها
جبره وأجبره	خسرت وأخسرت	سجد الله وأسجده
جفأه وأجفأه	خصه وأخصه	سيفقت الباب وأسيفقتها
جهده وأجهده	دلع لسانه وأدله	سيفقت النسيج وأسيفقتها
جمعوه وأجمعوه	دججه وأدججه	سجد الله رأسه
جاحه وأجاحه	ذروت الحب وأذريته	سار الدابة وأسارها
جلوته وأجلته	ذهبه وأذهبه	سعرنح شرا وأسعرني

سعر النار وأسعرها	حذر الرجل وأعذره	قممته في الماء وأقمسته
سلوكه وأسلكه	عار عينه وأعارها وأعورها	قممته وأقممته
سقاءه وأسقاها	علمته وأعلمته	كفأت الإناء وأكفأته
ساقته وأساقته	عرش الكرم وأعرشه	كنتت الدرة وأكنتها
شجنه الأمر وأشجنه	عسرت الرجل وأعسرت	لحدت القبر وألحدته
شجاه الأمر وأشجاه	عفصت القارورة وأعفصتها	لحقته وألحقته
شرح العربة وأشرحها	عقبه وأعقبه	لخيت القوم وألخيتهم
شرع الشيء وأشرعه	عقم الله رحمها وأعقمه	لغز اليربوع أجبجاره
شرته في الأمر وأشركه	عل إبائه وأعلها	وألغزها
شظ الوعاء وأشظ	عمر داره وأعمرها	لحخته وألحخته
شمل النار وأشملها	علفه وأعلفه	لاته حقه وألاته
شغلته وأشغلته	عننت اللجام وأعنته	لاق الدواة وألاقها
شكل الكتاب وأشكله	عاقه وأعاقه	محضه الود وأحضه
شنق الناقة وأشنتها	عصم العصيدة وأعصمها	مد الدواة وأمدها
شنق الغربة وأشنتها	عضبه وأعضبه	مدر الحوض وأمدره
شار العسل وأشاره	عنكت الباب وأعنكته	مرأى الطعام وأمرأى
شاقه وأشاقه	عاضه وأعاضه	مرج البحرين وأمرجهما
صمدته وأصمدته	عذقت الكبش وأعذقته	مضه الحزن وأمضه
صر أذنه وأصرها	عفوت الشعر وأعفيته	مطرتنا السماء وأمطرتنا
صفحت الرجل رددته	غمد السيف وأغمده	أملاح القدر وأملحها
وأصفحته	غمض عينه وأغمضها	ملك العجين وأملكه
صعقته وأصعقته	فتنه الأمر وأفتنه	مهر المرأة وأمهرها
صلبته في النار وأصلبته	غواه وأغواه	مارأله وأمارهم
صرت إلى رأسه وأصرت	فرزت الشيء وأفرزته	نجزت الحاجة وأنجزتها
ضره وأضره	فرشته فراشي وأفرشته	نجوت الخلد عن اللحم وأنجيت
طلح البعير هزله وأطلحه	قلد السهم وأقلده	نزفت البشر وأنزفها
طابق يده بالخبر وأطلقها	قبسته وأقبسته	نشر الشيء وأنشره
ظلفت أثري وأظلفته	قدعته وأقدعته	نشل الشيء وأنشله
طل دم القثيل وأطله	قرى الضيف وأقراه	نصف الشيء وأنصفه
طمر الشيء وأطمره	قطبث الشراب وأقطبته	نضر وجهه وأنضره
طاعه وأطاعه	قطرت الماء وأقطرته	نظر غريمه وأنظره
عددت وأعددت	قلته البيع وأقلته	نعشه الله وأنعشه

نقد الدراهم وأثقلها
 نقص الشيء وأنقصه
 تقع الشيء وأنقصه
 نكر القوم وأنكرهم
 نهكهم عقوبة وأنهكهم
 نويت النوى وأنويته
 هجأ (سكنه) وأهجاه
 مدره وأهدره
 هديت العروس وأهديتها
 هلك الشيء وأهلكته
 هلت التراب وأهلته
 هرقت الماء وأهرقته
 هنزل الناقة وأهنزها
 وجرت الدواء وأوجرته
 ونخت الخطمي وأونخفته
 وعيت العلم وأوعيته
 وقته وأوقفه
 وكأ القرية وأوكأها
 وهنه الله وأوهنه
 يقن الأمر وأيقنه

ثانياً - من المتعدي بالحروف

برق لي وأبرق
 بل من مرضه وأهل
 ثويت عنده وأثويت
 جزت عنه وأجزت
 جدى الأمر وأجد
 جلبوا عليه وأجلبوا
 جلا عن الموضع وأجلى

جهش في البكاء وأجهش
 جال في ظهر دابته وأجال
 حدث على زوجها وأحدث
 حلق به وأحلق
 حل من إحرامه وأحل
 حاك فيه القول وأحاك
 حال في متن فرسه وأحال
 خطل في كلامه وأخطل
 خفق بجناحيه وأخفق
 خلد بالمكان وأخلد
 خلد إلى الأرض وأخلد
 خلف الله عليه وأخلف
 خلا على اللبن واللحم وأخلى
 دبر عنه وأدبر
 ذعن له وأذعن
 وبعث عليه الحمى وأربعت
 عد له وأرعد
 رغل في مشيه وأرغل
 ركح إليه لجا وأركح
 رمى على الخمسين وأرمى
 زحف في المشي وأزحف
 زرى عليه وأزرى
 سقط في يده وأسقط
 سرى بعبده وأسرى
 سمح له بحاجة وأسمح
 سند في الجبل وأسند
 سوت به ظنا وأسأت
 صبغوت إلى الرجل وأصبغيت
 ططف لك الشيء وأطف
 طلع على القوم وأطلع

طاف به وأطاف
 عصفت به وأعصفت
 عاذ بالله وأعاذ
 غبت عنه الحمى وأغبت
 غمى عليه وأغمى
 غربت بالشيء وأغربت
 فسخ له وأفسخ
 قبل على الرجل وأقبل
 قرأ عليه السلام وأقرأه السلام
 قهر عنه وأفهر
 لحد في الدين وألحد
 لحق به وألحق
 لخط به وألخط
 لمع بيده وألمع
 لهج به وألهج
 لاذ به وألاذ
 لوى برأسه وألوى
 مطت عنه وأمطت
 مسك بالشيء وأمسك
 نصع بالحق وأنصع
 هوى إليه وأهوى
 نعم الله بك عينا وأنعم
 وحى إليه وأوحى
 وعز إليه وأوعز
 وضع في ماله وأوضع
 وفي بالعهد وأوفي
 وقعت بالقوم وأوقعت
 وكس في ماله وأوكس
 وما إليه وأوما
 يسر له في الأمر وأيسر
 محمد شوقي أمين
 عضو المجمع

التراث الجيولوجي عند العرب

الدكتور محمد يوسف حسن

محفل

تراث العرب الجيولوجي بالكثير من المصطلحات والدراسات التي تدلّ أبلغ دلالة على ازدهار علم الجيولوجيا عند العرب ، الذي يُعدُّ من أهمِّ دعائم ازدهار هذا العلم - أيضاً - عند علماء أوروبا في عصر النهضة ، وحتى مشارف العصر الحديث .

وجاء القرآن الكريم وفيه عشرات الآيات التي تبحث بل تسامر بالنظر والتأمل فيما أبدع الله تعالى من أرض وسما . . ومن هذه الايات قوله تعالى :

« قل : انظروا ماذا في السموات والأرض » (يونس - ١٠١)

« قل : سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق (العنكبوت - ٢٠)

« وأنزلنا الحديد فيه بأساً شديد ومنافع للناس » (الحديد - ٢٥)

« وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بكم وأنهاراً ، وسبلاً لعلكم تهتدون » . (النحل - ١٥)

« أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت فذكروا إنما أنت مذكر » (الغاشية - ١٧-٢٠)

ويرجع اهتمام العرب بالجيولوجيا إلى ما طُيعوا عليه من حب التجوال ، والرحلة إلى الآفاق ، والتعرف على معالم بيئتهم ، وما فيها من جبال ووهاد ووديان ، ومياه جارية أو غائرة ، وعيون سائلة أو متفجرة . . وما تزخر به هذه البيئة من هضاب وصخور ورمال ، وما في باطن أرضهم من معادن ، وما في أعماق خليجهم من يّالَى ، وغير ذلك مما في جزيرة العرب .

«ألم تر أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ، وَمِنَ
الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا ،
وَعَرَابِيْبٌ سُودٌ » . (فاطر - ٢٧)

«أَو لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا » . (الأنبياء - ٢٠)

«لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِ النَّاسِ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
(غافر - ٥٧) .

وهكذا ، حين أَطْلَعَ فجر الإسلام على
أرض جزيرة العرب ، وَأَخَذَتْ أَضْوَاؤُهُ
تُشْرِقُ فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ ، وَارْتَحَلَ الْعَرَبُ
إِلَى مُخْتَلَفِ الْبُلْدَانِ ، كَانَ مِنْ أَهْرَازِ سَمَاتِ
الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ هَذَا الْإِهْتِمَامُ
الْعِلْمِيُّ بِعَالَمِ الْأَرْضِ وَظَوَاهِرِهَا ، وَاسْتِكْنَاهُ
أَسْرَارِهَا ، وَالْكَشْفُ عَنْ كُنُوزِهَا وَيَتَجَلَّى
ذَلِكَ فِيمَا تَزَخَّرَ بِهِ الْمَعَاجِمُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ
ثُرُوءِ هَائِلَةٍ مِنَ الْمَصْطَلَحَاتِ وَالْأَلْفَاظِ
الْجِيُولُوجِيَّةِ ، الَّتِي مَازَالَتْ حَيَّةً حَتَّى الْآنَ ،
يُسْتَخْدَمُهَا الْعُلَمَاءُ فِي عَصْرِنَا الْحَدِيثِ .
كَمَا يَتَجَلَّى فِي ذَلِكَ الْحِمَاسُ الْعِلْمِيُّ -
لدى علماء العرب - في البحث عن حقيقة

تكوين الأرض ، ودراسة ظواهرها ، حتى
خَلَقُوا لَنَا تَرَاثًا جِيُولُوجِيَا يَنْطَلِقُ بِأَجَلِي
بَيَانِ عَلَى أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لُغَةُ عِلْمٍ وَحَضَارَةٍ
مِنذُ عَشْرَاتِ الْقُرُونِ . وَمِنَ كُتُبِ هَذَا
التُّرَاثِ «رِسَالَتُ إِخْوَانِ الصِّفَا ، وَ« كِتَابُ
عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ وَغَرَائِبِ الْمَوْجُودَاتِ »
لِلْقَزْوِينِيِّ ، وَغَيْرُهُمَا .

وقد بدأ نمو الخلفية الجيولوجية عند
علماء العرب المهتمين بالعلوم الطبيعية
من حصيلة ما ترجمه أساطين عصر الترجمة
منذ القرن الأول للهجرة وبخاصة ما ترجمه
بعد ذلك أعلام مدرسة بنى موسى بن
شاذان ، ومدرسة يعقوب بن إسحاق الكندي
وغيرهم ممن أجادوا لغات اليونان والرومان
والسريان ، وللكندي نفسه رسائل أصيلة
في موضوعات جيولوجية مثل رسائل « المد
والجزر » و « العوامل الباطنة المؤثرة في
الأرض » و « علة حدوث الرياح في
باطن الأرض والمحدثه كثيرا من الزلازل
والخسوف » و « الجواهر والأشياء » وغيرها .

الرواد والمتخصصون في علوم الأرض
في عصر النهضة العلمية العربية الإسلامية :
لقد كان علماء العصور الإسلامية ، شأن
كل قدامى العلماء ، حتى نهاية عصر النهضة

الأوروبية . علماء موسوعيين يعملون في مجالات متعددة من العلم . غير أنه يمكن تقسيم من اشتغل من علماء العرب بعلوم الأرض بعد انتهاء عصر الترجمة والنقل إلى مجموعتين :

(أ) مجموعة المرحلة الأولى (٣٠٠ - ٥٠٠ هـ تقريبا = ٩٠٠ - ١١٠٠ م تقريبا) : ويمكن تسمية علمائها بالرواد الموسوعيين في علم الأرض .

(ب) مجموعة المرحلة الثانية (٥٠٠ - ١٤٠٠ هـ تقريبا = ١١٠٠ - ١٤٠٠ م تقريبا) : ويمكن تسمية علمائها بالرواد المتخصصين في علم الأرض .

* * *

ومن علماء المرحلة الأولى نذكر هؤلاء الأعلام :

١ - أبو بكر محمد بن زكريا الرازي

(المتوفى عام ٢١٤ = ٩٢٦ م تقريبا) : وهو بجانب شهرته الأولى كطبيب . كان أول من طبق علم الكيمياء في الطب ، فوضع أول تصنيف للمواد مؤسسا على الطريقة العلمية المستندة إلى وصف الخواص الطبيعية والكيميائية . وقد أورد ذلك في كتابه «سر الأسرار» ، وهو كتاب في

الكيمياء والعقاقير أساسا ، ولكن الرازي أفاض فيه في وصف المعادن والأحجار - كطائفة بذاتها - فتناولها بالدراسة من حيث اللون ، والثقل النوعي ، ومعرفة الجيد والردى : وموطن الوجود . وكان الرازي من رواد التقدير الدقيق للكثافة ، وابتكر لها جهازا خاصا أسماه «الميزان الطبيعى» . وله أيضا كتاب في الفلك اسمه «هيئة الأرض» تعرض فيه لموضوعات كوزموغرافية مثل براهين كروية الأرض ، وتقدير أحجام الشمس والأرض والقمر .

٢ - علي بن الحسين بن علي المسعودي (المتوفى عام ٢٤٦ هـ = ٩٥٦ م تقريبا) وشهرته الأولى في الجغرافيا ، وأشهر كتبه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» . وبه ريادات في الجيولوجيا الطبيعية كوصف هيئة الأرض ، ومعالمها ، وأغلفتها ، والمد والجزر ، ودورة الماء في الطبيعة وأوصاف الأنهار ، وأسباب ملوحة ماء البحر ، وتغير مواضع البر والبحر على طول الزمان ، وعلامات وجود الماء في باطن الأرض ، ووصف البراكين وماتقذفه من أبخرة ودخان أحجار ، وله أيضا كتاب اسمه «التنبيه والإشراف»

ناقش في خلاله نظرية التطور العضوى .
ويعد المسعودى أول من تناول ذلك
الموضوع بعد أنكسيماندر الإغريقى
بشئ من العمق والتفصيل إلى الحد الأدنى
دفع بعض علماء الغرب المعاصرين لداروين
أن يكتبوا في « الموازنة بين الداروينية
في القرنين : التاسع والتاسع عشر »

٣ — جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا
(القرن الرابع الهجرى = العاشر الميلادى) :
وتعد هذه الجماعة أول جمعية علمية
فلسفية في التاريخ بمعنى يقارب المعنى
الحديث لتلك الجمعيات ، وقد اختصت
رسالتان من رسائلهم التى نيفت على
الخمسسين بالعلوم الجيولوجية ، وهاتان
هما الرسالة الثامنة عشرة في « الآثار
العلوية ، والرسالة التاسعة عشرة في « بيان
تكون المعادن » . وقد أثبت التحقيق
والتعليق العلمى لبعض المعاصرين من
الجيولوجيين العرب على هاتين الرسالتين
أنهما تحتويان على أقدم نصوص في
التاريخ لموضوعات جيولوجية عالجهما من
ألف الرسالتين بأسلوب علمى يشير
الدخشة من حيث تقاربه الشديد مع
الأسلوب العصرى . وهذه الموضوعات

هى : وصف الدورة التحولية في الصخور
— تطور المستنقعات وبحار الرفوف القارية
— عمليات التأثير الجوى والتحات
والنقل والترسيب . وتشتمل الرسالة
الأولى أيضا على تقسيم للغلاف الجوى
للأرض إلى ثلاثة أغلفة تناظر ما يعرف
الآن بالتروبوسفير والستراتوسفير —
والأيونوسفير ، مع وصف علمى مفصل
لكل غلاف على حدة ، وتفسر الرسالة
الثانية نشأة الجبال مما يترافق على قعور
البحار من رواسب تنأى إليها من البر ،
وما يؤدى إليه ذلك من تغيير مواضع البر
والبحر بمرور الأزمان . ويضم الشرح
أول بادرة في التاريخ لفكرة التغيرات
الترسيبية العظمى (الجيوسينكلينات)
التي هى مناشئ الجبال ، لفكرة توازن
القشرة الأرضية . وبالرسالة أول محاولة
لتصنيف الصخور طائفتين تناظران
ما يعرف اليوم بالصخور النارية والصخور
الرسوبية ، وبها أيضا أول محاولة لشرح
أصل المياه الجوفية وحمولتها الذائبة
وترسب المعادن منها ، وبها كذلك وصف
للبيئات الجيولوجية لتكوين المعادن يعد
أول بادرة لنشوء علم التنقيب عن المعادن .

وقد صنف المؤلفان المعادن ووصفها على
أساس صفاتها الفيزيائية من شكل ولون
وطعم ورائحة وثقل ودرجة صلادة وقوة
تماسك وغير ذلك، وكذلك ورد بالرسالة
أول بادرة لوصف الاختبارات الكيميائية
للمعادن تعد أولى محاولات علم تجهيز
المعادن .

٤ — أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني
(المتوفى عام ٤٤٢ هـ = ١٠٥٠ م تقريبا) :
له عشرات الكتب الهامة في معظم
العلوم ، ومن أهمها كتابه في علم المعادن
واسمه « الجماهر في معرفة الجواهر »
تناول فيه بالدراسة المفصلة نحو ثلاثين
معدنا أو حجرا أو خاما أو فلزا ، على
أساس الخواص الفائئة من لون وشكل
وصلادة وحكاكة ومكسر ووزن نوعي
وشكل بلوري وشفافية وقدرة على كسر
الضوء . وتعد تجاربه وأجهزته وحساباته
لتعيين الوزن النوعي مشارا للعجب ، وقد
توصل منها إلى تقدير الأوزان النوعية
لعدد من المعادن لا يتجاوز الفرق بينها

وبين القيم الحديثة أجزاء قليلة من المائة
أو العشرة على أكثر تقدير .

٥ — أبو علي بن الحسين بن عبد الله
ابن سينا

(المتوفى عام ٤٢٨ هـ = ١٠٣٧ م تقريبا) :
أكبر شهرته في الطب . وله كتاب في
التاريخ الطبيعى اسمه « الشفاء » تناول
فيه مسائل أصل الجبال والصخور والمعادن
بريادة ووجهة نظر تقارب وجهة النظر
الحديثة ؛ فتحت الطريق أمام جيولوجى عصر
النهضة الأوروبية لتفهم هذه الموضوعات ،
فاستعانوا بأفكاره ، بل استعاروا منها
بحرية . وقد أشاد بريادته وتعمقه في
في هذه المجالات أساطين مؤرخى علم
الجيولوجيا في الغرب ، أمثال لايل وجايكى
وآدمز ، ويعد بن سينا أول من وضع
الأسس الأولى في علم الطبقات والرسوبيات
والحركات الأرضية ، وفهم الزمن الجيولوجى .
كما أنه أول من ألمع إلى حركات القارات
وميكانيكية تحجر بقايا الأحياء ، ومغزى
البحريات

٦ - عمر العالم

(القرن الرابع الهجرى) العاشر
الميلادى تقريبا) :

وهو شخصية تلتبس مع عمر الخيام المشهور ؛ ولم يتوصل المؤرخون إلى حسم هذا اللبس بعد . ومن أمتع الآثار الجيولوجية فى العصور الوسطى رسالة تنسب إليه بعنوان « تراجع البحار » ، وقد أثبت فيها من خلال ملاحظاته الحقلية ومقارنته خرائط عصره لمنطقة بحر قزوين بخرائط الفرس والهنود للمنطقة نفسها قبل ألفى سنة من زمانه ، أن البحر كان يغمر المنطقة فى سالف الأزمان . وقد علق رائد الجيولوجيا الحديثة « تشارلس لايل » على الرسالة بأن « بالاس فى أواخر القرن الثامن عشر قد توصل من نفس المشاهدات إلى نفس الاستنتاج » . وتعتبر هذه الرسالة أول بادرة وردت فى علم الجغرافية القديمة (الباليوجغرافيا) والتدليل على حركات البحار بطريقة مبتكرة لم يسبق عمر العالم إليها أحد .

* * *

ومن علماء المرحلة الثانية - والمعروف منهم حتى الآن قلة علم أى حال - نذكر :

١ - شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشى

(المتوفى عام ٦٥١هـ = ١٣٥٢م)

وأهم آثاره العلمية كتاب « أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار » ، وهو رسالة فى علم المعادن والخامات كثرت ترجمتها إلى اللغات الأوربية ، وكثر التعليق العلمى عليها من الأوربيين والعرب المحدثين المهتمين بعلم الجيولوجيا ، مما أثبت المنهج العلمى الأصيل للتيفاشى فى دراسة المعادن والخامات ، وبين التجديدات التى أحدثها فى أسلوب من سبقوه فى هذا المجال مما يرشحه لأن يكون أول من طور دراسة علم المعادن نحو الأسلوب الذى ابتدأ به رواد هذا العلم فى نهاية القرون الوسطى وبداية عصر النهضة ، وأسسوا به قواعده الحديثة ، وقد أثبتت هذه الدراسات أن التيفاشى أول من تنبه وتكلم عن ظواهر التشقق ، والمحصورات ، والتوأمية ، واختبار الشعلة . وأنه أول من حاول وضع نظريات فى أصل تكون الخامات . وقد أوضحت الدراسات كذلك براعة التيفاشى فى الوصف الدقيق ، وموهبته فى ابتكار المصطلحات الفنية فى وصف

الشكل البلّورى والتشقق : والصلادة .
وإنكسار الضوء وتشتته ؛ وكذلك موهبته
التصنيفية التى أشاد بها « موليه » الفرنسى
فى القرن التاسع عشر ، وتظهر فى وصفه
للمعادن على أساس خواصها الفيزيائية
والكيميائية ، وفصل كل مجموعة متشابهة
فى ذلك على حدة . هذا فى الوقت الذى
كان علماء المعادن فى أوروبا يصنفونها بحسب
حروف الهجاء ، ولم يتركوا ذلك التصنيف
الساذج إلا قرب زمن أجريكولا الملقب
بأبى علم المعادن فى القرن السادس عشر .

٢ — عماد الدين أبو يحيى زكريا بن
محمد بن محمود القزوينى

(المتوفى عام ٥٦٨٢ = ١٣٨٢ م) :

كان جغرافيا ورحالة وعالما بالتاريخ
الطبيعى . وأشهر مولفاته « عجائب المخلوقات
وغرائب الموجودات » وبه باب عن
الجغرافيا الطبيعية والجيومورفولوجيا .
وآخر عن الأحجار والمعادن . وقد ساق
فى هذا الكتاب محاورات ممتعة بأسلوب
مشوق ، وتنطوى على أفكار جيولوجية
بخصوص حركات البحار ، وتبادل البر
والبحر أماكنهما على مر الزمان .

٣ — أبو القاسم عبد الله بن على بن
أبى طاهر الكاشانى

(القرن الثامن الهجرى = الرابع عشر
الميلادى) :

كان متخصصا فى دراسة المعادن والأحجار
وخصوصا خامات صناعة الخزف والمعادن
التي تستخرج منها طلائعته .

٤ — أبو عبد الله شمس الدين محمد بن
ساعد السنجارى المعروف بابن الأکفانى
(المتوفى عام ٥٧٤٩ = ١٤٤٨ م) :

كان طبيبا متضلعا فى طب العيون
واشتهر بهويته العميقة للأحجار الكريمة
إلى الحد الذى دفعه إلى تأليف كتاب
متخصص فى علم المعادن باسم « نخب
الذخائر فى أحوال الجواهر » يمتاز بدقة
الوصف وعمام المراجع .

أثر التراث الجيولوجى العربى فى نشأة
الجيولوجيا الحديثة فى أوروبا :

إن ما سبق هو ملخص لما أمكن التوصل
إليه من إضافات العرب إلى علم الجيولوجيا
فى عصور النهضة العلمية الإسلامية .
وهو إذا لم يكن شيئا مذكورا بالنسبة لما
استحدثوه فى الطب ، والكيمياء ،
والفيزياء ، والفلك ، والرياضة ، وما
كان له من أثر معروف فى تطور تلك

العلوم في أوروبا إبان عصر النهضة . فإن ذلك يرجع إلى أن الجيولوجيا لم تتوطد أركانها بين العلوم الحديثة إلا عند مطلع القرن التاسع عشر ، فلم يتسع الوقت ولم تتوفر الأسباب بعد لمؤرخي هذا العلم في أوروبا أو الشرق للكشف عن جوانب أخرى لما أضافه العرب فيها ، وأثره في تطور هذا العلم في أوروبا في عصر النهضة ، ولكن سبيلنا إلى تقويم رهن لهذا التأثير يأتي من ناحيتين : الأولى : من الأدلة المباشرة على استفادة علماء أوروبا في أواخر القرون الوسطى من الفكر الجيولوجي الإسلامي ، وهي - على قلتها - واضحة في كتب ألبرت الكبير ، ورستورو داريزو في القرن الثالث عشر الميلادي . ويقول الأول بنفسه في كتبه إنه استقى كثيرا من معلوماته ونظرياته الجيولوجية من أعمال ابن سينا . وأما الثاني فقد كان كتابه « طبيعة العالم » محل دراسة مؤرخي علم الجيولوجيا الغربيين في أوائل هذا القرن وأواسطه . وقد ثبت منها أنه قد استفاد الكثير من الترجمات اللاتينية للمؤلفات العربية .

وتأتي الناحية الثانية من الأدلة غير المباشرة التي تتركز فيما سقناه من كشف عن الكثير من التراث الجيولوجي الإسلامي ، وتحليل عامي لما جاء فيه ، يظهر سبق المؤلفين العرب

والمسلمين عامة إلى أفكار جيولوجية كثيرة وأساليب علمية فنية نجد صداها واضحا في كتابات الجيولوجيين الأوروبيين في أواخر القرون الوسطى وحتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي . ولئن كان هؤلاء قد توصلوا إلى هذه الأفكار باستقلال نكرى تام عن المؤلفين العرب ، أو كان أصحاب الأسماء المشهورة من بناء الجيولوجيا الحديثة أمثال ستيفلا وأجريكولا وهاتون قد اطلعوا على التراث الجيولوجي الإسلامي عند إخوان الصفا وابن سينا والشفاشي والقزويني وغيرهم ، فإن هذا لا ينقص من قدر العلم الإسلامي ولا من قدرهم ، بل يزيد منهما معا . وإذا كانت علوم الطب والكيمياء ، والفلك والرياضة وغيرها في العصور الإسلامية الزاهرة قد ثبت تأثيرها بشكل قاطع في تطور العلم الغربي الحديث حتى فجر عصر النهضة بل وأواسطه ، وكانت المسالك الحقيقية للفكر الجيولوجي الإسلامي إلى أوروبا إبان عصر النهضة لم تتضح معالمها بعد - فإن ما سقناه من الأدلة غير المباشرة على ذلك نرجو أن يشير همم البعثة ، لتعرف تلك المسالك وتحققها .

محمد يوسف حسن
عضو المجمع

الوجود العسرنى فى اللغة التركية

للاستاذ احمد توفيق المرنى

لأمتنا

العربية الماجدة ، رصيدهم ضخم من اللغة والأدب ، هو وديعة الآباء والأجداد ، عند إخوتنا من الشعوب المجاورة لأقطار العرب ، أو القريسة منها ، كتركيا ، إيران ، وباكستان . وأرى . ترون معى ولا ريب ، إن البحث عن هذا الرصيد الثمين ، إنما هو من أقدم الواجبات المفروضة على الأديب العرب . حتى مظهر لأجيالنا الحديثة مدى إشعاع العربية فى البلاد المجاورة لنا ، ومدى ما أسهمت به لغتنا الحية الخالدة فى نمو وعمق وشمول اللغات التى تكتنف بلادنا العربية .

إن البحث فى هذا الميدان لشيق ومثير للملئ . وإن الإنسان العربى المعاصر ليندهش عندما يبحث البحث الحدى العميق فى لغات الترك والفرس والباكستانيين ، فتتجلى أمام عينيه الحقيقة الناصعة عن مدى إسهام اللغة العربية فى تكوين هذه اللغات من جهة وعن مدى تغلغل الأدب العربى ، نثراً وشعراً ، بموازينه ، وقوافيه ، وسجعته بديعه ، فى آداب تلك اللغات من جهة أخرى .

فإن كانت روابط الإسلام الحنيف تجمع بين شعوبنا برابط إلهى مقدس لا انفصام له أبداً . فإن روابط اللغة العربية توحد كذلك صفنا . وتجانس بين طرائف تفكيرنا ومناهج عملنا . ولو أن جمعا من علماء وأدباء العرب ولجوا ميدان هذا البحث المثمر الطريف ، وتغلغلوا فى شعبه ، لفتحوا بذلك أبواب تعاون جديد بيننا وبين إخوتنا فى الدين . ولازدادت العربية بذلك ذبوعاً وانتشاراً .

لقد اشتغلت بهذا العمل ردىاً من الزمن ، بحسب الجهد والطاقة . وسماح أوقات العمل . واهتبت فرصة وجودى سفيراً للجمهورية الجزائرية فى قطرى تركيا وإيران أولاً ، ثم فى بلاد الجمهورية الباكستانية أخيراً . وفحصت فحصباً مدقاً مختلف اللغى التى يتخاطب بها القوم فى هذه القطع الغالية من البلاد الإسلامية ، فخرجت من ذلك البحث بنتيجة رائعة مذهلة : إن حوالى الربع من هذه اللغات مكون من كلمات عربية صحيحة فصيحة ، تستعمل باللفاظها ومعانيها فى كلام الخاصة والعامة

سواء كان مكتوباً أو منطوقاً . وتشمل هذه الكلمات العربية الغنيرة كل ميادين التفكير والتعبير ، بحيث إنها لو انحسرت عن تلك اللغة ، لأصبحت اللغة شلاء غير صالحة للتعبير . ولأقدرة لها على ربط صفة التفاهم بين الناس .

ولأنه ليسعدنى ويشرفنى أن أقدم هذا البحث المبتكر عن : الوجود العربى فى اللغة التركية . وسأقضى على أثره ، إن نسر الله وسمح الأجل . ببحث آخر عن : الوجود العربى فى اللغة الباكستانية . الآوردية ثم عن الوجود العربى فى اللغة الإيرانية « راجياً أن يكون هذا البحث ذا فائدة لإمتنا وللغتنا . جديرة بالتسجيل والتزويج .

فلقد وضعت فى مضابط بحثى ثمانية آلاف كلمة تركية جردت من بينها نحو الأتراك من الكلمات العربية . أى ما يعادل الربع من مجسرها . ثم اعتكفت على تلك الكلمات المجردة ترتيباً ترتيباً معجمياً محكماً . وكانت نتيجة ذلك ، هذا القاموس الوجيز الذى أضعه الآن بين يدي الدارسين .

ولى على هامش ذلك ملاحظات :

أولها : أن إخواننا الأتراك فى غالبيتهم لا يعلمون أن هذه الكلمات عربية ، بل يعتبرونها — إلا ما قل — من صميم لغة الترك ، وأسوق لكم على ذلك مثلاً طريفاً :

عندما تعين موعد اجتماعى برئيس جمهورية تركيا ، لتقديم أوراق اعتمادى ، جاءنى رئيس تشريعات الدولة . يلتنى طريقة التقديم . وهى عندهم بسيطة جداً ولكنه قال لى فى لهجة حازمة : هنالك أمر لا يمكن إطلاقاً نسيانه أو التهاون فيه . وهو أنك يجب أن تقدم تحية لفرقة الحرس الجمهورى الذى تجده واقفاً لاستقبالك ، وذلك بأن تقول له بصوت مرتفع ، كلمتين باللغة التركية الصبيمة ، وهو يحياك عنهما جماعياً فيجب أن تحفظ الكلمتين ولا تنساهما . وعلى كل فأنا سأكون لى جانبك . ألقناك إذا نسييت . قلت جاداً : سأحفظهما إن شاء الله ، وسأمرن لسانى عليهما . نهات الكلمتين . قال لى هما : مرحباً عسكري فكتمت بكل صعوبة ضحكة كانت تترجرج فى صدرى ، وقلت : إن كانت اللغة التركية كلها على هذا المذوال ، فسأكون أفصح من يتكلمها .

وثانيها : إذا أنصت الإنسان لى الأتراك وهم يتكلمون ، فإنه لا يكاد يشعر بوجود هذه الكلمات العديدة من اللغة العربية فى لسانهم ، ذلك لأنهم يفهمون بعض الحروف ويرفقهون بعضها بما يخرج الكلمة العربية عن ميناها الطبيعى ، ثم أنهم من جهة أخرى ، لا ينطقون عدداً من الحروف العربية مثل : الثاء — والحاء — والظاء — والعين — والقاف — والواو . يستعملون مكانهما حرف

السين ، أو حرف الألف ، أو حرف الزاى أو حرف V الإفرنجي ذلك زيادة عن أنهم يستعملون في لسانهم أحرفاً لا وجود لها في العربية مثل أحرف p — U — و V —

لهذا ، فالباحث عن الكلمات العربية يجدها في الكتابة التركية واضحة جلية ، على الرغم من استعمال الأتراك لما يدعونه منذ ثورتهم الثقافية أيام أتاتورك ، بالأحرف التركية وماهى في الحقيقة لإحرف لاتينية أدخل عليها تغيير غير منطقي . فحرف ينطق جيماً مدغوماً بـ «دج» ، وإذا كانت لهذا الحرف شارة سفلى ، فهو ينطق : تش و حرف G ينطق غينا . وحرف ينطق : و حرف ينطق شينا ، وحرف u ينطق ou .

لهذا ، ترون أننى رتبته هذا المعجم على ثلاثة أودية ، أضع الكلمة العربية أولاً ، ثم أرسمها كما تكتب بالحروف التركية الجديدة .

وأضع أخيراً في الودى الثالث معناها الخاص ، إن كان معناها الاصطلاحي ويخالف أو يحدد المعنى العربى . وذلك قليل جداً .

وثالثها : أن الأتراك أنشأوا في أول عهدهم بالثورة بلخان تطهير ، غايتها إبعاد الكلمات الأجنبية عن لغتهم ، والاستعاضة عنها بكلمات من صميم الطورانية . ولقد اشتغلت تلك اللجان بحماس في أول أمرها

واستبعدت عدداً كبيراً من الكلمات الأجنبية ومنها كلمات عربية ، فما أذكره لكم بعد هذا من كلمات . يعتبر اليوم من صميم لغة الأتراك .

ورابعها — أننى لم أدخل في بعض أسماء الأعلام ، وهى عندهم عربية بنسبة ٩٠ من المائة كما لم أدخل كل المشتقات . وهى عديدة جداً .

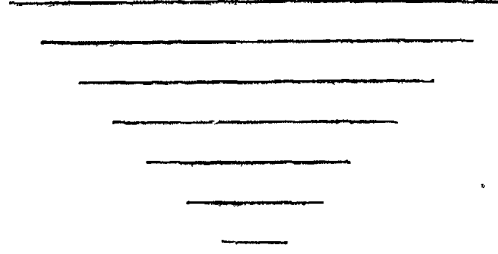
وأخيراً ، ملاحظة تاريخية . عن تغلغل الكلمات العربية ضمن اللغة التركية . لقد كان الأتراك قوياً من البدايتين بوجه عام عندما جاءهم الإسلام الخفيف على يد الرواد الأولين . وجاءهم القرآن هدى ونوراً فأخذوا الكتابة عن العرب . وأخذوا العلم عن العرب . وأخذوا مبادئ الحضارة عن العرب .

ثم كان الاختلاط الوثيق الأول بين العرب والترك ، عندما ما استعمل العباسيون الجند التركى . وأفسحوا له المجال في دولتهم ، فاغترف الترك يومئذ من العربية وعلومها وآدابها الشيء الكثير ثم كان بعد ذلك ورود فيالق المماليك تترى على أقطار مصر والشام . وأخذت التركية تتوسع شيئاً فشيئاً بواسطة المدد العربى الواسع ، إلى أن كان القرن السادس عشر ، ودخل العرب كافة ضمن السلطنة العثمانية ، فزاد الالتحام والترابط بين الأمتين التركية والعربية .

فالأغة العربية وهى لغة الدين والعلم والأدب
والحضارة لم تأخذ خلال هذا الالتحام
شئنا من اللغة التركية : اللهم إلا بعض
الكلمات الإدارية ، على حين أخذ الأتراك
من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون
فيضامن لغة العرب . سد عجز لغتهم البدائية
الصغيرة .

هذه ملاحظات أقدمها بين يدي عملي ،
ولأدعى الكمال . ولأقول إننى بلغت ،

الغاية . انما أخصائى هذا ، يمكن أن يعتبر
أساساً لعمل جماعى ، تقوم به قلة من
رجال العلم والأدب ، تجوس خلال
مصطلحات العلوم والفنون المختلفة ،
وتستخرج منها المدد العربى الكبير الذى
يتخللها . إنما اعتقد أن النتيجة ستبقى نهائياً
على حالها : إن ربع اللغة التركية مكون
اليوم من كلمات عربية فصيححة .



حرف الألف

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Ahmak	أحمق		Ibat	إبعاد
	Ahval	أحوال		Ebedi	أبدى
	Ihbar	إخبار	إهداء - تقديم	Ibra	إبراء
	Ihtilaf	اختلاف		Ebeveyn	أبوين
	Ihtilal	اختلال		Ithaf	اتخاف
	Ihtilas	اختلاس		Ittifak	اتفاق
	Ihtira	اختراع		Asariatika	آثار عتقة
	Ihtisas	اختصاص		Ispat	إثبات
	Ihtiar	اختيار		Eser	أثر
	Ihtar	أخطار		Esna	إثناء
ملاحظة - تأكيد صادرات	Ihracat	إخراجات		Igtimai	اجتماعي
	Âhîret	آخرة		Ecdad	أجداد
	Ahsap	أخشاب		Icra	أجراء
	Ahlâk	أخلاق		Ecnebi	أجنبي
	Ahlaki	أخلاقي	مزايدة عمومية	Ihale	أحالة
	Ahtapot	أخطبوط		Ahbab	أحاب
	Eda	أداء		Ihtikar	احتكار
	Edat	أداة		Ihtimal	احتمال
	Adab	أدب	طمع - رغبة	Ihtiras	احتراس
	Adabimua sarât	أدب معاشر		Ihtiraz	احتراز
حسن السلوك	Edebi	أدبي		Ihtiva	احتواء
	Edebiat	أدبيات		Ihtiaç	احتياج
	Edib	أديب		Ihtiat	احتياط

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Esir	أسير	تمرين جسدي	Idman	إدمان -
	Isaf	إسعاف		Idrak	ادراك
	Esmer	أسمر	البول	Idrar	ادرار
	Iskan	اسكان		Ital	ادخال
	Isim	اسم	واردات	Ithalat	ادخالات
	Isal	إسهال	الرجل	Adam	ادم
	Istisna	استثناء		Idare	ادارة
	Istisare	استشارة		Ezan	اذان
	Istirahat	استراحة		Izin	اذن
	Istibdat	استبداد		Eziyet	أذية
	Istida	استدعاء		Erbap	ارباب
	Istifade	استفادة		Arz	أرض
	Istihdam	استخدام		Arazi	اراضي
	Istihkam	إستحكام		Irtikâp	ارتكاب
	Istifa	استعفاء		Irtifa	ارتناع
	Istihsal	استحصا		Erzak	ارزاق
	Istikamet	استقامة		Izdiham	ازدحام
	Istikbal	استقبال		Ezcumle	ازجمله
	Istiklal	استقلال		Ezeli	أزلى
	Istikrar	استقرار		Ezme	أزمة
	Istikraz	استفراض		Esas	أساس
	Istimal	استعمال		Esasen	أساسا
	Istihlak	استهلاك		Esbabimucibe	أسباب موجبة
	Istirham	استرحام		Esef	أسف
	Istila	استيلاء		Esaret	أسر

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
استيضاح	Istizah	نزع الملكية	اعتراف	Itiraf	أقصى — أقصى سرعة
استهداف	Istihdaf		اعتناء	Itina	
استهلاك	Istimlak		اعتیاد	Itiyat	
إسراف	Israf		إعدام	Idam	
إسلام	Islam		أعضاء	Aza	
إسناد	Isnad		أعظمى	Azami	
استهزاء	Istihza		اكتساب	Iktisap	
استخبارات	Istihbarat		إعلان	Ilân	
إشارة	Isaret		إعمار	Imar	
اشتراك	Iştirak	عامل يدوي — تاجر	إغفال	Igfal	تحيل — اعتيره مغنلا
إشغال	Işgal		إفادة	Ifade	
أشياء	Eşya		افتخار	Ifthar	
إصابة	Isabet		افتراء	Iftira	
أصالة	Asalet		آفة	Afet	
أصناف	Esna'f		إفراز	Ifraz	
أصغر	Esgari		إفساد	Ifsat	
أصلا	Asla'		إفشاء	Ifşa	
أصول	Usul		إفطار	Iftar	
أصيل	Asil		إفراط	Ifrat	
أصلي	Asli		أفق	Ufuk	
أطراف	Etraf		أفكار	Bfkar	
إطفائية	Etraiyet		إفلاس	Iflas	
اعتبار	Itibar		أفيون	Afion	
اعتدال	Itidal		إقامة	Ikamet	
اعتزاز			إقتباس	Iktibas	

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Alet	آلة	Iktidar		إقتدار
	Ilah	إله	Iktiraz		إقتراض
	Allah	الله	Ikraz		إقراض
	Ilahi	الاهى	Iktisat		إقتصاد
	Ilahiyat	الآدييات	Iktisadi		إقتصادى
	Ilham	إلهام	Akraba		أقرباء
	Elyaf	إلباف	Ikna		إقناع
	Imtihan	امتحان	Ekser		أكتر
	Imtiaz	امتياز	Ekseriya		أكثريه
	Aman	أمان	Ikram		إكرام
	Emare	إمارة	Ikmal		إكمال
	Emtea	أمتعة	Iltsak		التصاق
	Emanet	أمانة	Iltifaf		إلتفاف
	Imam	أمام	Ilthak		إلتحاق
	Ama	أما	Iltimas		التماس
	Emsal	إمثال	Ilthab		التهاب
	Imda	إمداد	Elbet		البيت
	Imha	إستواء	Elbise		البسة
	Imla	إملاء	Elhamdoti lillah		الحمد لله
	Imza	إمضاء	Elhasil		الحاصل
	Emlak	إملاك	Ilhak		إلحاق
	Emniet	أمنية	IlGa		إلغاء
	Emir	أمير	Elem		ألم
	Amin	أمين	Elim		أليم
	Intihar	انتحار	Elmas		الماس

الكلمة:	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
إنتظار	Intizar		أنفس	Enfes	
إنتقال	Intikal		[امانه]	Ihanet	
إنتقام	Intikam		أهالى	Ahali	
إنتظام	Intizam		احتماء	Ihtida	اعتناق الإسلام
إنحصار	Inhisar	اختصاص	اهمال	Ihmal	
إنصاف	Insaf		أهل	Ehil	
إنضباط	Inzibat	طاعة — انقياد	أهلية	Ehliet	
انطباع	Intiba		[أهلى]	Ehli	
انطباق	Intibak		أولا	Evvela	
إنفاذ	Infaz	انتهجار	أولاد	Evlat	
إنفلاق	Infilak		أوصاف	Evsafe	
انقاض	Enkaz		أولوية	Evleviyet	
انقباض	Inkibaz		آية	Ayet	
انقلاب	Inkilap		انجار	Icar	
انكشاف	Inkisaf		ايضاح	Izah	
إنشاء	Inşa		ايفاء	Ifa	
إن شاء الله	Inşallah		ايقاضى	Ikaz	
انسان	Insan		امان	Iman	
إنكار	Inkar		أَيَرَه	Evet	
انكشاف	Inkisaf				

حرف الباء

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Pesrev	بشرف		Baba	بابا
	Beşeri	بشرى		Barut	بارود
	Beşeriyet	بشرية		Bâkir	باكرة
	Basiret	بصيرة		Batil	باطل
	Battaniye	[بطانية]		Bilhassa	بالخاصة
	Bazi	بعض		Basur	بشور
	Papagan	بغبغان		Bahis	بحث
	Bakkal	بقال	للأوزان الشعرية	Bahr	بحر
	Bakla	بقاة		Bahriye	بحرية
	Belâ	بلاء		Buhran	بحران
	Balagat	بلاغه		Buhar	بخار
	Bülbül	بلبل		Baht	بخت
	Belediye	بلدية	مجانادون مقابل	Bedava	بداوة
	Binaye-naleya	بناء عليه	لعنة	Beddua	بالدعاء
	Bunye	بئية		Bedel	بدل
الربيع	Bahar	بهار		Beden	بدن
	Baharat	بهارات		Beraet	براعة
الحديقة	Bahçe	بهجة		Barrak	بِراق
	Bogaz	بوغاز		Bereket	بركة
	Bayan	بيان		Portakal	برتقال
	Bayaz	بياض		Burç	بُرج
	Bayrak	بيرق		Bostan	بستان
	Beyzi	[بيضى]	أغنية	Beste	بسطة

حرف التاء

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
تابوت	Tabut		تجربة	Tecrube	
تاج	Taç		تجريد	Tecrit	
تأثر	Teessur		تجهيز	Teçhiz	
تأثير	Tesir		تجهيزات	Teçhizat	
تأدية	Tedye		تحديد	Tahdit	
تاريخ	Tarih		تعريف	Tahrif	
تأجيل	Tecil		تحرّيك	Tahrik	
تأسف	Teesstif		تحصيل	Tahsil	
تأسيس	Tessis		تحصيلات	Tahsilat	
تالى	Tali	ثانوى	تحف	Tuhaf	
تأليف	Telif		تحففة	Tuhafiye	
تام	Tam		تحقيق	Tahkik	
تامين	Temin		تحقيقات	Tahkika	
تأييد	Teyit		تحقير	Tahkir	
تأخير	Tehir		تحكم	Tahakkum	
تبرع	Teberru		تحكم	Tahkim	
تبريك	Tebrik		تحمل	Tahammül	
تبليغ	Tebliğ		تحليل	Tahlil	
تبرئة	Tebriye		تحميل	Tahmil	
تثبيت	Tesbit		تحميل تخلية	Tahmiltahlyie	
تجارة	Ticaret		تحويل	Tahvil	
تجارى	Ticari		تحويلات	Tahvilat	
تجانس	Tecanus		تخت	Taht	
تجاوز	Tecatiz		تخصيصات	Tahsisat	

عجيب - بديع
محل بيع الملابس
الداخلية

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
دسيسة	Terk	ترك	[إنقاذ]	Tahsis	تخصيص
	Terkip	تركيب		Tahlisiye	تخليصية
	Tezvir	تزوير		Tahliye	تخليّة
	Tesanut	تساند		Tahammür	تخسر
	Tespih	تسبيح		Tahmin	تخمين
	Tescii	تسجيل		Tahmini	تخميني
	Teskin	تسكين		Tedarik	تدارك
	Teslim	تسلم		Tedavül	تداول
	Teselli	تسلى		Tedavi	تداوى
	Tesellum	تسلم		Tedbir	تدبير
	Tesviye	تسوية		Tedricen	تدريجاً
	Tesebbus	تشبث		Tedkik	تدقيق
	Teşbih	تشبيه		Tezkere	تذكرة
	Teşhis	تشخيص		Teraküm	تراكم
	Teşrih	تشریح		Turbe	قربة
	Tesekkur	تشكر		Terbiye	تربية
	Teşkil	تشكيل		Tertip	ترتيب
	Teşri	تشریح		Tercüman	ترجمان
	Teşrii	تشريعى		Tercih	ترجيح
	Teşrifat	تشرينات		Terhis	ترخيص
	Teşhir	تشهير		Tereddut	تردد
	Tesvilk	تشويق		Tarassut	ترصد
	Teşyi	تشجيع		Tarziye	ترضية
	Tesadül	تصادف		Terfi	ترفيه
	Tasarruf	تصرف		Terfih	ترفیه

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
المعاش	Teferruat	تفرعات	Tasrih	بصريح	
	Tefsir	تفسير	Tasnif	تصنيف	
	Tafsilat	تفصيلات	Tasvip	تصويب	
	Takas	تقاص	Tasvir	تصوير	
	Tekabul	تقبل	Tazmin	تضمين	
	Takaaddim	تقدم	Tazyik	تضييق	
	Takdir	تقدير	Tatbik	تطبيق	
	Takdis	تقديس	Tezahur	تظاهر	
	Taksit	تقسيط	Tezahurat	تظاهرات	
	Taksim	تقسيم	Tabir	تعبير	
	Tahkir	تحقير	Tacil	تعجيل	
	Tekaut	تقوت	Tadil	تعديل	
	Takviye	تقوية	Taarod	تعرض	
	Takvim	تقويم	Tarif	تعريف	
	Takyit	تقييد	Tazie	تعزية	
	Tekamul	تكامل	Tatil	تعطيل	
	Teksir	تكثير	Tazim	تعظيم	
	Tekzip	تكذيب	Talimat	تعاليمات	
	Tekrar	تكرار	Taamüt	تعهد	
	Teklif	تكليف	Tamim	تعميم	
	Tekmil	تكميل	Taahhud	تعهد	
	Telafi	تلافى	Tayin	تعيين	
	Telaffuz	تلفظ	Teftiş	تفتيش	
	Telakki	تلقى	Tefrika	تفرقة	
	Temaruz	تمارض	Tefrik	تفريق	

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Tenasüp	تناسب		Temas	تماس
	Tenafus	تنافس		Tamam	تمام
	Tanzim	تنظيم		Tamaman	تماماً
	Tenvir	تنوير		Tamamiyet	تمامية
	Tahrip	تهريب		Temayül	تمایل
	Tehlîke	تهلكة		Temattu	تمتع
	Töhmæt	تهمة		Timsal	تمثال
	Tevazu	تواضع		Tamsil	تمثيل
	Töbet	توبة		Temerkuz	تمركز
	Teveccüh	توجهه		Timsah	تمساح
	Tevcih	توجيه		Temenni	تمنى
	Tevdi	توديع		Temyiz	تمييز
	Tevrat	توراة		Tenbih	تنبيه
	Tevzi	توزيع		Tenazzüh	تنزه
	Tevesstül	توسل		Tenzil	تنزيل
	Tevsi	توسيع		Tenzilat	تنزيلات
	Tavsiye	توصية		Tensikat	تنسيقات
	Tevfik	توفيق	مصادقة	Tensip	تنصيب
	Tevekkul	توكل		Tenkid	تنقيد
				Tenasül	تناسل

حرف الثاء

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Servet	ثروة		Sabit	ثابت

حرف الجيم

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Celp	جَلَب		Caiz	جنائر
	Cilt	جلد		Cadde	جادة
	Cilve	جلوة		Cazibe	جاذبة
	Cemaat	جماعة		Casus	جاسوس
	Cuma	جمعه		Cani	جاني
	Cümle	جمله		Cam	جام
	Cemiet	جمعية		Cami	جامع
	Cümhuriyet	جمهورية		Cahil	جاهل
	Cenazet	جنازة		Cebir	جبر
	Cinas	جناس		Cebzan	جبراً
	Cinayet	جناية		Ceset	جثة
	Cennet	جنة		Cetvel	جدول
	Cinnet	جنة		Ceddi	جدي
	Cins	جنس		Cüzam	جدام
	Cenup	جنوب		Cüret	جراة
	Cihaz	جهاز		Cerahat	جراحات
	Cihet	جهة		Cerrahi	جراح
	Cehalet	جهالة		Cürum	جرم
	Cehennem	جهنم		Cerean	جریان
	Cevap	جواب	عقاب	Ceza	جزاء
	Civar	جوار		Cüzi	جزئي
	Ceviz	جوز		Cesaret	جسارة
	Cevhar	جوهر		Cisim	جسم
	Cep	جيب		Cesur	جسور
				Cefa	جفاء

حرف الحاء

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
شعبي — رجل ما	Hiddet	حِدَّة	سيدة حامل	Hadis	حادث
	Hudut	حدود		Hasıye	حاشية
	Hur	حُرّ		Hasila	حاصلة
	Haram	حرام		Hasilat	حاصلات
	Hararet	حرارة		Hazir	حاضر
	Harp	حرب		Hafiz	حافظ
	Hirs	حرص		Hafiza	حافظة
	Harf	حرف		Hâkim	حاكم
	Harekat	حركات		Hakimiyet	حاكمية
	Hareket	حركة		Hakim	حكيم
	Hurmet	حُرمة		Hal	حال
	Haris	حريص		Halâ	حالا
	Herif	حريف		Hamiz	حامض
	Hurriyet	حرية		Hamile	حاملة
	Huzun	حزن		Hami	حامي
	Hazin	حزين		Hap	حبّ
	His	حس		Hapis	حبس
	Hesap	حساب		Hububat	حبوبات
	Hassas	حساس		Hatta	حتى
	Haset	حسد		Hac	حج
	Hasret	حسرة		Hücre	حجرة
	Hasa t	حصاد		Haciz	حجز
	Hasar	حصار		Hacim	حجم
	Hisse	حصّة			حاد

حصن

تابع حرف الحاء

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Helva	حلوة	Huzur	حضور	
	Hammal	حمل	Haz	حظ	
	Hamaliye	حمالية	Hakaret	حقارة	
	Himaye	حماية	Hak	حق	
	Haml	حمل	Hakiyet	حقانية	
	Hamam	حمام	Hukuk	حقوق	
	Hamul	حمل	Hukuki	حقوقى	
	Havuz	حوض	Hukikat	حقيقة	
	Hamiyet	حمية	Hakikaten	تحقيق	
	Havadis	حوادث	Hakikei	حقيقى	
	Havale	حوال	Hikaye	حكاية	
حيوى	Hayat	حياة	Hakam	حكيم	
	Hayati	حياتى	Hüküm	حكم	
	Haysiyet	حيثية	Hukmi	حكمى	
	Hayavan	حيوان	Hakim	حكيم	
	Hayvan	حيوانى	Hukumet	حكومة	
هندش - تعجب	Hayran	حيران	Hal	حل	
	Hayran	حيران	Halka	حلقه	
	Hayret	حيرة	Hallaç	حلاج	
	Hile	حيله	Helal	حلال	

حرف الحاء

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
مخارق للعادة	Harici	خارجي		Hain	خائن
	Haricie	خارجية		Hadim	خادم
	Harita	خارطة		Hademe	خادمة
	Harika	خارقة		Haric	خارج
	Hasim	خصم		Han	خان
	Hususiyyet	خصوصية		Has	خاص
	Hususi	خصوصي		Hassa	خاصة
	Hata	خطأ		Hatir	خاطر
	Hitap	خطاب		Hatira	خاطرة
	Hitabet	خطابة		Hatirat	خاطرات
	Hutbe	خطبة		Hala	خالة
	Hattat	خطاط		Halis	خالص
	Hatip	خطيب		Halik	خالق
	Hafif	خفيف		Has	خاص
	Hela	خلاء		Ham	خام
المرحاض	Hulassa	خلاصة		Haber	خبر
أخذ المعادن	Halita	خلط		Harabe	خرابة
الأمة - الشعب	Halef	خائف		Harap	خرباب
	Halk	خاق		Hurafe	خرافة
	Hancer	خنجر		Harc	خرج
	Hendek	خندق		Hazine	خزين
	Hayal	خيال		Hortum	خرطوم
	Hayali	خيالي		Hasar	خسارة
	Hiyanet	خيانة	نخيل	Hasis	نخيس
	Hiyar	نخيل		Haçin	نخشين
	Hayir	نخير			

حرف الدال

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
دائرة	Daire		دفين	Defin	كنز
دائمي	Daimi		دقة	Dikkat	
دائما	Daima		دقيقة	Dakika	
داخل	Dahil		دليل	Dalil	
داخلي	Dahili		دمار	Damar	غضب عرق
داخلية	Dahiliye		دمالة	Damla	
داهية	Dahi	عبقري	دنيا	Dunya	
درجة	Derece		دهاء	Deha	عبقرية
درس	Ders		دهشة	Dehset	رعب - فزع
درهم	Dirhem		دراء	Deva	
دستور	Düstür		دوام	Devam	
دعاء	Dua		دررد	Devre	
دعم	Deyim		دورية	Devriye	
دعوة	Davet		دولاب	Dolap	
دعوتية	Davatiye	بطاقة الدعوة	دولة	Devlet	
دعوى	Dava		ديانة	Dianet	
دفتر	Defter		ديني	Dini	
دفعه	Defa		ديوان	Divan	
دفن	Defin				

حرف الذال

ذات	Zat	ذكي	Zeki
ذاتي	Zati	ذهن	Zihin
ذروة	Zirve	ذهنية	Zihniyet
ذرية	Zurriyet	ذهول	Zühul
ذكاء	Zeka	ذيل	Zeyil
ذكر	Zikir	ذوق	Zevk

حرف الراء

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
رابطه	Rabita		رشوة	Ruṣvet	
رأسالمال	Rasūlmal		رشيد	Recid	
رأى	Rey		رصد	Rasat	
رائج	Raic		رضى	Riza	
راحة	Rahat		رطوبة	Rutubet	
راصد	Rasit		رعاية	Riayet	
راضى	Razi		رغبة	Ragbet	
راهب	Rahip		رُغما	Rogmen	
راهبة	Rahibe		رف	Raf	
رئيس	Reis		رفاه	Rafah	
رب	Rap		رفقة	Rafakat	
ربى	Rabbi		رقابة	Rekabet	مزاحمة
رتبة	Rutbe		رقاص	Rakkas	
رجاء	Rica		رقاصة	Rakkase	
رحم	Rahim		رمضان	Ramazan	
رحمة	Rahmet		رهن	Rahin	
رخصة	Ruhsat		روح	Ruh	
رد	Ret		روحانى	Ruhani	
ردالة	Razalet	فضيحة	روحى	Ruhi	
رسالة	Risale		رويا	Rua	
رسام	Ressam		رياء	Riya	
رسم	Resim		رياضى	Riyazi	
رسمى	Resmi		رياضية	Riazia	
رسمى البسة	Resmielbise				

حرف الزين

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
زجاجية	Zucacia		زنجي	Zinci	
زراعة	Ziraa		زوال	Zeval	
زراعي	Zirai		زوالى ساعة	Zevali Saat	
زفت	Zift		زور	Zor	صعب - عسير
زقوم	Zukkim	سم	زيادة	Ziade	
زمان	Zaman		زيارة	Ziaret	
زمرة	Zumre		زيت	Zeytin	
زهرد	Zumurt		زيتوني	Zeytouni	
زناء	Zina		زيتون	Zeytoun	
			زينة	Ziyenet	

حرف السين

سابق	Sabik	سجل	Sicil
سابقة	Sabika	سجينة	Secia
ساعة	Saat	سحر	Sihir
ساحة	Saha	سر	Sir
ساحل	Sâhil	سراب	Serad
سافل	Safil	سراج	Serac
ساقط	Sakit	سطر	Satir
ساكن	Sakin	سطح	Sath
سالم	Salim	سطحي	Sathi
سبيب	Sebed	سعادة	Saadet
سببية	S:ebiet	سفالة	Sefalet
سعادة	Seccade	سفاهة	Sefahat

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Selamet	سلامة		Sefaret	سفارة
	Semavi	سماوى		Sefer	سفر
	Sene	سنة		Sofra	سفرة
	Sünnet	سنة		Safsata	سفسطاء
	Sumbul	سنبول		Sefir	سفير
	Senet	سند		Sfeih	سفيه
	Sual	سؤال		Sukut	سقوط
	Suiistimal	سوء استعمال		Sukut	سكوت
حب - غرام	Sevda	سوداء		Sükünet	سكون
	Sur	سور		Silah	سلاح
	Sevn	سوق		Sulale	سلالة
	Seyahat	سياحة		Silsile	سلسلة
	Seyah	سياح		Sultan	سلطان
	Siyaset	سياسة		Saltana	سلطنة
	Siassi	سياسى		Sem	سماء
	Seyar	سيار		Selam	سلام
	Seyir	سير		Semt	سمت
	Sira	سيرة		Simsar	سمسار

حرف الشين

	Se beke	شبكة		Şan	شان
	Suphe	شبهة		Şair	شاعر
شجرة الأصول	Seceir	شجرة		Şamil	شامل
	Siddet	شدة		Şahit	شاهد
الخمر	Şarap	شراب		Şahika	شاهقه
	Şerh	شرح		Şayia	شائعة

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Şikahyet	شكاية		Şart	شرط
	Şeker	شكر		Şeref	شرف
	Şekil	شكل		Şark	شرق
	Şellal	شلال		Şirket	شركة
	Şimal	شمال		Şerir	شرير
	Şemsiya	شمسية		Şerit	شريط
	Şamdan	شمعدان		Şahis	شخص
	Şümül	شمول		Şahsiet	شخصية
	Şahadet	شهادة		Şahsi	شخصي
	Şehvani	شهواني		Şiir	شعر
	Şehvet	شهوة		Şasaa	شهادة
	Şehit	شهيد		Şifa	شفاء
	Şevk	شوق		Şefaaf	شفاعة
	Şura	شورى		Şeffaf	شفاف
	Şey	شيء		Şefkat	شفقة
	Şeytan	شیطان		Şafak	شفق
				Şifahen	شفاها
				Şifahi	شفاهي

حرف الصاد

Sihhat	صحة	Sabun	صابون
Sihhi	صحي	Sahip	صاحب
Sihhiye	صحية	Safi	صافي
Sahan	صحن	Sabah	صباح
Sâhi	صحيح	Sabir	صبر
Sahife	صحيفة	Sohbet	صحبة

محادثة

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Sulh	صلح		Sa dakat	صدقة
	Zamk	صمغ		Sadaka	صدقة
	Samimi	صميم		Saraha	صراحة
	Samimiet	صميمية		Sarrafa	صراف
	Sanat	صناعة		Sirf	صيرف
	Sinai	صناعي		Sarfiet	صرفية
	Sinf	صيف		Sarih	صريح
	Sanaat	صناعة		Safa	صفاء
	Sevap	صواب		Sofa	صفحة
	Sayfie	صيغية	طور	Safha	صفحة
				Salahiet	صلاحية

حرف الضاد

ضعف	Zaruri	ضروري		Zabit	ضابط
	Zafiat	ضعيفة		Zabita	ضابطة
	Zaif	ضعيف		Zai	ضائع
	Zimnen	ضمنا		Ziddiet	ضدية
	Zamir	ضمير		Darb	ضرب
	Zia	ضياح		Darbi me sel	ضرب مثل
	Ziafet	ضيافة		Zaruret	ضرورة

حرف الطاء

	Talebc	طالب		Tabi	طابع
	Tayfa	طائفة		Tabia	طابية
	Tip	طيب		Takat	طاقة
	Tababet	طباية	سعد - حفظ	Tâli	طالع
	Tebeşir	طباشير	راغب	Talip	طالب

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Tarz	طرز		Tabi	طبع
	Tarh	طرح		Tabac	طبق
	Taraf	طرف		Tipki	طيق
	Tarikat	طريقة		Tabaka	طبقة
	Tilsim	طاسم		Tepki	طبقي
	Tamah	طمع		Tipki	طبي
	Tufan	طوفان		Tabib	طبيب
	Tayyare	طيارة		Tabiat	طبيعة
				Tabii	طبيعي

حرف الظاء

Zafer	ظفر	Zalim	ظالم
Zulum	ظلم	Zahiri	ظاهري
Zulma	ظلمة	Zafe	ظرافة
Zan	ظن	Zarf	ظرف
		Zarif	ظريف

حرف العين

صعوبة - حادث	Âriza	عارضة	Aidat	عائدات
	Afiyet	عافية	Aile	عائلة
	Akibet	عاقبة	Aciz	عاجز
	Akil	عاقل	Âcil	عاجل
	Akili	عاقلي	Âdet	عادة
	Âlem	عالم	Âdi	عادي
	Âlim	عالم	Adil	عادل
	Amme	عامّة	Ari	عاري
	Amele	عامل	Asi	عاصي

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
الفناء في الله	Askina	عشقنة	موزع بريد-معاون	Âmil	عامل
	Asap	عصب		Ibadet	عبادة
	Asabi	عصبي		Ibret	عبرة
	Asabiy eti	عصبية		Abes	عبث
	Asir	عصر		Acayip	عجائب
	Asri	عصري		Acele	عجلة
حرارة التهاب	Ateş	عطش		Acemi	عجمي
	Atifbeani	عطف بياني		Acuze	عجوز
	Uzi	عضو		Adalet	عدالة
	Uzvi	عضوي		Adese	عدس
	Uzviet	عضوية		Adli	عدلي
	Iffet	عفة		Adliye	عدلية
	Akar	عقار		Azap	عذاب
	Akit	عقد		Araba	عربة
	Akrep	عقرب		Arabi	عربي
	Akli	عقلي		Arz	عرض
	Akim	عقم		Arzuhal	عرضحال
	Akide	عقيدة		Arafa	عرفة
	Aksin	عكسا		Azar	عزر
	Akis	عكس		Azil	عزل
	Aksi	عكسي		Azim	عزم
حسن جدا	Âlâ	علاء		Aziz	عزيز
	Alaka	علاقة		Asker	عسكر
قوس قزح	Alaimin sema	علامن سما		Askeri	عسكري
	Alama	علامة		Ask	عشق

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
عالجي	Alci	الخص	عنصر	Unsur	سكير
علني	Aleni		عنوان	Unvan	
عليه	Aleyh	ضده	عوام	Avam	
عملي	Ameli		عودة	Avdet	
عمليات	Amaliyat		عيار	Ayar	
عمودي	Amudi		عيتاش	Ayyaş	
عمومي	Umumi		عيب	Ayip	
عمومية	Umumiyeh		عينا	Aynen	
عنبر	Ambar		عينه	Aina	نظارة - مرآة
عنينة	Anane		عيني	Ayni	

حرف الغين

غازي	Gazi	غرض	Garaz	جميل - حسن
غائب	Gayip	غريب	Garip	
غاية	Gayet	غزال	Gusel	
غبطة	Gipta	غصب	Gasp	
غذاء	Gida	غنيمة	Ganimet	
غذائي	Gidayi	غيرة	Gayret	

حرف الفاء

فاتح	Fatih	فاصلة	Fasila	ممثل - مؤلف
فاجع	Feci	فاعل	Fail	
فاجعة	Facia	فأل	Fal	
فاحش	Fahiş	فاني	Fani	
فاحشة	Fahise	فائدة	Faida	
فار	Far	فتح	Feth	

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Fazilet	فضيلة		Fitik	فتق
	Fuzuli	فضولي		Fitne	فتنة
	Fitri	فطري		Fitil	فتيل
	Faal	فعّال		Fuceten	فجأة
	Faaliyet	فعالية	دعارة	Fuhuş	فحوش
	Fiil	فِعْل		Fahri	فخري
	Fiilen	فعلا		Fida	فداء
	Fiili	مغلي		Firar	فرار
	Fil	فيل		Feraset	فراصة
فقير	Fukara	فقراء		Feragat	فراغ
	Fakat	فقط	العدول عن أمر - تنازل	Feragat	فرغات
من أتباع الصوفية	Fakir	فقير		Ferahi	فرح
	Fikir	فكر		Fert	فرد
	Fikra	فكرة		Ferdi	فردى
واحد من عامة الناس	Falanfilan	فلان فيلان		Firsa	فرصة
	Felec	فالج	واجب - اغتراض	Farz	فرض
	Felek	فلك		Farazi	فرضي
	Felsefe	فلسفة		Faraziye	فرضية
	Felsefi	فلسفي		Feri	فرعى
قبيح - مريض	Fena	فناء		Fark	فرق
	Fener	فئار		Fırka	فرقة
	Fen	فن		Feriat	فريّة
	Fenni	فنيّ	رشرة تأهر	Fesat	فساد
	Fevkalâde	فوق العادة		Fcza	فضاء
	Fiat	فتة		Fazla	فضلة
	Beylesof	فيلسوف		Fil Hakika	في الحقيقة

حرف القاف

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
على قدر ما	Kaḍar	قدر		Kabil	قابل
حادث	Kader	قادر		Kalip	قالب
	Kudret	قدرة		Kabiliye	قابلية
	Kıdam	قدم		Kaatil	قاتل
	Karar	قرار	صارم - عنيف	Kati	قاطع
	Kur'an	قرآن	نهائي	Kati	قاطع
	Kurban	قربان		Kaida	قاعدة
	Karānfil	قرنفل		Kafiye	قافية
	Kur'a	قرعة		Kafilet	قافلة
	Kirimlzi	قرمزي		Kani	قانع
	Kesit	قسط		Kanon	قانون
	Kesim	قسم	آله موسيقية	Kanun	قانون
حظ - نصيب	Kismet	قسمه		Kabahat	قباحه
من الاقسام	Kesme	قسمه		Kubbe	قبعة
	Kasap	قصاب		Kabir	قبر
	Kasaba	قصبه	إمساك	Kabiz	قبض
	Kait	قصد		Kibla	قبلة
	Kasten	قصد	الشيء	Kaplama	قبلا
	Kaza	قضاء		Kabul	قبول
	Katran	قطران		Kabile	قبيلة
	Kitar	قطار		Katil	قتل
	Kutup	قطب		Kadeh.	قدح
	Kın̄tar	قنطار		Kutur	قطر
	Kahir	قهر		Kita	قطعة

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Kahve	قهوة		Kafa	قفا
	Kuvvet	قوة		Kufe	قُفَّة
	Kavis	قوس		Kafes	قفص
	Kias	قياس		Kalp	قلب
	Kiyafet	قيافة	قلب الحقائق	Kalp	قلب
	Kiamet	قيامَة		Kale	قلعة
	Kaytan	قيطان		Kalam	قلم
	Kay	قيى		Kumar	قمار
	Kayit	قيد		Kumaş	قماش
	Kiyimet	قيمة		Kanaat	قناعة
				Kindil	قنديل

حرف الكاف

	Kitabe	كتابة		Kabus	كابوس
	Keten	كتان		Kâs	كاس
	Kesafet	كثافة		Kaşif	كاشف
	Kesif	كثيف		Kagit	كاغط
	Keza	كذا		Kafi	كافى
	Kira	كراء		Kahin	كاهن
	Kürsü	كرسى	أعيان القوم	Kibar	كبار
من الكسور العشرية	Keir	كسر		Kipir	كبير
	Kesif	كشف		Kibrit	كبريت
	Keffaret	كفارة		Kitap	كتاب

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
النشوة الخفيفة	Keman	كمان		Kefalet	كفالة
	Kemiet	كمية		Kifayet	كفاية
	Kunne	كنية		Kufur	كفر
	Kehainet	كهانة		Kefen	كفن
	Keyif	كيف		Kefil	كفيل
	Keyfiet	كيفية		Kofte	كفتة
	Kimya	كيمياء		Kulfet	كلفة
				Kelime	كلمة

حرف اللام

قاموس	Lânet	لعنة		Layiha	لائحة
	Lugat	لغة		Lazim	لازم
	Lakap	لقب		Lahika	لاحقة
	Lokma	لقمة		Layik	لائق
	Lakin	لكن		Lehim	ليحام
	Lahce	لهجة		Lezzet	لذة
	Levha	لوحة		Luzum	لزوم
	Liakat	لياقة		Lutfen	لطفاً
	Lif	ليف		Latif	لطيف
	Limon	ليمون	فكاهة — نكتة	Latife	لطيفة

حرف الميم

صاحب المال	Masallah	ما شاء الله		Mabait	ما بعد
	Maada	ماعد		Matem	مأتم
	Mal	مال	حادث	Macera	ماجري
	Mal sahibi	مال صاحبي		Mezun	مأذون

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Mute	متحرك		Malik	مالك
	Harrik			Maliye	مالية
	M tehassis	متخصص		Mali	مالي
	Müteredit	متردد		Memur	مأمور
	Mütercim	مترجم		Mani	مانع
	Metruk	متروك		Mahiet	ماهية
	Müteşebbis	متشبت		Mahir	ماهر
	Müteakip	متعقب		Mayi	مائي
	Mütaassip	متعصب		Mübadele	مبادلة
	Müteallik	متعلق		Mübarek	مبارك
	Müteahhit	متعهد		Mübsaer	مباشر
	Mütefekkir	متفكر		Mübalaga	مبالغة
	Müttetik	متفق	صدقة بيع	Mübayaa	مبايعة
	Mütekabil	متقابل		Müptezel	مبتذل
	Mutekait	متقاعد		Muptela	مبتلى
	Mutemadi	متأدي	كثير	Mebzul	مبذول
	Mutema diyen	متماين	نائب في المجلس	Mabus	مبعوث
	Mutenasip	متناسب		Mablag	مبلغ
	Metin	متين		Muphem	مبهمة
	Misal	مثال	هدنة	Mutereke	متاركة
	Müsepet	متشبت		Metanet	متانة
	Mesalâ	مثلا		Müteessir	متأثر
حرب - معركة	Mucadele	مجادلة		Meta	متاع
	Mecaz	محاز		Mütecanis	متجانس
	Mecal	محال		Mütecaviz	متجاوز
	Meccanen	محانا			

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
متواضع التواضع	Muhtamel	محتمل	مشتترع	Mucbir	مجبر
	Muhteva	محتوية		Mecbur	مجبور
	Muhtevi	محتوي		Mecburitt	مجبورية
	Mahdut	محدود		Mecra	مجرى
	Mahcup	محبوب		Mücellit	مُجَلِّد
	Mahcubiet	محبوبية		Meclis	مجلس
	Mahcuz	محبوز		Mecmua	مجموعة
	Muharrir	محرر		Mucehhez	مجهز
	Muharrik	محرك		Meshul	مجهول
	Mahrukat	محروقات		Mucit	مجيد
	Mahrem	محرم		Muharip	محارب
	Mahrüm	محروم		Muharebe	محاربة
	Mahzun	محزون		Muhasebe	محاسب
	Mahsus	محسوس		Muhasebat	محاسبة
	Mahsul	محصول		Muhassara	محاصرة
	Mahzur	محظور		Muhavere	محاور
	Mahfaza	محفوظة		Muhafaza	محافظة
	Mahfuz	محفوظ		Muhafiz	محافظ
	Muhakkak	محقق		Muhakeme	محاكمة
	Muhkam	محكم		Muhabbet	محبة
	Mahkeme	محكمة		Mahpus	محبوس
	Mahküm	محكوم		Muhtaç	محتاج
	Mahlul	محلول		Muhtarem	محترم
	Mahal	محل		Muhtasem	محتشم
	Mahalle	محلة		Muhtekir	محتكر

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
مرعب - مفزع	Muddeium umu	مدعى عمومى	حر - مستقل عمدة قرية	Mahalli	محالى
	Met	مد		Mahv	محو
	Methal	مدخل		Mihver	محوور
	Medeni	مدنى		Muhit	مخطط
	Medeniyet	مدنية		Muhabir	مخابير
	Muthiş	مدهش		Muhabere	مخابرة
	Medducezir	مد وجزر		Muhatap	مخاطب
	Medih	مديح		Muhatara	مخاطرة
	Müzakere	مذاكرة		Muhalif	مخالف
	Mezbaha	مذبح		Muhalefet	مخالفة
	Mezkür	مذكور		Muhbir	مخبر
	Mezhap	مذهب		Muhtar	مختار
	Mürâj	مُرأى		Muhtar	مختار
	Muracaat	مراجعة		Muhtasar	مختص
	Merasim	مراسم		Muhtalif	مختلف
	Meram	مرام		Muhteri	مخترع
	Murakip	مراقب		Magaza	مخزن
	Murakabe	مراقبة		Mahluk	مخلوق
	Murabbia	مربية		Muhayyle	مخيلة
	Murattip	مرتب		Mudahale	مداخلة
	Mertebe	مرتبة		Müdafî	مدافع
	Murteci	مرتجع		Müdafaa	مدافعة
	Mercan	مرجان		Müdür	مدير
	Merci	مرجع		Müddet	مدة
	Merhaba	مرحبا		Müddei	مدعى

رجعى

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
ضيـف — زائـ	Musaade	مساعدـة	مندوب — مفوض	Merhale	مرحلة
	Mesafe	مساـفة		Merhamer	مرحمة
	Misafir	مساـفر		Merhum	مرحوم
	Mes'ele	مسألة		Murahhas	مُرْتَحِص
	Müsamaha	مساـحة		Mer'i	مرعى
	Müsavat	مساوات		Mer'a	مرعى
	Musavi	مساوى		Mureffeh	مُرفَّه
	Mustabit	مستبـد		Murekkeb	مركب
	Mülstesna	مستثنى		Merkez	مركز
	Müstahsil	مستحصل		Merkezi	مركزي
حصن	Müstahkem	مستحكم	قنبلة — قذيفة	Mermer	مرمر
	Müstahdem	مستخدم		Mermi	مرمى
	Müstarih	مستريح		Muruvvet	مروعة
	Müstasar	مستشار		Mizac	مزاج
	Müstesrik	مستشرق		Mizah	مزاح
	Müstacel	مستعجل		Merat	مزاد
	Müstaceliye ^t	مستعجالية		Mezar	مزار
	Müstamel	مستعمل		Muzayede	مزايـدة
	Müstakbel	مستقبل		Mezrak	مزراق
	Mustakil ^{me}	مستقل		Muzmin	مؤمن
مستعمرة	Müstakim	مستقيم		Müzevir	مؤر
	Müstemlik	مستملك		Meziet	مزية
	Müstanit ^l	مستند		Müsabaka	مسابقة
	Müstahcen	مستهـجن		Mesaha	مساـحة
	Müstahlik ^l	مستهلك		Müsait	مساعد

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
مسجد	Mescit	سعيد - محظوظ	مشجاة	Mesale	ممنها
مسرف	Müsrif		مشغول	Mesâul	
مسعود	Mesut		مشكل	Müşkül	
مسك	Misk		مشهور	Meshut	
مسكرات	Muskirat		مشهور	Meşhur	
مسكن	Mesken		مشووم	Meş'um	
مسكن	Musekkin		مصادرة	Musadere	
مسكون	Meskun		مصادمة	Musademe	
مسجل	Müseccel		مصالحة	Musalaha	
مسلم	Müslüman		مصار	Mastar	
مسالك	Meslek		مصراع	Mesra	
مسهل	Müşhil		مصرف	Masraf	
مسؤول	Mesul		مصون	Masun	
مسؤولية	Mesuliyet		مصيبة	Musibet	
مسودة	Musvedde		مضاف	Muzaf	
مشاهد	Müşahit		مضبطة	Mazbatu	
مشاهدة	Müşahede		مضر	Muzir	
مشاور	Müşavir		مطابق	Mutabik	
مشاورة	Müşavara		مطابقة	Mutabakat	
مشربة	Maşrapa		مطالعة	Mutalaa	
مشترك	Musterek		مطبعة	Matbaa	
مشتري	Müşteri		مطبوع	Matbu	
مُشَخَّص	Muşahas		مطبوعات	Matbuat	
مُشْتَرَف	Muşerref		مطرح	Matrah	
مشروع	Meşru		مطروود	Matrut	

قاعدة الضرائب

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Madeni	معدني	Mutlak	مطلق	
	Mazeret	معذرة	Mutlaka	مطلقا	
	Mazur	معذور	Matlup	مطلوب	
	Mirac	معراج	Maznon	مظنون	
	Marifet	معرفة	Muzaffer	مظفر	
	Mazum	معصوم	Maatteessuf	مع التأسف	
	Matuf	معطوف	Muadil	معادل	
	Muazzam	معظم	Maazalla	معاذ الله	
	Muaf	معفى	Maarif	معارف	
	Makul	معقول	Maas	معاش	
	Maalesef	مع الاسف	Muaseret	معاشرة	
	Malil	معاول	Muassir.	مُحَادِث	
	Muallim	معلم	Muafiete	معافية	
	Malum	معلوم	Muamele	معاملة	
	Malumat	معلومات	Muahede	معاهدة	
	Maamafih	مع مافيه	Muavin	معاون	
	Mimar	معمار	Muayen	معاین	
مصنوع	Mamul	معمول	Mabet	معبد	
	Muamma	مُحَامِي	Mabut	معبود	
	Mâna	معنى	Mutat	معتاد	
	Mâneui	معنوي	Muteber	معتبر	
	Maneuia	معنويات	Mutemet	معتهد	
	Mayet	معية	Mutedil	معتدل	
	Maiset	معيشة	Mucize	مـعْجِزَة	
	Magara	مغارة	Maden	معدن	

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Maktul	مقتول		Mugair	مغاير
	Mikdar	مقدار		Magdur	مغدور
	Mukadderat	مقدرات		Magrur	مغرور
	Mukaddes	مقدس		Magfired	مغفرة
	Mukaddesat	مقدسات	امر صعب الفهم	Muglak	مغلاق
	Makas	مقص		Maglup	مغارب
	Maksat	مقصد		Maglubiyyet	مغلوبيية
	Makta	مقطع		Mugber	مغبر
	Mukavva	مقوى		Mufettis	مفتش
	Mikyas	مقياس		Mufred	مفرد
	Mukafat	مكافأة		Mufrit	مفرط
	Mekan	مكان		Mefrus	مفروش
مدرسة ابتدائية	Mektep	مكتب		Mefrusat	مفروشات
رسالة	Mektup	مكتوب		Mufreze	مفرزة
	Mükarrer	مكرر		Mufassal	مفصل
	Mekruh	مكروه		Müflis	مفلس
	Mükallaf	مكلف		Mefluç	مفلوج
	Mükallafiye	مكلفية		Mukabil	مقابل
	Mukemmel	مكتمل		Makale	مقالة
	Mükeyyifat	مكيفات		Makam	مقام
	Mülhaza	ملاحظة		Mukavele	مقابلة
	Mülakat	ملاقات		Mukavemet	مقاومة
	Millet	ملة		Makayes	مقايضة
	Mülteci	ملتجى	وصل مقابل دفع	Makbuz	مقبوض
	Mülhak	ملحق		Muktadir	مقتدر

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Münavebe	مناوبة	أدوات العمل	Malzeme	ملازمة
	Memba	منبع		Mulga	مالمعى
	Mümbit	منبت	مع هذا	Mülfuf	ملفوف
	Münebbih	منبه		Mülk	ملك
	Müntazam	منتظم		Melek	ملك
	Müntaza man	منتظما		Meleke	ملكة
	Münhasir	منحصر		Mülki	ملكى
	Münhasiran	منحصرأ		Mülkiet	ملكية
	Münhal	منحل	مرهم	Melhem	ملهم
	Mundericat	مندرجات		Milli	ملى
	Mensup	منسوب		Milliet	ولية
	Mensucat	منسوجات		Mumtaz	ممتاز
	Mense	منشأ		Mumassil	ممثل
	Mantik	منطقي		Mumkin	ممکن
	Mentika	منطقة		Memnu	منوع
	Mantiki	منطقى		Memnun	ممنون
	Manzara	منظرة		Memnuniet	منونية
	Manzum	منظوم		Mumeyiz	مميز
	Manzume	منظومة		Minare	منارة
	Münferit	منفرد		Münasip	مناسب
	Menfaat	منفعة		Münasebet	مناسبة
	Menfa	منفعى		Münazara	مناظرة
	Menfi	منفى		Münakaşa	منقشة
	Menkibe	منقبة		Münakalat	مناقلات
	Münakkit	منككت		Münakale	مناقلة

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Muessif	مؤسف		Minnet	منة
	Mevsim	موسم		Munevver	منور
	Mumin	مؤمن		Maharet	مهارة
	Mevzi	موضع	معتنق الإسلام	Muhtedi	مهتدي
	Mevzu	موضوع	نختم - طابع	Muhur	مهر
	Muazzaf	موظف		Mahmuz	مهماز
	Muaffak	موفق		Mühim	مهم
	Muaffakiyet	موفقية		Mühimmat	مهمات
	Muvakkat	موقت		Mühendis	مهندس
	Muvakk- atan	مؤقتاً		Muaheze	مواخظة
	Mevki	موقع		Muvazene	موازنة
	Mevkuf	موقوف		Muazi	موازي
	Muellif	مؤلف		Muvasalat	مواصلات
	Mevlit	مولد		Muvafik	موافق
	Mevhum	موهوم		Muvafakat	موافقة
	Mumya	مومييا		Muebbet	مؤبد
	Mueyyit	مؤيد		Muessir	مؤثر
	Meydan	ميدان		Mesuk	موثوق
	Miras	ميراث		Mevcut	موجود
	Meyil	ميل		Mevcudiet	موجودية
	Meyus	ميتوس		Muahhar	مؤخر
				Mevduat	مودوعات
				Muz	موز
				Muvezzi	موزع
				Müessese	مؤسسة

حرف النون

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Nusha	نسخة		Nahie	ناحية
	Nesil	نسل		Nadir	ناد
	Neşet	نشأة		Nadiran	نادراً
	Nesir	نشر	قنبلة يدوية	Nar	نار
	Neşriat	نشریات		Naşir	ناشر
	Nese	نشرة		Naşiz	ناشز
	Nasihah	نصيحة		Nakis	ناقص
	Nezaret	نظارة	نخيل	Nakes	ناقص
	Nizami	نظامی	غير نافع - عقم	Nafile	نافلة
	Nizam	نظام		Nakil	ناقل
	Nazar	نظر		Namus	ناموس
	Nazaran	نظراً		Ney	نابي
	Nazari	نظري		Nebat	نبات
	Nazrariat	نظريات		Nebatat	نباتات
	Nezafet	نظافة		Nebati	نباتي
	Nimet	نعمة		Nabiz	نبض
	Nane	نعنع		Netice	نتيجة
	Nagme	نغمة		Nesir	نشر
	Nifak	نفاق		Nezahet	نزاهة
	Nefaset	نفاضة		Nezle	نزلة
	Necer	نعر		Nezif	نزيف
	Nefret	نفرة		Nisbeten	نسبتا
	Nefes	نفس		Nispet	نسبة
	Nafaka	نفقة		Nisbi	نسبي

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
من الموسيقى	Nakliyat	نقلیات	السكان	Nüfuz	نفوذ
	Nakliye	نقلية		Nufus	نفوس
	Nikah	نكاح		Nefis	نفيس
	Nukte	نکته		Nekahet	نقاهة
	Nema	نمو		Nakit	نقد
	Nihai	نهای		Nakden	نقداً
	Nihayet	نهایة		Nakdi	نقادی
	Nehir	نهر		Nakarat	نقرات
	Nöbet	نوبة		Noksan	نقصان
	Nevi	نوعی		Nokta	نقطة
	Nict	نيسة		Noktata - azar	نقطة نظر
				Nakil	نقل

حرف الهاء

ميل .. اتجاه	Hilal	هلال		Havan	هاون
	Hoves	هوس		Hava	هواء
	Heyecan	هيجان		Havai	هوائي
	Huviet	هوية		Hecc	هيجاء
	Heybe	هيبة		Hibe	هبة
تمثال	Heykel	هيكل		Hicret	هجرة
				Hicri	هجري
				Hücum	هجوم
				Hedef	هدف
				Hediye	هدية
				Hezimet	هزيمة
				Hazim	هضم

حرف الواو

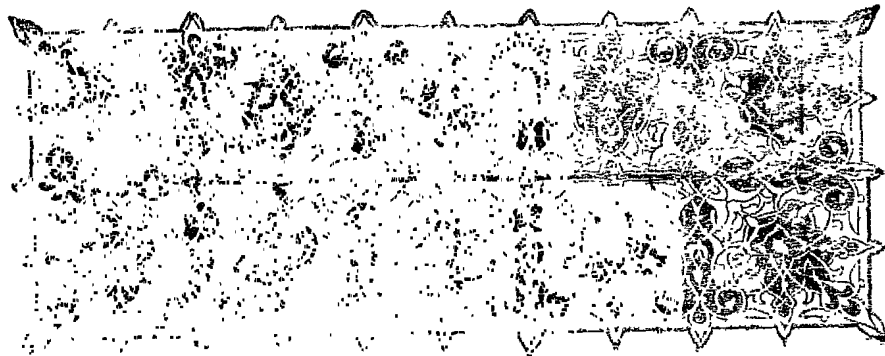
معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
دمل - سل ميزان	Veraset	وراثثة	مشتبة - عارف	Vecip	واجب
	Varta	ورطة		Vadi	وادی
	Verem	ورم		Varis	وارث
	Vezin	وزن		Varidat	واردات
	Vezne	وزنة		Vasita	واسطة
	Vezir	وزير		Vasi	واسع
	Vesait	وسائط		Vasil	واصل
	Vesves	وسواس		Vasih	واضح
	Vesile	وسيلة		Vakif	واقف
	Vasif	وصف		Vaka	واقعة
	Vasiyet	وصية		Vali	والى
	Vatan	وطن		Vaba	وباء
	Vazife	وظيفة		Vesika	وثيقة
	Vait	وعد		Viedan	وجدان
	Vaiz	وعظ		Viedani	وجداني
	Vefa	وفاء		Vucut	وجود
	Vefat	وفاة		Veciz	وجيز
	Vakar	وقار		Vahset	وحشة
	Vakit	وقت	وحشية - قسوة	Vahşi	وحشى
	Vakif	وقف		Vahşiaın	وحشيا
	Vakfiye	وقفية		Vahiy	وحى
	Vuku	وقوع		Vehamet	وخامة
	Vukuat	وقوعات		Vahim	وخيم
	Vekalet	وكالة		Veda	وداع

الكلمة في	رسمها	معناها	الكلمة في	رسمها	معناها
وكيل	Vekil		وكيلي	Veli	
وكيل حرج	Vekil Haro		والحاصل	Velhasil	
ولاية	Vilayet		وهم	Vehim	

حرف الياء

Yemin	يمين	Yeis	ياس
Yahut	يهود	Yakut	ياقوت
Yahudi	يهودي	Yetim	يتيم
		Yani	يعنى

أحمد توفيق المدني
عضو المجمع من الجزائر



مصطلحات علم الحركة لدى علماء العرب للدكتور جمال شوقي

نذكر منها على سبيل المثال ألفاظ المبدأ والميل والاعتماد والمدافعة والمعاوقة والممانعة والمقاومة ، وإن من هذه الألفاظ ما جاء استعماله في أكثر من معنى واحد ، الأمر الذي يجعل من غير المتيسر الإلمام بفضيل العرب في الفلسفة الطبيعية دون الوقوف على ما قصد العرب بهذه الألفاظ من معان دقيقة .

هذا ويعرض بحثنا الحال لأهم الألفاظ التي وردت في الكتابات العربية خاصة بحركة الأجسام ، وقد حرصنا كل الحرص على أن نسوق النصوص العربية المتضمنة لكل لفظ منها لتبين المعنى المقصود عند كل موضع ، ولنتأكد صحة مدلول اللفظ فيها ، بما لا يدع مجالاً للشك أو لبس أو غموض .

الكتابات الفلسفية العربية بدراسات متوسعة ومتعمقة في مجال حركة الأجسام ، حيث يعرض علماء العرب وفلاسفتهم للدراسة عناصر الحركة وأنواعها وأقسامها وقوتها ، كما أنهم كتبوا بتفصيل عظيم عن مدافعات الحركة ، أى عن السمات الكامنة في الأجسام التي تدفعها للحفاظ على حالتها من سكون أو حركة منتظمة وعلى استقامة ، ولقد وقف العرب على هذا المبدأ الهام قبل أن يصيغه إسحق نيوتن فيما عُرف بالقانون الأول للحركة ، وذلك بعدة مئات من السنين .

إن للعرب ولا شك منجزات قيمة في مجال حركة الأجسام ، ولقد وردت في كتاباتهم مجموعة من الألفاظ الخاصة ،

عناصر الحركة وأنواعها وأقسامها وقوتها الحركة والسكون :

يُعرف الشيخ الرئيس ابن سينا^(١)
في رسالته الرابعة «في الحدود»^(٢) كلا من
الحركة والسكون حيث يقول :

«الحركة^(٣) كمال أول لما بالقوة من
جهة ما هو بالقوة ، وإن شئت قلت ،
خروج من القوة^(٤) إلى الفعل^(٥) لاني
آن واحد .

ويقول في السكون :

«السكون^(٦) هو عدم الحركة فيما من
شأنه أن يتحرك بأن يكون ذو في حالة
واحدة من الكيم^(٧) والكيف^(٨) والأين
والوضع زمانا ما ، فيوجد عليه في آئين .
ويقول ابن سينا أيضا في رسالته الأولى
«الطبيعيات من عيون الحكمة»^(٩) : الحركة
كمال أول لما بالقوة من حيث هو بالقوة

ولقد وجدنا ن الملائم أن ننظم
الألفاظ التي تناولناها بالدراسة في هذا
البحث في مجموعات ثلاث هي :

١- الألفاظ الخاصة بعناصر الحركة
وأنواعها وأقسامها وقوتها .

٢- الألفاظ التي تعبر عن مُدافعات
الجسم من « ميل » أو « اعتماد » .

٣- الألفاظ الخاصة بمُعاوقات الحركة
من مقاومة وممانعة للوسط المنفوذ فيه .

إن حقيقة سبق العرب إلى معاني
ومبادئ وقوانين أساسية كثيرة في علم
الحركة لتحديدنا إلى بيان المصطلحات
الأجنبية المبرادة . تلك المصطلحات
التي تعبر في عصرنا الحالي عن تلك
التي قصدها العرب في كتاباتهم في
الفلسفة الطبيعية . وقد اقتصرنا في هذا
الشأن على تقديم المصطلحات الإنجليزية
المعاصرة .

(١) عاش في الفترة : ٣٧٠ - ٤٢٨ هـ (٩٨٠ - ١٠٣٧ م) .

(٢) «تسع رسائل في الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٩١ ، ٩٥ .

Action (٥)

Force (٤)

Motion (٣)

Quality (٨)

Quantity (٧)

Rest (٦)

(٩) «تسع رسائل في الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٥ .

وهو كون الشيء على حال لم تكن قبله ولا بعده ، وتسمى تلك الحال أينما أو كيفما أو كمّا أو وضعاً كالشيء يكون على وضع في مكانه لم يكن قبله ولا بعده فيه ، ولا يفارق كليتته مكانه»

ويمضى ابن سينا في موضع آخر من رسالته ^(١) يقول :

«كل حركة فلها مُحَرِّكٌ ، لأن الجسم إما أن يتحرك لأنه جسم أولاً لأنه جسم ، فإن تحرك لأنه جسم وجب أن يكون كل جسم متحركاً ، فإذا حركته تجب عن سبب آخر ، إما قوة فيه ، وإما خارج عنه .»

الأمر المتعلقة بالحركة :

لعلّ أو جز ما قيل في أمور الحركة قول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه «الشفاء» ^(٢) :

«المتحرك ^(٣) ، والمحرك ^(٤) ، وما فيه ، وما منه وما إليه ، والزمان» فهذه في رأي

ابن سينا - هي الأمور الستة المتعلقة بالحركة ، فبالمتحرك يقصد الشيخ الرئيس الجسم الذي به الحركة ، وبالمتحرك القوة المسببة للحركة ، ويقول ما فيه يقصد المكان والوضع ، وما منه وما إليه مواضع الابتداء والانتهاء . أى طرفى مسافة الانتقال ^(٥) وتتضمن اتجاه الحركة . أما الزمان فالقصد منه الفترة الزمنية التى تتم فيها الحركة بقطع مسافة الانتقال : وارتباط الزمان بالمسافة يحدد سرعة الحركة

ويقول ابن سينا أيضاً في رسالته الأولى : «الطبيعات من عيون الحكمة» ^(٦) : «كل تغيير دفعةً فإنه لا يسمى حركة .»

كل حركة تصدر عن محرك في متحرك فهى بالقياس إلى ما فيه تحرك ، وبالقياس إلى ما عنده تحريك .

(١) نفس المصدر السابق : صفحة ١٧ .

(٢) «طبيعات الشفاء» : المقالة الثانية - الفصل الأول .

(٣) Moving Body

(٤) Driver — (Motor)

(٥) Displacement

(٦) «تسع رسائل في الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٥ .

كلُّ مُحرَّكٍ فإمَّا أن يكون قوَّةً في
جسمه ، «ولمَّا أن يكون شيئاً خارجاً ويحرك
بحركته في نفسه »

يقرر ابن سينا في هذا النص ارتباط
الحركة بالزمان واستحالة حدوث حركة
في غير فترة زمنية محددة مهما كانت هذه
الفترة قصيرة ، وفي هذا المعنى يقول
الحسن بن الهيثم ^(١) في المقالة الثانية
من كتابه «المناظر» ^(٢) في معرض حديثه
عن انتقال الضوء :

«إذا كان الثقب مستتراً ثم رفع الساتر ،
فوصول الضوء من الثقب إلى الجسم
المقابل ليس يكون إلَّا في زمان ، وإن كان
خفياً عن الحس . »

ويزيد ابن الهيثم الأمر وضوحاً في
في فقرة تالية فيقول :

« . . . فالضوء إنَّما يصل إلى الجسم
المُقابل للثقب بحركة ، والحركة ليست
تكون إلَّا في زمان ، وإن كان الهواء يقبل
الضوء دفعة واحدة . فإنَّ حصول الضوء في

الهواء بعد أن لم يكن فيه ضوء ، ليس
يكون أيضاً إلَّا في زمان ، وإنَّ خفيَّ عن
الحس . »

فالحسن بن الهيثم يؤكد هنا أن
الحركة لا بد وأن تحدث في زمان ، أي
أن كل حركة فلا بد وأن يكون لها
سرعة ، هي ما نعرفها اليوم بمعدل تغيُّر
المسافة المقطوعة بالنسبة للزمن ، وأن
الضوء يسرى بحركة ، وبالتالي فإن للضوء
سرعة ، وإن كانت هذه السرعة من
العظم بحيث يحسبها المرء غير متناهية .
ويُعرف ابن سينا في رسالته الرابعة :
« في الحدود » ^(٣) كلاً من الزمان والآن
بقوله :

« الزَّمانُ هو مقدار الحركة من جهة
المتقدِّم والمتأخِّر . »

« الآن » ^(٤) هو طرف موهوم يشترك
فيه الماضي والمستقبل من الزمان ، وقد يقال
آن لزمان صغير المقدار عند الوهم متصل
بالآن الحقيقي من جنسه . »

(١) عاش في الفترة : ٣٥٤ - ٥٤٣ (٩٦٦/٦٥ - ١٠٣٩ م) ،

(٢) مخطوط مكتبة النجاشي باستانبول - رقم ٣٢١٣ .

(٣) «تسع رسائل في الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة ، ص ٩٢ .

(٤) Instant

أى حسب مسار الجسم المتحرك ، كذلك أشار العرب إلى الحركة العرضية والحركة التمرجية . ونسوق فيما يلى مقتطفات من أقوال الفلاسفة والعلماء العرب فى أنواع الحركة .

(أ) الحركة المكانية والحركة الوضعية :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى رسالته الأولى : « الطبيعيات من عيون الحكمة »^(٦) :

« الحركة التى من أين إلى أين تُسمى نُقْلة »^(٧) .

الحركة التى من وضع^(٨) إلى وضع تُسمى وضعية^(٩) .

ويقول ابن سينا أيضا فى كتابه « الإشارات والتنبيهات »^(١٠) :

ويؤكد بهمنيار بن المرزبان^(١) فى كتابه « التحصيل »^(٢) ضرورة وقوع الحركة فى زمان ، فيقول :

« وكلُّ سرعة^(٣) فى زمان ، لأنَّ كلَّ سرعة هى فى قَطْعِ مسافة ، أو ما يجرى مجرى المسافة ، وكل ذلك فى زمان .

فلو كانت حركة لا نهاية لها فى السرعة^(٤) ، لكان زمان لا نهاية له فى القصر^(٥) ، فكانت الحركة لا فى زمان .

وبالجملة فاعتبار السرعة إنما هى فى الأمور التى لها وجود فى زمان . »

أنواع الحركة :

وقف العرب على الصور المختلفة لحركة الأجسام ، فقسموها إلى حركات مكانية ووضعية ، وإلى حركات طبيعية وقسرية ، وإلى حركات مستقيمة ومستديرة

(١) توفى سنة ٨٤٥٨ (١٠٦٦م) .

(٢) مخطوط المكتبة الأحمدية بحاب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الاول ، الفصل الرابع ، الورقة ٢٥٣ .

(٣) Speed

(٤) Motion of Infinite Speed

(٥) Infinitesimal Time Interval ، أى فترة زمنية متناهية القصر .

(٦) « تسع رسائل فى الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٥ .

(٧) Displacement (٨) Position (٩) Positional

(١٠) النمط السادس - الفصل السادس من عشر .

« فكلُّ حركة في مسافة تنتهى إلى حدّما . تنتهى إلى «سكون فيه ، فتكون غير الحركة التى بها يستحفظ الزمان المتصل .

فالحركة الوضعيّة هى التى بها يُستحفظ الزمان المتصل ، وهى الدورية ^(١) .

ويعرض أبو البركات هبة الله بن ملّكا البغدادي ^(٢) في كتابه « الاعتبار في الحكمة » ^(٣) للحركتين المكانية والوضعية فيقول :

« وأعمُّ أعراض الجسم الطبيعي وأحسُّها به من حيث هو جسم هى الحركة ، وهذا موضع الكلام فيها .

والحركة تقال على وجوه . فمنها الحركة المكانية ، وهى التى بها ينتقل المتحرك من مكان إلى مكان .

ومنهما الحركة الوضعيّة ، وهى التى تتبدّل بها أوضاع المتحرك ، وتنتقل أجزاء في أجزاء مكانه . ولا يُخرجه عن جملة مكانه . كالدولاب والرحا » .

(ب) الحركة الطبيعية والحركة القسرية :

بالحركة الطبيعية عبّر العرب عن حركة الجسم إلى موضعه الطبيعي بعد أن يكون قد أُجبر على الخروج منه ، وذلك عند زوال القاسر عن الجسم . وبالحركة القسرية أو الحركة غير الطبيعية قصد العرب الحركة التى تنشأ عن تعريض الجسم لمحرك من خارجه . وفيها يمكن للمحرك أن يكون مُلّازما للجسم المتحرك أثناء تحركه القسرى ، أو يكون المحرك مُفارقا للجسم المتحرك بعد أن يكون قد بعث الحركة فيه .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في رسالته الأولى . « الطبيعيات من عيون الحكمة ^(٤) » :

« وكلُّ جسم متحرك فحركته إما من سبب من خارج ^(٥) ، وتُسمى حركة قسرية ^(٦) ، وإما من سبب في نفس الجسم ، إذ الجسم لا يتحرك

(١) Periodic, Cyclic (٢) توفى عام ٥٤٧هـ (١١٥١م) .

(٣) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٢٢٢ ، المجلد الثانى ، الفصل التاسع ، الورقة ٢٦ .

(٤) « تسع رسائل في الحكمة » لابن سينا ، طبعه القاهرة : صفحة ٤ .

(٥) External Influence (٦) Forced Motion

رَوَيْهِ ، لَاعِلَى مُقْتَضَى طِبَاعِ الْمُتَحَرِّكِ
وَرَوَيْتَهُ . »

ويضرب بهمنيار بن المرزبان - في
كتابه الثاني من كتب « التخصيل »^(٤) -

مثلاً ملموساً للحركة القسرية
فيقول :

« والحركة الطبيعية هي ما يصدر
عن الجسم إذا نُحِلَ وطبعه ، والقسرية
هي أن يُحرَّك الجسمُ إلى خلاف ما يقتضيه
طبعه ، كمن يُحرَّك حجراً إلى فوق . »

(ج) الحركة المستقيمة والمستديرة :

فرَّق العرب بين حركة الجسم على
استقامة وحركته على استدارة ، وفي هذا
المعنى يقول: الشيخ الرئيس ابن سينا في
رسالته الأولى : « الطبيعيات من عيُون
الحكمة »^(٥) :

« وكلُّ جسم فيه مبدأٌ^(٦) حركة :
إما مستقيمة^(٧) وإما مستديرة^(٨) .

لذا ، وذلك السبب إن كان محرِّكاً
على جهة واحدة على سبيل التسخير
فيُسمى طبيعياً ، وإن كان مُحرِّكاً حركات
بإرادة أو غير إرادة . أو مُحرِّكاً
حركة واحدة بإرادة فيُسمى نفساً » .

ويقول هبة الله بن ملكار البغدادي
في كتابه « المعتبر في الحكمة »^(١) :

« فإنَّ الحركة إما طبيعية^(٢) وإما
قسرية . والقسرية يتقدمها الطبيعية ،
لأنَّ المقسور إنما هو متمسور من طبعه
إلى طبع قاسره ، فإذا لم يكن حركةً
بالطبع لم يكن حركةً بالقسر .

والطبيعية إنما تكون عن مُباين بالطبع
إلى مناسب بالطبع ، أو إلى مناسب
أسبب من مناسب » .

ويقول أيضاً في موضع آخر^(٣) :
« والقسرُ فمن شَيْءٍ خارج عن المتحرِّك
حركة على مُقتضى طِبَاعِ المحرِّك أو

(١) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٢٢٢ ، المجلد الثاني ، الفصل الرابع عشر ، الورقتان ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) natural or free

(٣) نفس المصدر السابق ، الجزء الثاني ، الفصل السابع ، الورقة ١٣٥ .

(٤) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثاني ، المقالة الثانية ، الفصل السادس ، الورقة ١٧١ .

(٥) « تسع رسائل في الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة ، صفحة ٢٠ ، ١٩ .

(٦) Cause (٧) Rectilinear Motion (٨) Circular Motion

ريستحيل أن يكون في جسم واحد بسيط .
مبدأ الحركتين مستقيمة ومستديرة ،
أو يكون ماهو للذات مبدأ حركة
مستقيمة هو بعينه في حالة أخرى مبدأ حركة
مستديرة ، لا كما يكون في حالة أخرى
مبدأ سكون لأنَّ السكون غاية الحركة
المستقيمة .

إذ قد علمت أن الحركة المستقيمة
هربٌ وطلبٌ : هرب عن مكان (غير)
طبيعي . وطلب لمكان طبيعي ، وعلمت
أن الجهات محدودة ، وعلمت أن
الأمكنة الطبيعية للأجسام البسيطة
محدودة ، فإذا انتهت حركته بحصوله
في مكانه الطبيعي ، استحال أن يتحرك
عنه فيكون مكانا غير طبيعي مهروبا
عنه وغير ملائم ، فيسكن فيكون
سكونه غاية حركته .

وأما الحركة المستديرة فليست من
حيث هي حركة مستديرة غاية للحركة
المستقيمة . ولا نفس عدم لها . بل أمر
زائد يحتاج إلى مبدأ آخر .

وكل حركة مستقيمة فإما إلى
المركز ^(١) والوسط ، وإما عن المركز .
والمستديرة حول المركز ، «

ويقول بهمنيار بن المرزبان في
كتابه « التحصيل » ^(٢) :

فالحركة إذن تختلف نوعياتها
اختلاف ما يفومها ، وهو ما فيه ومأمنه وما
إليه . مثل أن تكون إحدى الحركتين من مبدأ
إلى منتهى على الاستقامة ، والأخرى منه
إليه على الاستدارة

قد علمت أن الخط المستقيم والمستدير
هما مخالفان بالنوع ، فيجب أن تكون
الحركة المستديرة مخالفة للحركة
المستقيمة بالنوع

ويقرر ابن المرزبان أن الحركة
المستديرة لا تكون - في رأيه - حركة
طبيعية حيث أنها ليست حركة تقتضيها
الطبيعة . فيقول في كتابه « التحصيل » ^(٣) :
ولو كانت الحركة المستديرة
طبيعية . لكان يصح على ذلك الجسم
أن يسكن ، ومتى فرض سكون ذلك

(١) Center

(٢) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثاني ، المقالة الثانية ، الفصل الرابع عشر ، الورقة ١٩٠ .

(٣) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الثاني ،
الفصل الثالث ، الورقة ٢٧٠ .

الجسم ، وجَبَ رَفْعُ الزمانِ والحركة والحدوثِ ، لكنَّ رَفْعَ الزمانِ يتم بإثبات قبل وبعد وهما من الزمان ، فيكون رَفْعُهُ بإثباته ، فبيِّن أنَّ تلك الحركة لا يصح عليها أنَّ تؤدى إلى السكون ، وكل حركة لا تؤدى إلى السكون فليست بطبيعية : فتلك الحركة ليست بطبيعية .

وأيضا فإن الجسم المستدير يتحرك من وضع إلى ذلك الوضع بعينه . ومن نقطة إليها بعينها ، ولا يصح أن يكون مقتضى الطبيعة طلب شئٍ والهرب منه بعينه ، بل هذا للاختيار فقط . لأن الطبيعة أمر واحد ومقتضاها أيضا واحد ، فتلك الحركة إذن ليست بطبيعية «

(د) الحركة التموجية :

يقول صاحب "التحصيل" فى معرض حديث عن السمع ^(١) :

"والصوت أمر يحدث من تموج ^(٢) .

الجسم السيل ^(٣) الرطب كالهواء والماء منضغطاً ^(٤) : بين جسمين متصاكين ^(٥) متقاومين ^(٦) .

وأما الصمدى ^(٧) فإنه يحدث من تموج يوجبه هذا التموج ، فإن هذا التموج إذا قاومه شئ من الأشياء كجبل أو جدار حتى دفعه ، لزم أن ينضغط أيضا بين هذا التموج المتوجه إلى قرع الحائط أو الجبل وبين ما يقرعه هؤلاء آخريرده ذلك ويصرفه إلى خلف بانضغاطه ويكون شكله شكل الأول وعلى هيئته ، ويشبه أن يكون الصمدى هو تموج الهواء الأول المنعطف ^(٨) الثانى ، لا الهواء المتموج الثانى ، ولذلك يكون على صفته وهيئته «

فى هذا النص يصف بهمنيار بن المرزبان الحركة التموجية الصوتية وانعكاس هذه التموجات عند اصطدامها بعائق كجدار مثلاً ، لترتد عنه مكونة التموجات الصوتية المنعكسة ، وهى التى

(١) نفس المصدر السابق : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الرابع ، الفصل الخامس ، الورقة ٣٠٧ .

(٢) Waviness (٣) Flowing

(٤) Pressed, Compressed

(٥) Colliding

(٨) reflected

(٦) Echo (٧) Opposed

نعرفها بالصدى ، وبذلك يكون العرب قد وقفوا على الحركة التموجية . ويدل على ذلك وصف صاحب «التحصيل» لهذا النوع من الحركات حيث يقول فى نفس الورقة :

«... والتموج يحدث لتداول السبب الفاعل له من الماء والهواء بصدى^(١) بصدى صدم مع سكون قبل سكون . . . »

وفى هذا القول تقرير للصفة الدورية للحركة التموجية .

أقسام الحركة :

استخدم الحسن بن الهيثم تعبير « القسْط »^(٢) فى الفصل الثالث من المقالة الرابعة فى كتابه « المناظر »^(٣) وذلك فى معرض تحليله لسرعة حركة الجسم المصادم إلى « قسْطين » متعامدين فى المستوى الذى يضمُّ خط الحركة والخط العمودى على سطح المصادمة (الملاقاة) .

ففى تحليله لسرعة الجسم المصادم ، عادل ابن الهيثم بين سرعة الجسم وبين

قسطين لها : قسْط (أى مركبة) موازى لسطح الملاقاة ، و قسْط عمودى على سطح الملاقاة ، ويتعبيرنا المعاصر فإن سرعة الجسم المصادم هى مُحصلة مُركبتين متعامدتين على بعضهما البعض ، إحداهما فى مستوى الملاقاة ، والأخرى عمودية عليها ، ومن الواضح أن المُحصلة ومُركبتيها تقع جميعها فى مستوى متعامد على سطح المصادمة .

ويرى ابن الهيثم أن القسْط الموازى لسطح الملاقاة يبقى على حاله دون أن يطرأ عليه أى تغيير إثر المصادمة ، أمّا القسْط العمودى على سطح الملاقاة فإنه يتأثر بحسب درجة ممانعة سطح الملاقاة عن الانفعال بالتصادم . وكلمة كانت هذه الممانعة أعظم كلما كان التغير فى القسْط العودى أقل . وكانت سافة ارتداد الجسم المصادم أطول .

قوة الحركة = اعتماد المتحرك :

وقف الحسن بن الهيثم على معنى كمى فى الجسم المتحرك يتوقف على سرعته

(١) Collision

(٢) أى المركبة : Component

(٣) مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول - رقم ٣٢١٥ ، الورقتان ٧٤ ، ٧٦ .

(مُعْبَرًا عنها بمسافة السقوط) . وعلى ثقله (ويتناسب مع كتلته) . وهو المعنى الذى نطلق عليه اليوم تسمية (كمية الحركة) وتساوى حاصل ضرب كتلة الجسم في سرعته . وبالتالي فهي كمية موجهة ، وقد عبّر عنها ابن الهيثم بتعبيرين هما « قوة الحركة » و « اعتماد المتحرك » . يقول الحسن بن الهيثم في الفصل الثالث من المقالة الرابعة في كتابه « المناظر »^(١) :

« والمتحرك إذا لقي في حركته مانعاً يُمانعه ، وكانت القوة المحركة له باقية فيه عند لقائه المانع ، فإنه يرجع من (حيث) كان في الجهة التي منها تحرك . وتكون قوة حركته^(٢) في الرجوع بحسب قوة الحركة التي كان تحرك بها في الأول ، وبحسب قوة الممانعة^(٣) .

ويمضى ابن الهيثم في الورقة التالية يقول : « ... لأن الحركة المكتسبة إنما تكون بحسب مقدار المسافة (و) بحسب مقدار الثقل . »

في هذا النص الأخير تحديد لقصد ابن الهيثم لمعنى « قوة الحركة » واعتمادها على مقدار مسافة سقوط الجسم ، وهي متناسبة مع سرعة السقوط ، كذا على ثقل الجسم . ويتناسب مع كتلته ، وهو سبق واضح لابن الهيثم .

٢ - ألقاظ ومدافعات الجسم

أفرد العرب جانباً كبيراً من اهتمامهم لخاصية مدافعة الجسم عن حالة السكون التي يكون عليها فلا يخرج عنها إلا بقدر قاسر ، أو حالة الحركة المستقيمة المنتظمة التي يحافظ عليها ما لم تجبره قوى خارجية على الحيثية عنها ، وتُشكّل هذه الخاصية ما تعارفنا على تسميته بالقانون الأول للحركة . وقد استعمل العرب في

(١) نفس المصدر السابق ، الورقة ٧٠ .

(٢) يعبر عنها علماء الغرب بكلمة : Momentum ، وهي كمية موجهة وتساوى حاصل ضرب كتلة الجسم في المسافة المقطوعة .

(٣) Opposition

هذا الجاذب لمن دراساتهم في العلم الطبيعي
عدّة ألفاظ خاصة ، منها « المبدأ »
و « الميل » و « الاعتماد » و « قوة الميل » .

هذا ونخص بالذكر لفظ « الميل »
الذى ورد في معان متباينة ، تعرّضنا لها
هنا بما هي أهل له من الإيضاح والتفصيل .
ولقد كان لزاماً علينا أن نسوق نصوصاً
عديدة كى ندلل على القصد من هذا اللفظ
في كل موضع . ونبين التعبير المعاصر
الذى يرادفه ، ولقد يكون من غير المتيسر
تقويم الكتابات العربية في العلم الطبيعي
دون الإلمام الواسع بالألفاظ التى استعملها
العرب في كتاباتهم . والوقوف على المعانى
الدقيقة التى أنيط بها تأديتها ، ومن هنا
كان إهتمامنا وسعينا المتواصل إلى أكبر
قدر من النصوص العربية . ودراستها
دراسة علمية متعمقة .

لفظ المبدأ :

بكلمة « مبدأ » قصد العرب عموماً
السبب والعلة ، كذلك فقد أشاروا

بها إلى موضع بدء الحركة . كما أنه قد
ورد في كتاباتهم تعبير « مبدأ ميل » ،
وفيما يلى توضيح معانى لفظ « مبدأ » .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في
رسائله الرابعة « فى الحدود »^(١) :

« الطبيعة مبدأ أول بالذات بتحرّكها
ما هو فيه بالذات وسكونه بالذات » .
ويُعرف الإمام محمد أبو حامد الغزالي^(٢)
لفظ « المبدأ » ، فيقول في كتابه
« معيار العلم »^(٣) :

« والمبدأ اسم لما يكون قد استتم
وجوده في نفسه . إما عن ذاته ، وإما
عن غيره ، ثم يحصل منه وجود شئ
آخر يتقوّم به ، ويسمى هذا علة
بالإضافة إلى ما هو مبدأ له . »

ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا في
كتابه « الإشارات والتنبيهات »^(٤) :

« إنك لتعلم أنّ الجسم إذا خُلّيَ
وطباعه ولم يعرض له من خارج تأثير

(١) « تسع رسائل فى الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة ، صفحة ٨٦ .

(٢) « عاش فى الفترة : ٤٥١ - ٥٠٥ هـ (١٠٥٩ - ١١٢١ م) » .

(٣) كتاب اقسام الوجود واحكامه ، الفن الثانى ، طبعة دار المعارف بالقاهرة : صفحة ٣٣٠ .

(٤) النمط الثانى - الفصل السادس .

غريب لم يكن له بدٌ من موضع مُعَيَّن
ومشكل معين . فإذن . في طباعه مبدأ
استيعاب ذلك » .

بهذا النص يقصد ابن سينا أن الجسم
يبقى - بطبيعته - ساكناً في موضع معين .
مُتخذاً شكلاً مُحددًا ، ومُحافظاً على هذه
الحال بسبب طبيعته ، ما لم يُطرأ عليه
مُؤثر من خارج الجسم يتمسبب في
خروجه عن هذا الموضع أو عن هذا الشكل
أو عن كليهما . أي أن الجسم يُدافع
بطبيعته عن استمرار جالته سكونه الطبيعي
وهذا مبدأ وخاصية في الجسم .

لفظ الميل :

يرد لفظ «الميل» كثيراً في نصوص
الفلسفة الطبيعية ، وقد استعمله العرب
في معانٍ أربع هي :

١- الميل بمعناه الخرفي أي بمعنى
الرضبة والاتجاه .

٢- الميل بمعنى القوة ، سواء كانت
هذه القوة طبيعية تعمل على إعادة
الجسم إلى موضعه الطبيعي ، وهي القوة

التي نعرفها اليوم بقوة الشاغل تحت
تأثير الجاذبية الأرضية . فيقال «ميل
طبيعي» ، أو كانت هذه القوة قسرية
تعرض للجسم من خارج فتُطلق عليها
تسمية «ميل قسري» .

٣- الميل بمعنى مدافعة الجسم عن
حاله التي هو عليها : سواء كانت حالة
مكون أو حالة حركة منتظمة وعلى
استقامة ، وخاصية المدافعة هذه هي
ما نعبر عنها في كتاباتنا المعاصرة «بالقصور
الذاتي» أو «العطالة» : ومدافعة الجسم
هذه - والتي كتب عنها بوضوح الشيخ
الرئيس ابن سينا - هي مانعها اليوم
بالقانون الأول للحركة .

٤- الميل في معنى كمية الحركة ،
وكمية الحركة في مفهومنا الحالي هي
حاصل ضرب الكتلة في السرعة .
وبالتالي فهي كمية مُوجَّهة قابلة للتحليل
والتركيب .

ونقدم فيما يلي أمثلة من كتابات
العرب التي يرد فيها لفظ «الميل» .

١ — « الميل » بمعناه الحرفي :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الإشارات والتنبيهات »^(١) :
« فإذا كان الجسم الطبيعي في حيزه الطبيعي لم يكن له - وهو فيه - ميل ، لأنه - لامحالة - إنما يميل^(٢) بطبعه إليه لاعنه » .

ويشرح الإمام فخر الدين الرازي^(٣) هذه العبارة بقوله^(٤) :

« وأما قوله وإذا كان الجسم في حيزه الطبيعي ، لم يكن له - وهو فيه - ميل ، لأنه إنما يميل بطبعه إليه لاعنه ، فاعلم أن هذه الدلالة تدل على أن الجسم حال كونه في حيزه الطبيعي ، لا يكون له ميل^(٥) عنه . فإذا قلنا ولا يكون له أيضا ميل إليه لاستحالة طلب الحاصل فحينئذ تتم الدلالة على أنه لا ميل فيه في تلك الحالة » .

٢ — « الميل » بمعنى القوة :

(أ) الميل الطبيعي :

بالميل الطبيعي عبر العرب عن القوة

التي تعيد الجسم الى مكانه الطبيعي اذا ما كان متواجدا خارجه ، وتعرف بالقوة الطبيعية لانها تعمل في الاتجاه الطبيعي نحو مركز الارض حتى يستعيد الجسم موضعه الطبيعي ، فالميل الطبيعي هو السعى إلى الموضع الطبيعي تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الإشارات والتنبيهات »^(٦) :

« الجسم إذا وجد على حال غير واجبة من طباعه ، فحصوله عليها من الأمور الإمكانية وله الميل جاعلة ، ويقبل التبدل فيها من طباعه لإلما نفع ، وإذا كانت هذه الحال في الموضع والموضع أمكن الانتقال عنهما بحسب اعتبار الطبع ، فكان فيه ميل » .
ويقول أيضا في كتابه « الشفاء »^(٧) :
« إن الأجسام الموجودة ذوات الميل كالثقيلة والخفيفة :

أما الثقيلة فمما يميل إلى أسفل ، وأما الخفيفة فمما يميل إلى فوق ، فإنها كلما

(١) النمط الثاني - الفصل السابع .

(٢) incline, tend

(٣) عاش في الفترة : ٥٤٤ - ٥٦٠ (١١٥٠ - ١٢٠٩ م) .

(٤) الكتاب الموسوم بشرح الإشارات لتفسير الدين الطوسي وللإمام فخر الدين الرازي : النمط الثاني - الفصل السابع .

(٥) Inclination, Tendency.

(٦) النمط الثاني - الفصل الحادي عشر . (٧) المقالة الرابعة - الفصل الرابع عشر .

ازدادت ميلاً^(١) كان قبولها للتحريرك
القسري ابطأ ، فان نقل الحجر العظيم
الشديد الثقل أو جرّه ليس كنقل الحجر
الصغير القليل الثقل أو جرّه . »

فلفظ « الميل » هنا يعبر عن قوة الجاذبية
الأرضية الداعية الساعية إلى استعادة الموضع
والوضع الطبيعيين للجسم ، ومن الأمور المعروفة
ان الجسم كلما زاد وزنه - أى زادت
قوة ثقاقله ، أو بعبارة أخرى زاد ميله
الطبيعي - كلما زادت قوة احتكاكه
بالمسطح الذي عليه يرتكز ، وبالتالي تزداد
مقاومته للتحريرك القسري ، أى أن القوة
اللازمة للتغلب على قوة الاحتكاك تزيد
بزيادة وزن الجسم ، وهو المعنى الوارد
في النص الثاني من كلام ابن سينا ،
وقد ضرب له مثلاً تحريك الحجر شديد
الثقل وقليله .

ويؤكد ابن سينا هذا المعنى في كتابه
« الاشارات والتنبيهات »^(٢) بقوله :
« وكُلَّمَا كان الميل الطبيعي أقوى ،

كان أَمْتَع لجسسه عن قبول الميل
القسري ، وكانت الحركة بالميل القسري
أَفْتَر وأَبْطَأ . »

ويقول بهمنيار بن المرزبان في
كتابه « التحصيل »^(٣) :

« ويجب أن يكون في الجسم في حال
ما يتحرك معنى زايد على الطبيعة ، وذلك
لأنَّ الجسم في مكانه الطبيعي ذو طبيعة ،
ولكن لا يكون ذا حركة ، وهذا المعنى
الزايد يسمى ميلاً ، وهو الذي يشاهد
في حال ما يتحرك الجسم إلى مكانه
الطبيعي ن الدَّفْع القوي لمقاومته . »
فمن الواضح من كلام ابن المرزبان
أن المقصود بالميل هنا هو القوة
الطبيعية التي تسعى لإعادة الجسم إلى
مكانه الطبيعي .

ويقول بهمنيار بن المرزبان في وضع
آخر من كتابه^(٤) :

« كلُّ حركة فهي تصدر عن ميل
كما عرفت ، وهذا الميل في نفسه معنى

(١) يقصد بالميل هنا قوة الجاذبية الأرضية : Gravitational Force

(٢) النمط الثاني - الفصل السابع .

(٣) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الأول ،
الفصل الثاني ، الورقة ٢٤٧ .

(٤) نفس المصدر السابق ، الفصل السابع ، الورقتان ٢٦٠ ، ٢٦١ ،

والشيء كلما كان العائق عنه أقوى
كان وجوده أضعف. »

(ب) الميل القسرى :

استخدم العرب تعبير «الميل القسرى»
للدلالة على القوة التي تُسلط على الجسم
من خارجه . والتي قد تساعد أو تعاكس
«ميله الطبيعي» . والميل القسرى عندما
يتغلب على القوى الأخرى يدفع الجسم
إلى التحرك حركة قسرية .

يقول ابن ملكا البغدادي في كتابه
«المعتبر في الحكمة»^(٢) :

« . . . كل حركة بالحقيقة فهي
تصدر عن ميل يحققه اندفاع الشيء
القائم أمام المتحرك أو احتياجه إلى قوة
تُمانعه بها .

وهذا الميل في نفسه معنى من الأمور
به تُوصَّل إلى حيلود الحركات ، وذلك
بإبعاد من شيء يلزمه مدافعة لما في وجه
الحركة ، وتقريب من شيء »

من المعاني ، به تُوصَّل إلى حيلود
الحركات ، ومجال أن يكون الواصل
إلى حد ما واصلًا بلا علة موجودة مُوصلة ،
مجال أيضًا أن تكون هذه
العلة غير التي أزالنا عن المستقر
الأول ، وهذه العلة يكون لها قياس
إلى ما يُزيله يُسمى ميلًا ، ومن حيث
هو موصل لا يُسمى ميلًا .

الميل ما لم يُفسَّر ولم يُفهم أو
لم يُفسد ، فإن الحركة التي تعجب
عنه تكون موجودة .

ويشير الإمام فخر الدين الرازي في
شرحه لكتاب ابن سينا «الإشارات
والتنبيهات»^(١) إلى ازدياد الميل
الطبيعي - أي القوة الطبيعية - مع
عظم الجسم فيقول :

« الأجسام كلما كانت أعظم ،
كان ميلها إلى أحيازها الطبيعية أقوى ،
وكلما كان كذلك ، كان قبولها للميل
القسري أضعف ، لهما بيننا أن الميل
الطبيعي عائق عن القسري .

(١) النمط الثاني - الفصل العشرون .

(٢) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثاني ، الفصل الرابع والعشرون ،
الورقة ٨٩ .

ويعرض ابن مَلَكًا لاجتماع المِيلين الطبيعي والقسري مُمَثِّلًا بالحجر المقذوف إلى فوق ، حيث يكون الحجر تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية المتجهة إلى أسفل ويشار إليها هنا بالميل الطبيعي ، كما يكون الحجر أيضا تحت تأثير قوة القذف القاسرة إلى فوق وهي القوة التي أشير إليها بالميل القسري . وفي هذا المعنى يقول صاحب «المعتبر في الحكمة»^(١) :

«فكذلك الحجر المقذوف ، فيه مِيلٌ مُقاوِمٌ»^(٢) للميل القاذف ، ألا لأنه مقهورٌ بقوة القاذف ، ولأن القوة القاسرة عرضيةٌ فيه ، فهي تضعف لمقاومة هذه القوة والميل الطبيعي وللمقاومة المخروق^(٣) .

ولذلك كلما كان المخروقُ أَكثَفَ^(٤) وأعسرَ خَرَقًا ، كان بُطْلَانُ ذلك الميل القسري أسرع ، كما يكون ذلك في الماء بالقياس إلى الهواء . . .

فيكون الميلُ القاسرُ في أوله على غاية القهر للميل الطبيعي . ولا يزال يُضعف ويُبطئ الحركة ضعفاً بعد ضعف . وبطء بعد بطء . حتى يعجز عن مقاومة الميل الطبيعي ، فيغلب الميل الطبيعي ، فيحرك إلى جهته ، ويقوى عاياه مستمرا حتى يُبطله ، فيسرع بذلك حركته لبطلان المُقاوم .

لاشك أن هذا النص واضح كل الوضوح في الدلالة على استعمال كلمة «الميل» في معنى القوة سواء كانت هذه القوة ناشئة عن جذب الأرض للجسم فتسمى «ميلا طبيعيا» . أو كانت هذه القوة قوة قاهرة مُسلطة على الجسم من الخارج فتسمى «ميلا قسريا» ، وقد أوضح صاحب المعتبر كيفية تغلب القوة القاهرة - في حالة الحجر المقذوف إلى فوق - على القوة الطبيعية (قوة الجاذبية الأرضية) في بادئ الأمر . ثم تناقص تأثير القوة القسرية لمقاومة القوة الطبيعية ولمقاومة

(١) نفس المصدر السابق : الورقتان ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) Resisting Force

(٣) يقصد الوسط المنفذ فيه : penetrated medium

(٤) more dense

الوسط المخروق لها . وبين كيفية تغلب
الميل الطبيعي في نهاية الأمر ليستعيد
الحجر موضعه الطبيعي على سطح الأرض .

٣ - « الميل » و « الاعتماد » في معنى
المدافة :

استعمل العرب لفظي « الميل »
و « الاعتماد » كذا « مبدأ ميل » للتعبير
عن خاصية طبيعية في كل الأجسام ، هي
خاصية رغبة الجسم وتمسكه ببقائه على
حاله التي هو عليها من سكون أو حالة
ركة منتظمة وعلى استقامة ، وهذا هو
ما اصطُح على تسميته اليوم بالقانون
الأول للحركة ، ولا جدال في أنَّ الشيخ
الرئيس ابن سينا له فضل سبق اليه .

فللجسم مقاومة ذاتية يُدافع بها عن
استمراره في حال السكون في موضعه
الطبيعي ، أو عن استمراره في حال الحركة
المستقيمة المنتظمة السرعة ، وفيما يلي
بعض من كتابات العرب في خاصية
المُدافة هذه .

(أ) المدافعة عن حال السكون :

يقول ابن سينا في طبيعيات كتابه
« الشفاء » ^(١) :

« إنَّ كلَّ جسم ليس فيه مبدأ ميل
ما . فإنَّ نقله عما هو عليه من أين
أو وضع يقع لا في زمان ، وذلك محال ،
بل يجب أن يكون كلُّ جسم يقبل
تحريكاً وإمالةً طارئةً ، ففيه مبدأ ميل
طبيعي في نفس ما يقبله كان أيناً أو
وضعاً . »

ويمضي ابن سينا في نفس المقالة شارحاً
خاصية المُدافة هذه فيقول :

« وليست المُعاوقة ^(٢) للجسم بما
هو جسم ، بل بمعنى فيه يطلب البقاء
على حاله من المكان أو الوضع ، وهذا هو
المبدأ الذي نحن في بيانه . »

(ب) المدافعة عن حال الحركة :

يُعرف الشيخ الرئيس ابن سينا في
رسالته الرابعة : « في الحدود » ^(٣)

(١) المقالة الرابعة .

(٢) Hindrance

(٣) « تسع رسائل في الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٩٥ .

الميل والاعتماد في معنى المدافعة عن حال الحركة فيقول :

« الاعتماد والميل هو كيفية يكون بها الجسم مدافعا لما يُمانعه عن الحركة إلى جهة ما . »

ويكاد الامام الغزالي أن يكون قد أورد هذا التعريف بلفظه في كتابه « معيار العلم » ^(١) .

ويقول ابن سينا في كتابه « الإشارات والتنبيهات » ^(٢) :

« الجسم له في حال تحركه ميلٌ يتحرك به ، ويحس به الممانع . ولن يتمكن من المنع إلا فيما يضعف ذلك فيه ، وقد يكون من طباعه ، وقد يحدث فيه من تأثير غيره ، فيبطل المنبعث من طباعه إلى أن يزول فيعود انبعاثه . »

ويُلقي الشيخ الرئيس مزيداً من الضوء على طبيعة مدافعة الجسم عن استمراره على حاله ، فيقول في معرض حديثه عن الاراء المطروحة في سبب حركة الجسم

المقدوف (المتحرك) بعد أن يفارق القاذف (أى المسبب للحركة) بعد استعراضه لجملة الآراء ^(٣) :

« ولكننا إذا حققنا القول ، وجدنا أصح المذاهب مذهب من يرى أن المتحرك يستفيد ميلاً من المتحرك . »

والميل ^(٤) هو ما يحس بالجس إذا ما حوّل أن يسكن الطبيعي بالقسر ، أو القسرى بالقسر . »

ولقد استعمل العرب لفظ « الاعتماد » مرادفاً للفظ « الميل » ، من ذلك قول نصير الدين الطوسي في معرض شرحه للفصل الأول من النمط الأول في طبيعيات كتاب « الإشارات والتنبيهات » لابن سينا : « والاعتماد عندهم هو ما يسميه الحكماء ميلاً . »

وهذا يتضح أيضاً من تعريف ابن سينا والإمام الغزالي الذي أشرنا إليه قبل بضعة سطور .

(١) « كتاب الحدود » : الفن الثاني ، القسم الثالث ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ، الصفحات ٣٩٦ حتى ٣٠٤

(بيان الألفاظ المستعملة في الطبيعيات) .

(٢) النمط الثاني - الفصل السابع .

(٣) طبيعيات كتاب « الشفاء » : المقالة الرابعة - الفصل الرابع عشر .

(٤) يعبر عنها علماء الغرب بكلمة (Inertia)

من: هذه العصوص يبين لنا وقوف العرب على خاصية أو صفة ذاتية في الجسم بها يُدافع عن استمراره في حال السكون أو حال الحركة ، وقد أطلقوا عليها تسمية «الميل» أو «الاعتماد» ، وهذه الخاصية تُطلق عليها اليوم تسمية «القصور الذاتي»^(١) أو «العطالة» ، وهي السمة الواردة في القانون الأول للحركة الذي يقول بأن الجسم يبقى في حالة سكون أو في حالة حركة منتظمة في خط مستقيم ما لم يُجبره قوًى خارجة عنه على تغيير هذه الحالة . وهذا القانون هو حصيلة الخبرة والملاحظة لسلوك الأجسام الساكنة والمتحركة .

٤ - «الميل» و«قوة الميل» بمعنى كمية الحركة استعمال الفيلسوف العربي ابن ملكا البغدادي لفظ «الميل» و«قوة الميل» في معنى كمية الحركة ، من ذلك قوله في كتابه «المعتبر في الحكمة»^(٢) :

« فالميل الطبيعي مبدأ له غير مفارق

ولا يزال يُوجبه حتى يبلغ به الحيز الطبيعي . وكلما حركت القوة في المسافة الغريبة عن الطبع . أحدثت ميلاً بعد ميل ، فتتزايد بذلك قوة الميل^(٣) مهما استمرت الحركة . »

يبين من هذا النص أن ابن ملكا يقول إن الأجسام التي تتحرك حركة طبيعية ، كتلك التي تسقط سقوطاً حراً تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية (أي تحت تأثير الميل الطبيعي) ، فإن سرعتها تزيد بزيادة مسافة السقوط ، وبالتالي فإن كمية حركتها (حاصل ضرب الكتلة في السرعة) تزيد كلما أمعن الجسم في السقوط ، وقد عبر صاحب «المعتبر» عن كمية الحركة في هذا النص بالميل بعد الميل ، كذا بقوة الحركة

ويتزايد ابن ملكا الأمر وضوحاً فيمضي قائلاً :

« فإن قيل إن اشتداد الميل الطبيعي في آخره ليس لانسلاخ

(١) Inertia

(٢) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثاني ، الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان ٩٥ ، ٩٦ .

(٣) يقصد بها هنا « كمية الحركة » : Momentum

القاسر . بل . لأمر يخصه في نفسه .
ويُستدل على ذلك بالحجر المرمى من
من عال من غير أن يكون عابداً
عن صعود بحركة قسرية ، ولا فيه
ميلٌ قسريٌّ ، . فيأذك ترى . أن
مبدأ الغاية كلاً كان أبعد كان
آخر حركته أسرع ، وقوة ميله (١)
أشد ، وبذلك يشج ويسحق ، ولا يكون
ذلك له إذا ألقى عن مسافة أقصر ،
بل يبين التفاوت في ذلك بقدر طول
المسافة التي يسلكها

يسوق ابن ملكاً هنا مثلاً الحجر
المقذوف من علو ، فيقول إن « قوة
الميل » (أي . كمية الحركة)
للحجر تزيد كلما كان موضع
رمي الحجر أبعد عن سطح الأرض
وكلما كانت قوة قذف الحجر أكبر ،
وبازدياد . « قوة الميل » للحجر المرمى
يشهد تأثيره حيث يشج ويسحق ،
ومفهوم ابن ملكاً في هذا الخصوص
بليغ تماماً . حيث ان سرعة الجسم
الساقط سقوطاً جراً تزيد بزيادة مسافة

السقوط ، وتزيد معها كمية . كته
(أي . قوة ميله حسب تعبير
ابن ملكاً) ، فيشهد معها مبلغ تأثيره
إن هو اصطدم بجسم .

وفي استعمال كلمة « الميل » . بمعنى
كمية الحركة يقول نضير الدين
الطوسي في شرحه لكتاب ابن
سينا « الإشارات والتنبيهات » (٢) :

« أقول : الميل الطبيعي يزداد
بازدياد الجسم إلى مكانه الطبيعي قريباً .

أي أن « كمية الحركة » الناشئة عن
حركة الجسم الطبيعية تحت تأثير
قوة الجاذبية الأرضية (وقد عبر عنها
الطوسي بالميل الطبيعي في هذا
النص) تزداد كلما قرب الجسم
من مكانه الطبيعي على سطح الأرض
إذ أنه كلما قرب الجسم منه كلما
زادت مسافة سقوطه ، وهذه مصحوبة
كما بينا - بزيادة في سرعته ،
وبالتالي في كمية حركته أو « ميله
الطبيعي » حسب تعبير الطوسي ،
وهذا صحيح كل الصحة .

(١) يقصد بها هنا « كمية الحركة » .

(٢) النمط الثاني - الفصل التاسع عشر .

٣ — ألفاظ معاومات الحركة

وقف العرب على مقاومة الوسط المنفوذ فيه لحركة الجسم . وقد فطنوا إلى أن هذه المقاومة تتأثر بنوع الوسط وشكل الجسم المتحرك . وأن مقاومة الوسط المخروط يمكن لها أن تعاقب الحركة إلى حد إبطائها . من ذلك قول الشيخ الرئيس ابن سينا في طبيعيات كتابه «الشفاء» (١) :

«.... فَإِنَّكَ سَتَعْلَمُ أَنَّ مُقَاوِمَةً الْمَنفُوذِ فِيهِ هُوَ الْمُبْطِلُ لِلْقُوَّةِ الْمُحَرِّكَةِ» . ويقول هبة الله بن مَلِكَا البغدادي في كتابه «المعتبر في الحكمة» (٢) :

«... والقوة بنفسها لا تبطل ولا تغنى ، وإنما يُبْطِلُهَا فِي الْمَلَاءِ مُضَادَّةُ مَا يَلَاقِيهَا فِي مَسَافَتِهَا مِنْ مُعَاوِقٍ بَعْدَ مُعَاوِقٍ فَيُضْعَفُهَا حَتَّى تَغْنَى . وليس ذلك في الخلاء ..»

ويصف الإمام الرازي في كتابه «المباحث المشرقية» اختلاف مقاومة

الوسط من حيث الرقة والغلظة وتأثير ذلك على حركة الجسم . فيقول (٤) :

« إِنَّ الْجِسْمَ إِذَا تَحَرَّكَ فِي مَسَافَةٍ فُكِّلَ مَا كَانَ الْجِسْمُ الَّذِي فِي الْمَسَافَةِ أَرْقَ كَانَتْ الْحَرَكَةُ فِيهِ أَسْرَعَ ، وَكُلَّمَا كَانَ أَغْلَظَ كَانَتْ الْحَرَكَةُ فِيهِ أَبْطَأَ ، لِأَنَّ الرَّقِيقَ شَدِيدُ الْانْفِعَالِ (٥) عَنِ الدَّافِعِ الْخَارِقِ (٦) ، وَالْأَغْلَظُ شَدِيدُ الْمَقَاوِمَةِ . »

وقد عرف العرب أيضا أن المقاومة التي يتعرض لها الجسم المتحرك - فضلا عن تأثرها بنوعية الوسط المنفوذ فيه - تختلف كذلك باختلاف الشكل الهندسي للجسم النافذ في الوسط ، من ذلك قول ابن مَلِكَا في كتابه «المعتبر في الحكمة» (٧) :

« وَأَيْضًا لَوْ تَحَرَّكَتِ الْأَجْسَامُ فِي الْخَلَاءِ لَتَسَاوَتْ حَرَكَةُ الثَّقِيلِ وَالْخَفِيفِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ ، وَالْمَخْرُوطِ الْمُتَحَرِّكِ عَلَى رَأْسِهِ الْحَادِّ ، وَالْمَخْرُوطِ الْمُتَحَرِّكِ

(١) المقالة الرابعة - الفصل الرابع عشر . Resistance (٢)

(٣) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثاني ، الفصل الخامس عشر ، الورقة ٦٠ .

(٤) الكتاب الثاني - المن الأول - الفصل التاسع عشر ، طبعة الهند : الصفحتان ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٥) Penetrating (٦) Deformation

(٧) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثاني ، الفصل الرابع عشر ، الورقة ٤٩ .

على قاعدته الواسعة ، في السرعة والبطء ، لأنها إنما تختلف في الملاءمة لهذه الأشياء بسهولة خرقها لما تخرقه من المقاوم المخروق كالماء والهواء وغيره .

فيان المخروط المتحرك على رأسه يخرق أسهل من المتحرك على قاعدته ... »

من هذه النصوص يتضح لنا أن العرب قد استعملوا ألفاظ «المقاومة» و«المقاومة» في معنى (ممانعة الوسط) - الذى تتحرك خلاله الاجسام - لنفوذ أو اختراق هذه الاجسام له . وأن هذه الممانعة تختلف باختلاف طبيعة الوسط . كثافة وغلظة ورقة وتخلخل ، وأنها تقل كذلك كلما اتخذ الجسم المتحرك شكلا انسيابيا كالمخروط المتحرك على رأسه على حد تعبير صاحب «المعتبر» .

خلاصة

في هذا البحث تعرضنا بالدراسة لمفهوم العرب لحركة الأجسام وللألفاظ التى استعملها فلاسفة العرب وعلمائهم فيه ، حيث أوردنا نصوصا عديدة

لبيان الأوجه التى استعملت فيها هذه الألفاظ ومفاهيم العرب لها .

ويخلص البحث إلى أن العرب قد عنوا باختيار ألفاظهم العلمية ، فمن هذه الألفاظ ما يزال صالحا تماما للكتابة العلمية المعاصرة كلفظ « المدافعة » في معنى « العطالة » أو « القصور الذاتى » ، كذا ألفاظ المعاوقة والممانعة والمقاومة في مجال معوقات الحركة ، ومن هذه الألفاظ أيضا ما استعمله العرب للدلالة على معان عدة مثل لفظ « الميل » الذى استخدمه العرب في معان أربعة متباينة ، ومن ثم فإنّه لاغنى للباحث في تراثنا في العلم الطبيعى من أن يقف تماما على معانى الألفاظ التى وردت في كتابات العرب ، كما أنه يجدر بنا كذلك أن نتمسك ببعض الألفاظ التى استعملها العرب الأوائل والتى تقدم تعبيرات أكثر دقة وأشدّ طلاوة من كلمات مرادفة لها في كتاباتنا العلمية المعاصرة .

جلال شوقى

مصادر البحث

(أ) المخطوطات :

١- كتاب « المناظر » للحسين بن الهيثم :
المقالتان الرابعة والخامسة .

مخطوط . مكتبة الفاتح باستانبول
رقم ٣٢١٥ . ٣٢٢ ورقة .

٢- كتاب « تحصيل بهمنيار »
لبهمنيار بن المرزيان .

مخطوط . المكتبة الاحمدية بحلب
رقم ١١٢٢ ، ٣٤٠ ورقة .

٣- كتاب « المعتبر في الحكمة »
لأبي البركات هبة الله بن ملكا
البغدادى .

مخطوط . مكتبة أحمد الثالث
باستانبول رقم ٣٢٢٢ ، ٢٢٥ ورقة .

(ب) الأبحاث والكتب المطبوعة :

١- « آراء الفلاسفة الإسلاميين
في الحركة ومساهماتهم في التجهيد
إلى بعض معاني علم الديناميكا
الحديث »

للأستاذ مصطفى نظيف .

المحاضرة الرابعة من محاضرات ابن
الهيثم التذكارية : كلية الهندسة
جامعة فؤاد الأول : سنة ١٩٤٣ م .
٣٣ صفحة .

٢- كتاب « الإشارات والتنبيهات »
للشيخ الرئيس ابن سينا مع شرح
نصير الدين الطوسي .

تحقيق الدكتور سليمان دنيا .
دار المعارف بمصر - القسم الثانى .
الطبعة الثانية ، ٤٦٨ صفحة .
٣- « الكتاب المسموم بشرح
الإشارات » .

للخواجة نصير الدين الطوسي ،
ولالإمام فخر الدين الرازى .
المطبعة الخيرية بالقاهرة - الطبعة
الأولى ، عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م)
الجزء الأول : ٢٤٣ صفحة ، الجزء
الثانى : ١٤٦ صفحة .

٤- كتاب « الشفاء - الطبيعيات »
للشيخ الرئيس ابن سينا .
تحقيق الدكتور محمود قاسم .
مراجعة وتقديم الدكتور إبراهيم
مذكور .

- دار الكتاب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة ، عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩م) .
- ٥- « تسع رسائل في الحكمة
والطبيعيّات » .
للشيخ الرئيس ابن سينا .
مطبعة هندية بالموسكى بمصر ،
عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨م) ، ١٨٠ صفحة .
- ٦- « معيار العلم » للإمام محمد
أبي حامد الغزالي .
تحقيق الدكتور سليمان دنيا .
دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية ،
عام ١٩٦٩ ، ٤٠٠ صفحة .
- ٧- « علم الحركة في الفلسفة العربية :
مفاهيمه وألفاظه » .
للدكتور جلال شوقي .
مجلة اللسان العربي ، جامعة
الدول العربية ، الرباط - المجلد
العاشر ، يناير ١٩٧٣م ، الجزء
الأول ، الصفحات ١٨٣ - ١٩٤ .
- ٨- « أصول الميكانيكا في الفكر
العربي » للدكتور جلال شوقي .
أسبوع العلم الثالث عشر
بجامعة حلب سنة ١٩٧٢ م ،
منشورات المجلس الأعلى للعلوم
بدمشق ، سنة ١٩٧٤ م ، الكتاب
الرابع : دراسات وبحوث
العلوم الهندسية ، الصفحات ١٩٣ -
٢٦٢ .
- ٩- « تراث العرب في الميكانيكا »
للدكتور جلال شوقي .
عالم الكتب بالقاهرة ، سنة ١٩٧٣م ،
١١١ صفحة .
- ١٠- « دراسات العرب في ملوك
الأجسام المتحركة » للدكتور
جلال شوقي .
مجلة « عاديّات حلب » - جامعة
حلب : معهد التراث العلمي العربي ،
الكتاب الأول عام ١٩٧٥م ، الصفحات
٣٠ - ٥١ .

التطور اللغوي وقانون السهولة والتيسير للكنور رمضان عبدالنواب

وهو لاشك سييجدها في ظروف خاصة باللغة التي قد يحدث فيها هذا النوع من التطور . فليس ينقض هذا القانون ، أن نجد أحيانا أصواتا سهلة ، تطورت إلى أصعب منها في بعض الحالات ^(١) .

ومما ينطبق عليه هذا القانون : « ظاهرة الهمز » في اللغة العربية ، ومحاولة بعض القبائل العربية القديمة التخلص منها ، وعلى الأخص قبائل الحجاز ، كما تخلصت منها معظم اللهجات العربية الحديثة . وصوت الهمز صوت عسير النطق ؛ لأنه يتم بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية ، ثم انفراج هذه الأوتار فجأة ، وهذه عملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير .

اللغة في تطورها نحو **تيسل** السهولة والتيسير ، فنحاول التخلص من الاصوات العسيرة ، وتستبدل بها أصواتا أخرى ، لا تتطلب مجهودا عضليا كبيرا . كما أنها تحاول أن تتفادي تلك التفرجات المعقدة ، والأنظمة المختلفة للظاهرة الواحدة . « وليس معنى هذا أن قانون السهولة والتيسير ، ينطبق على كل الحالات ، وإنما يمكن تطبيقه على كثير من التطورات الصوتية في اللغة . فإذا وجد الباحث أن التطور الصوتي كان عكسيا ، أى من السهل إلى الصعب - كما وجد فعلا في بعض الحالات - فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى خاصة تبرر هذا التطور ،

(١) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ١٦٩ وانظر الشبه التي أثارها الدكتور تمام حسان ، على نظرية السهولة والتيسير ، في كتابه : اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٤٥ - ٤٧

وسقوط الهمز في غير أول الكلمة ،
هو الشائع في اللهجات العربية الحديثة ،
وكان هو المميز لهجة قريش في الجاهلية ،
غير أن هذا التسهيل امتد إلى الهمزة في
أول الكلمة كذلك في كثير من الكلمات ،
في العاميات الحديثة ؛ مثل : « باط »
في « آباط » و « دان » في « آذان »
و « سنان » في « أسنان » و « سبوع » في
« أسبوع » ، كما يقال مثلاً : « إيه
اللي صابك » و « فلان راح في غيبوبة
وفاق منها » ، بدلا من : « أصابك »
و « أفاق » . وقد روى الجواليقي (المتوفى
سنة ٥٣٩ هـ) أن الناس في عصره كانوا
يسقطون همزة « أبو » ؛ فقال : « وهو
أبو رياح ، لهذا الذي يلعب به الصبيان ،
وتديره الريح ، ولا تقل : بُرياح ،
وكذلك يقولون للقرد : بُوزنة ، وإنما
هو : أبو زنة ، وهي كنيته ^(١) » .
ولا تزال هذه الظاهرة شائعة في تونس
والجزائر مثلاً ، في قولهم : « بومدين »
و « بوتفليقة » و « جميلة بوحريد » ،
وكان لنا زميل تونسي بجامعة ميونخ
اسمه : « عثمان بوغاثي » ، كما تشيع
هذه الظاهرة في بعض الأسماء في الجزيرة

(١) التكملة فيما يلحن فيه العامة للجواليقي ١٣١

العربية ؛ مثل : « باحسين » و « باكلاً »
و « بابطين » وغير ذلك .

وقد يؤدي سقوط الهمز من آخر
الأفعال ، إلى التباسها بالأفعال المعتلة
الآخر ، فتعامل معاملةً عند إسنادها
إلى الضمائر ؛ فبعد أن ضاع الهمز من
الأفعال : ملأ الإناء ، وسلاً السم ،
وأخطأ في قراءته ، وخبأ قوده ، مثلاً ،
أصبح يقال عند إسنادها إلى الضمائر :
مليت ، وأخطيت ، وأبطيت ، وخبيت
تماماً كما يقال : « رميت » و « سميت »
و « بنيت » وغير ذلك .

وقد روى ابن الأنباري شيئاً من هذا
في العربية القديمة ؛ فقال ^(٢) : « ويقال :
أردأت الرجل وأرادته وأرديته ، فمن
قال : أرداته ، لين الهمزة . ومن قال :
أرديته ، انتقل عن الهمزة . وشبه أرديت
بأرضيت . ومثل هذا قول العرب : قرأت
بتحقيق الهمز ، وقرأت بتلحين الهمزة ،
وقريت بترك الهمز ، والانتقال عنه
إلى التشبيه بقضيت ورميت . وكذلك
يقال : اقرأ رقعى بالتحقيق واقرا

(٢) الأضداد لابن الأنباري ٢٠٨

رقعتى بالتليين ، واقرب رقعتى بالترك وهو أقل الثلاثة .

كما يؤدى سقوط الهمز أحيانا إلى نوع من الاشتقاق الجديد ؛ فإن سقوط الهمز من الفعل : «يؤسى» مضارع : «آسى» و «يؤدى» مضارع «أدى» ، وتحوّلها إلى : «يؤسى» و «يؤدى» مثلا ، هو المستول عن اشتقاق الماضي الجديد : «ؤسى» و «ؤدى» ، وغير ذلك مما هو شائع فى اللهجات الحديثة .

* * *

وانكماش «الأصوات المركبة» المسماة باللاتينية : Diphthong ، ظاهرة من ظواهر السهولة والتيسير فى اللغة ؛ فتحول الصوت المركب aw إلى ضمة طويلة ممالاة ، فى مثل نطقنا لكلمة : «يُوم» و «نُوم» و «صُوم» بدلا من : «يَوْم» و «نَوْم» و «صَوْم» . وكذلك تحول الصوت المركب ay إلى كسرة طويلة ممالاة ، فى مثل نطقنا لكلمة : «بيت» و «ليل» و «عين» بدلا من : «بَيْت» و «لَيْل» و «عَيْن» - كل

ذلك سببه إيشار اللغة الانتقال من العسير إلى اليسير من الأصوات .

وقد حدث هذا التطور فى الأصوات المركبة ، فى حضور العربية الأولى ، على ألسنة العامة ، وهذا هو ما يفهم من كلام ابن السكيت (المتوفى سنة ٢٤٤ هـ) فى كتابه : «إصلاح المنطق : «وتقول : الكُوسج ، ولا تقل : الكُوسج ، وهو الجُورب ، ولا تقل : الجُورب^(١)» . وقد تابع المؤلفون فى لحن العامة من بعده ، التنبيه على هذا التطور ، مثل ما فى كلمتى : «الغيرة» و «قَيْح»^(٢) عند الزبيدى (المتوفى سنة ٣٧٩ هـ) وكلمة : «سَوْسَن»^(٣) عند الحريرى (المتوفى سنة ٥١٦ هـ) و «لَوْح» و «جَيْب»^(٤) عند ابن هشام اللخمي (المتوفى سنة ٥٧٧ هـ) و «فوق» «جوف»^(٥) عند ابن الإمام (المتوفى بعد سنة ٨٢٧ هـ) و «العَيْش»^(٦) عند ابن كمال باشا (المتوفى سنة ٩٤٠ هـ) .

(٢) لحن العوام للزبيدى ١٤٤ ؛ ١٨٥

(٤) المدخل إلى تقويم اللسان ٦٢ ؛ ٦٦

(٦) التنبيه على غلط الجاهل والتنبيه ٢٠

(١) إصلاح المنطق ١٦٢

(٣) درة الغواص للحريرى ٧٨

(٥) الجمانة فى إزالة الرطابة ٥

وقد تتطور هذه الحركة الممالة
النتيجة من الصوت المركب، فتضيق
فتحة طويلة؛ فمثلاً كلمة: «فأين»
تطورت بعد سقوط الهمز منها إلى
«فين» بدلا من: «فَيْن»، وفي بعض
اللهجات: «وين» المتطورة عن: «يَيْن»
بعد سقوط الهمز من: «وَأَيْن» .
غير أننا نسمع بعض أهالي صعيد مصر،
ينطقون الكلمة الأولى بالفتح الخالص،
فيقولون: «فان» بدلا من: «فين»

الشائعة فيما عدا ذلك في مصر، أي أن
التطور في هذا الصوت المركب كان
على النحو التالي: $ay < \bar{e} < \bar{a}$

ونلاحظ مثل هذا التطور في العربية
القديمة، في قول بعض العرب: «إن
الرجز لعاب»، أي: لعيب. والرجز:
ارتعاد مؤخر البعير^(١)، وقولهم:
«ما كنت أزعم في خصمي من العاب،
يريد: العيب... ويقال: بَوَّع وباع،
وَصَوَّع وِصْبَاع^(٢)»، كما جاء في
قولهم: «تبت إليك فتقبل تابتى،

وَضَمَّتْ إليك فتقبل ضامتى، أي:
توبيتى وصومتى، ذكره الواحدى في
تفسير قوله تعالى: «إن هذان لساحران» .
قال ابن عباس رضى الله عنهما: «هى
لغة بالحرث، وهى قبيلة من اليمن^(٣)» .
وهى تلك القبيلة، التى روى لنا
نسبها، أنها كانت تلزم المفتى الألف
في جميع أحواله؛ فقد قال أبو زيد
الأصمعي، في تفسير قول الراجز:
طارت علاهن فشل علاها:

«وعلاها، أراد: عليها. ولغة
بالحرث بن كعب، قلب الياء الساكنة،
إذا انفتح ما قبلها ألفا؛ يقولون: أخذت
الدرهمان، واشتريت ثوبان، والسلام
علاكم. وهذه الأبيات على لغتهم^(٤)» .

كما يروى عن أهل الحجاز، أنهم
يقولون في: «يَوَّجِل»^(٥) «ياجَل»، كما روى
لنا في اللغة: «يَبَّاس» و «يَابَس»
في: «يَبَّاس» و «يَيْبَس»^(٦)،
ومثل ذلك: «القال» بدلا من:
«القول» في عبارة: «القليل والقال»^(٧)

(١) النوادر لأبي زيد ٣

(٢) شرح معاني الأرواح ١٢٠

(٣) المقتضب ٩٠/١ والمنصف ٢٠٢/١

(٤) لسان العرب (قول) ٩١/١٤

(٥) النوادر لأبي زيد ٥

(٦) النوادر لأبي زيد ٥٨ وانظر الصحاح لابن فارس ٤٩

(٧) المقتضب ٩٢/١ والمنصف ٢٠٢/١

وكل هذه الأمثلة نتيجة لانكماش الصوت المركب ، وتحول الحركة المائلة الناتجة عن هذا الانكماش إلى فتحة خالصة ، فيما نعتقد .

* * *

وكذلك اندثار الأصوات الأسنانية في اللهجات العربية الحديثة بعد مظهر آخر من مظاهر السهولة والتيسير في اللغة . والأصوات الأسنانية في العربية هي الدال والثاء والظاء ، وهي التي تتطلب إخراج طرف اللسان ووضعها بين الأسنان عند النطق بها . ولا شك أن ذلك جهد عضلي ، تخلصت منه لغة الكلام بنقل المخرج إلى ما وراء الأسنان ؛ أما الدال فقد حل محلها الدال في مثل : « ذهب » بدلا من « ذهب » ، أو الزاي في مثل « زكر » بدلا من : « زكر » و « زل » بدلا من : « ذل » . وأما الثاء فقد حل محلها الثاء في مثل كلمة : « توب » بدلا من : « توب » ، أو السين في مثل : « سابت » بدلا من : « ثابت » . وأما

الظاء فقد حل محلها الضاد مثل : « خيل » بدلا من : « ظل » أو الزاي المضممة مثل : « زهر » بدلا من : « ظهر » ، وغير ذلك .

وقد روى لنا عن العرب القدماء بدايات لهذا النوع من التطور ؛ فقد ذكر أبو الطيب اللغوي أنهم قالوا : « الحسالة » في : « الحثالة » و « القنفذ » في : « القنفذ » و « البزور » في : « البذور »^(١) وغير ذلك .

وقد استمر هذا التطور في اللهجات العامية العربية ، في أصقاعها المختلفة ؛ فقد روى لنا ابن مكى الصقلي (المتوفى سنة ٥٠١ هـ) قولهم : « التار » في « الثار » و « جذر الشجرة » في : « جذر الشجرة » كما روى ابن هشام اللخمي (المتوفى سنة ٥٧٧ هـ) قولهم : « جدام » في : « جذام » و « ذخيرة » في : « ذخيرة »^(٣) وكذلك روى لنا الشيخ يوسف المغربي (المتوفى سنة ١٠١٩ هـ) قولهم : « فلان

(١) الإيفال لأبي الطيب اللغوي ١ / ١٧٤ / ٢٤٣٥٧ / ٦

(٢) تقييد اللسان ١٠٤٥

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٦

فنحن نقول في : حمراء ، وبيضاء ،
وصحراء ، وحمياء ، وميناء ، وعرجاء :
حمرة ، وبيضة ، وصخرة ، وعمية :
ومينة ، وعرجة ، كما نقول في :
حبلى وسلمى ، ونجّازى ، وعدوى ، وفتوى
حبلة ، وسلمة ، ونخبيزة ، وعدوة ،
وفتوة .

والسر في زوال هاتين علامتين ،
وحلول العلامة الأولى محلها ، وهى التاء
هو ميل اللغة إلى أن تيسر في طريق
السهولة والتيسير ، فبدلاً من أن يكون
في اللغة الواحدة ثلاث علامات للتأنيث
تصبح فيها علامة واحدة لكل أنواع
المؤنث .

ونحن نلاحظ هذا الميل إلى السهولة
والتيسير في هذه الظاهرة ، في لغة
الطفل الذى نعهده يميل إلى تأنيث
المؤنث بالتاء وحدها ؛ لأنها هى العلامة
الكثيرة الشيوع في لغة الكبار من حوله
فنراه يقول مثلاً : « قلام أحمر وكراصة
أحمر » ، وهو بهذا يعمل عن غير قصد

ندل « بدلاً من : « نذل » و « ثوم »
بدلاً من « ثوم » و « حنضل »
بدلاً من : « حنظل^(١) » ومثل ذلك
ما رواه ابن أبي السرور البكرى
(المتوفى سنة ٨١٠٨٧) من قولهم :
« بَدَرَ الحَبِّ » بدلاً من : « بَذَرَ »
« وبردعة » بدلاً من : « بردعة » ،
وغير ذلك .

* * *

ومن مظاهر قانون السهولة والتيسير
كذلك : القضاء على التفريعات
الكثيرة ، والأنواع المختلفة للظاهرة
الواحدة في داخل اللغة . وقد حدث ذلك
في اللهجات العربية الحديثة بالنسبة
لعلامات التأنيث في العربية ، فنحن
نعرف أن العربية الفصحى تملك ثلاث
علامات للتأنيث هى : التاء ، والألف
المقصورة ، والألف الممدودة ، كما
نلاحظ أن علامتين الثانية والثالثة ،
قد ضاعتا في اللهجات العربية الحديثة
وحلت محلها العلامة الأولى ، وهى التاء

(١) دفع الإصر من كلام أهل مصر ٧١ ؛ ٩٢ ؛ ٩٦

(٢) القول المقتضب ٩٩ ؛ ٩٢

(٣) انظر كتابنا : التذكير والتأنيث في اللغة .

على اطراد القاعدة ، وكل لغة من اللغات تحاول في تطورها أن تسلك هذا الطريق وأن تجعل قواعدها بسيطة مطردة ، وذلك بالقضاء على التفريعات الكثيرة ، والظواهر الشاذة فيها ؛ وبذلك يصبح صحيحا في الاستعمال ، ما كان يعد خطأ ، من قبل أن يشمع استعماله .

وهذا السابك قديم في العامية العربية فقد روى الحريري (المتوفى سنة ٥١٦هـ) أن الناس في عصره يلحنون ، فيقولون «الأولة» بدلا من : «الأولى»^(١) وقد عثرت على نصين ، يظهر فيهما هذا اللون من التطور في كلمة : «الأولى» ؛ ففي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : «وقد رجعنا عن الراوية الأولى»^(٢) ، وفي كتاب الواضح المبين في ذكر من اسشهد من المجبين للحافظ مغايطي : « ثم جعلت الصورة الأولى في صدر المجلس»^(٣) .

والقلب المكاني^(٤) ، وهو عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض

لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي - هو ظاهرة يمكن تحليلها بنظرية السهولة والتيسير كذلك . ويرى فندريس أن «الانتقال المكاني يصدر عن نفس الأصل الذي صدر عنه التشابه ؛ إذ إن مرد الأمر في كليهما إلى الخطأ ونقص الالتفات ولكن النتيجة مختلفة كل الاختلاف فبدلا من تكرار الحركة النطقية مرتين يقتصر على تغيير مكان حركتين ، وأخيرا يبدو الانتقال المكاني ، كما لو أن جزأين في كلمة واحدة قد تبادلا أحد العناصر ؛ فبدلا من : فسترا festra (نافذة) يقال في البرتغالية . festra فرستا^(٥) » .

ولهذه الظاهرة أمثلة لا تحصى كثيرة في العربية الفصحى ؛ فقد خصص السيوطي في كتابه المزهر في اللغة (١/٤٧٦-٤٨١) النوع الثالث والثلاثين ، لمعرفة القلب وذكر فيه حوالي مائة كلمة من هذا النوع ؛ مثل : جَذَبَ وجَبَدَ ، وسحاب مكفهر ومكرهف ، واضمحل وامضمحل

(١) درة القواص للحريري ٧٧ (٢) تاريخ بغداد ١٨/٥ (٣) الواضح المبين ١٩٧ (٤) تنج الدراسات الحديثة في تفسير هذه الظاهرة الآن إلى إحصاء نسبة شيوع الأصوات في اللغة وذلك باستخدام جهاز الكمبيوتر ١ (٥) اللغة لفندريس ٩٤

ولزج ولجز ، والأوياش والأوشاب وغير ذلك . كما ذكر شيئا مما يخص بعض القبائل العربية من هذه المقلوبات كقول بني تميم مثلاً «رعملي» بدلا من : «لعمرى» .

بل إننا لو قارنا العربية ، باللغات السامية الأخرى ، لعثرنا على أمثلة ، حصل فيها هذا القلب المكاني في العربية على حين احتفظت اللغات السامية بالأصل ، فمثلاً كلمة : «ركبة» هي في العبرية : *béreh* (בֶּרֶחַ)

وفي الآرامية *burkā* (ܒܪܟܐ)

وفي الحبشية *berk* (በርክ)

وفي الأكادية : *burku* فأصل الكلمة على هذا : «بركة» ثم قلبت إلى : «ركبة»^(١) ؛ بدليل بقاء الأصل في الفعل : «برك» كذلك . ويقول في ذلك الأب أنستاس الكرملي : «وقالوا : الركبة ، وكان الحق أن يقال : البركة ؛ لأنهم اشتقوا منها : برك ، ولم يقولوا : ركب»^(٢) .

وكذلك كلمة : «مع» في العربية ، فهي مقلوبة ، وأصلها تقلب العين على الميم ؛^(٣) لأنها في العبرية : *im* (יִם) وفي الآرامية : *am* (ܐܡ)

أما كلمة : «شجر» في العربية بمعنى : «فتحة أو ثقب» فإنها تقابل في اللغة العبرية *šā'ār* (שָׂאֵר) وكان المفروض أن يكون مقابلها في الآرامية : *tarā* لأن الملاحظ في أصوات اللغات السامية ، أن الـ «اء» العربية ، تقابل شينا في العبرية ، وتاء في الآرامية ، كما أن الغين في العبرية تقابل العين في اللغتين العبرية والآرامية . ولكن الآرامية حدث فيها قلب مكاني في هذه الكلمة ، فصارت *tarā* (ܬܪܥܐ) واستعيرت تلك الكلمة المقلوبة من الآرامية في العربية ، وهي كلمة : «ترعة» ، وهي شق أو فتحة في الأرض كما نعرف .

(١) انظر : التطور النحوي لبرجشتراسر ٢٢

(٢) نشوء اللغة ونموها وكتبها ١٠٦

(٣) انظر : التطور النحوي لبرجشتراسر ٢٢

وقد روى لنا المؤلفون في لحن العامة بعض كلمات القلب المكاني ؛ مثل : «حطب زَجَل» في : «جزل» و «لطس الكتاب» أي محاه في : «طلس»^(١) و «أرغى سمعك» في : «أعرنى»^(٢) و «رنجس» في : «نرجس» و «نورق» و «رونق» و «دأب» في : «أدب» و «دناية» في : «ديانة» و «توفيض» في «تفويض»^(٤) و «إحجاف» في : «إجحاف» و «مأيوس» في : «ميثوس»^(٥) ومن أمثلة القلب المكاني في اللهجات العامية المعاصرة قولنا : «معلّاة» في : «ملعقة» مع تطورات أخرى فيها ، و «اتلوى» في : «التوى» و «أنارب» في : «أرانب» و «جنزبيل» في : «زنجبيل» و «فحر» في : «حفر» و «جواز» في : «زواج» و «جوز» في : «زوج» و «مرسح» في : «مسرح» و «أهبل» في : «أبله» و «فعص» في : «فصع الرطبة» و «فلان يعل» في :

«عَبَل» بمعنى ضخم الجثة ، و «سأف» في : «صفق» مع تطورات أخرى ، و «لخبط» في : «خلبط» الناتجة بحسب قانون المخالفة من : «خلط» ، و «بحلق» المقطورة عن : «مخلق» في : «حخلق» ، و «خفس به الأرض» في : «خسف» و «ورى» في : «روى» الموجودة في نطق العراقيين ، والمتطورة عن : «رأى» ، و «عماويد» في : «عواميد» ، وقد سمعت شخصية كبيرة تتحدث عن «القماويس» وهو يقصد : «القواميس» ، وكل الأطفال الصغار يخطئون في كلمة : «جمزة» فينطقونها : «جمزة» ، وقد سمعت طفلا يقول : «فشارة» في : «فراشة» وطفلة تطلق على «المسمار» كلمة : «ممسار» وغير ذلك .

ومن الملاحظ أن بعض الكلمات المقلوبة ، بعد أن تشيع على الألسنة ،

(١) التكملة فيما تلحن فيه العامة للجواليق ١٣٣ ٤ ١٤١

(٢) تقرير اللسان لابن الجوزي ٩

(٣) الجمالة في إزالة الرطانة لابن الإمام ٢٧

(٤) التنبيه على غلط الجاهل والنبه لابن كمال باشا ٣٣ ٤ ١٣ ٤ ٢١

(٥) نقائس مرئس الكلام لمسرو زاده ١٧

ولا مصدر ، فإذا وجد المصدران حكم
النحاة بأن كل واحد من الفعلين أصل
وليس بمقلوب عن الآخر ، نحو :
جذب وجذب . وأهل اللغة يقولون : إن
ذلك كله مقلوب » .

ويقول الحريري^(٣) : « قال شيخنا أبو
القاسم الفضل بن محمد النحوي رحمه
الله : فأما قولهم : جذب وجذب ،
فليست هاتان اللفظتان عند المحققين
من النحويين من قبيل المقلوب ، كما
ذكر أهل اللغة ، بل هما لغتان ، وكل
واحدة منهما أصل في نفسها ، ولهذا
اشتق لكل منهما مصدر من لفظه ؛
فقبيل في مصدر جَبَدَ : جَبَدٌ ، كما قيل
في مصدر جَدَبَ : جَدْبٌ » والله أعلم .

تأخذ مجراها الطبيعي في اللغة باستعمال
بأق المشتقات منها . ولما لم يدرك
اللغويون العرب ذلك حكموا بأصالة
بعض المقلوبات ، فيقول أبو جعفر
النحاس في شرح المعلقات^(١) : « القلب
الصحيح عند البصريين ، مثل :
شاكى السلاح وشاكك ، وجرف هار
وهائر . وأما ما يسميه الكوفيون القلب
نحو : جذب وجذب ، فليس هذا بقلب
عند البصريين ، وإنما هما لغتان » .

ويقول السخاوي في شرح المفصل^(٢) :
« إذا قلبوا لم يجعلوا للفرع مصدرا ؛
لثلاثياتيس بالأصل ، بل يقتصر على
مصدر الأصل ؛ ليكون شاهدا للأصالة ،
نحو : ينس يأسا ، وأيس مقلوب منه

(١) شرح القصائد التسع ٤٣٠ وانظر : المزمع للسيوطي ١ / ٤٨١

(٢) من المزمع للسيوطي ١ / ٤٨١

(٣) درة الغواص في أوام الخواص ١١٦

(٤)

في القرآن والعربية :

الصِّراع بين القراء والنُّحاة

للكبير أحمد علم الدين الجندى

بأقوم وأعدل . كما يقول ابن جني^(١)
وذلك لأن الفائدة لا تكون إلا حيث
الجمال ومدارج القول هذا هو المعروف
في الفصحى - ولكن عثرت على عدد
من النصوص فيها يظهر الحذف في أثناء
الوصل أيضا كحالة في الوقف على
غير المعتاد وأدلة هذا :-

١ - ما جاء في الجمهرة ليعلى الأحول :
فبتُّ لدى البيت الحرام أُخيلةً
ومطوأي مشتاقان (لَه) أرقان^(٢)

٢ - وروى صاحب اللسان عن قطرب قول الشاعر :
وأشرب الماء ما بى نحو هو عطشٌ
إلا لأن (عُيُونُهُ) سال واديها^(٣)

(ح) في الكمية (الحذف والزيادة) :-
أولاً : المعروف أن الوقف من مواطن
التغيير ، ففيه يكون الحذف أو الإبدال
أو التضعيف . أما الوصل فمما تجرى
فيه الأشياء على أصولها ، ولكننا رأينا
نمطاً آخر من الحذف - وهو حذف
الحركة أو اختلاسها في حالة الوصل -
فاذا قلتُ « لقيتَهُو أمس » أثبتت الواو
في الوصل ، وأما إذا وقفت عليها قلتُ
« لقيته » بالسكون - فالوقف كما ترى
قد ترتب عليه الحذف ، وأما الوصل
فيعطى الكلمة حقها كاملاً ؛ ولذا كان
الوصل عندهم أشرف من الوقف بل

* انظر مجلة الجمع ج ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

(١) الخصائص ٣٣١/٢٤

(٢) الجمهرة ١١٨/٣ مطراي : صاحبها ، وضمير - أخيلة و - له عائد إلى البيت .

(٣) اللسان : ٣٦٧/٢٠

٣- كما أنشد أبو حزام العكلى :
لى والدئ شبيخ (تَهْضُمَةُ) غيبتي
وأظن أن نفاذ (عمره) عاجل^(١)

٤- وأنشد أبو عبيدة في كتاب المعجاز
وقال ربيثهم لما أتانا
(بكفَّة) فومة أو فومتان^(٢)

وروى ابن جني في خصائصه :
إن لنا لَكِنَّةً
مِيفَةً مِيفَةً

إلى أن قال :
كالذئب وسط القننة
إلا (تَرَّة) تظنه^(٣)

والمتبع أن هذا الضمير في الوصل
يجب أن يتمكن فيه واوه أو ياؤه كما
في (نحوه) في البيت الثاني، وكان

المتبع في البيت الثالث والرابع أن يكون
(تَهْضُمَةُ) (بكفهي) لأجل الوصل، كما
أن البيت الأول يجب أن يكون الضمير فيه
(مشتاقان لهو أرقان) بدل (له) ولكن كثرة من
النحاة - ذهبوا إلى أن هذا الحذف^(٤)
- ضرورة ، بل ذهب أبو إسحاق
الزجاج أنه غلط بين^(٥) .

وينقل صاحب الخزانة عن ابن السراج
أن هذا من قبيل الضرورة عندهم ،
ويعلل لهذا بأنه جاء في الشعر حذف
الواو والياء الزائدة في الوصل مع الحركة ،
كما هي في الوقف^(٦) سواء ، وقول ابن
السراج « بأنه جاء في الشعر » دليل
على أنه ضرورة ، وثانياً على أنه لم يأت
في النثر . ويبدو أن سيبويه هو الآخر
كان يقول في مثله بالضرورة بدليل
قول أبي حيان « ولم يحكمها سيبويه^(٧) »

(١) المرجع السابق

(٢) الجهرة : ٣ / ١٦٠ ، مجاز أبي عبيدة : ١ / ١٤١ والفوم : الزرع أو الحنطة والسبل .

(٣) الخصائص : ١ / ١٢٨ دار الكتب : الكفة سائر الإين والآخر : عتقة - كثرة الكلام ، مفنة : فائدة على فنون الكلام .

(٤) ضرائر الألويس : ٨٢

(٥) البحر : ٢ / ٤٩٩

(٦) الخزانة : ٢ / ٤٠١ - ٤٠٢

(٧) البحر المحيط : ٨ / ٥٠٢

وكان سيبيويه ينكرها أن تكون لهجة .

ثانيا : ومن قبيل الاستغناء بالكسرة القصيرة عن الكسرة الطويلة ، والاستغناء بالضمة القصيرة عن الضمة الطويلة ما يكون في ضمير الغائب والغائبة المتصل . قال مالك الهمداني :

فإن يك غثا أو سمينا فيأني

سأجعل عينيه لنفسه مقنعا^(١)

وقول الشماخ :

له زجل كأنه صوت حاد

إذا طلب الموسيقى أوزمير^(٢)

وقول حنظلة بن فاتك :

وَأَيُّقَنَّ أَنَّ الْخَيْلَ إِنْ تَلْتَبَسَ بِهِ

يَكُنْ لِفَسِيلِ النَّخْلِ بَعْدَهُ آبر^(٣)

وقول ذى الخزق الطهمي في وصف الذئب

ألم تعجب للذئب بات يعوى

ليؤذن صاحبا له باللاحاق^(٤)

ويرى النحاة أن هذا كله بابه الضرورة ،

في ارتشاف الضرب لأبي حيان أن هذا

لغة عقيل وكلاب وأسد السراة^(٥) .

إلا أنني أرى أن هؤلاء جميعا قد جانبوا

الصواب - أو جانبهم ، وذلك لأنني

اتجهت إلى القرآن الكريم كعادتي في كل

مشكلة ، فوجدت أن عدة آيات كريمة

قرئت على نمط الأبيات السابقة أي

بتسكين الهاء المضمرة - في حالة الوصل ،

وهي :

١- قوله تعالى « ومن يرد ثواب الدنيا

نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته

منها^(٦) » فقد قرأ قالون والحلواني عن هشام

(١) الكتاب : ١٠/١ يصف الشاعر ضيفا قدم إليه ما عنده من القرى ليختار منه أفضله لعله يقنع بذلك .

(٢) الخصائص : ١ - ١٢٧ ، ٢ - ١٧ ، البسيط في وصف حار وحشي

(٣) الكتاب ١ - ١١ ، ١٢ يصف شجاعا . علم انه إن ثبت وقتل ، بقي من يخلفه . آبر النخل : مصاحبه .

(٤) مجالس ثعلب : ١٨٤

(٥) ١٢٣١

(٦) سورة آل عمران : آية : ١٤٥

باختلاس الحركة في (نؤته) - كما
قرأ آخرون بالسكون (نؤته)^(١) .

٢ - وجاء في اللسان أن اللحياني أسند
إلى الكسائي قوله : سمعت أعراب عقيل
وكلاب أنهم - يعجزمون الهاء في الرفع
ويرفعون بغير تمام ، ويعجزمون في الخفض
ويخفضون بغير تمام فيقولون « إن الإنسان
لربه لكنود » بالجزم « ولربه لكنود »
بغير تمام^(٢) .

٣ - وفي قوله تعالى « ومن أعرض عن
ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم
القيامة أعمى »^(٣) فقد نقل ابن خالويه
عن إبان بن تغلب (نحشرة) بسكون
الهاء^(٤) . وجاءت رواية مماثلة في البديع^(٥)

٤ - وفي قوله تعالى « فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره » ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره^(٦)

وقرأ هشام وأبو بكر بسكون الهاء فيها
(يره) ثم قال أبو حيان والإسكان في الوصل
لغة حكاهما الأخفش ، كما حكاهما الكسائي
أيضا عن بني كلاب وبني عقيل^(٧) .

٥ - قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحزمة
والأعمش قوله تعالى : « ومن أهل الكتاب
من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم
من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك »^(٨)
بسكون الهاء وصلا في يؤده . كما روى
الكسائي أن لغة عقيل وكلاب - أنهم
يختلسون الحركة في هذه الهاء وأنهم
يسكنون أيضا^(٩) .

٦ - كما قرأ بالحذف والإسكان في قوله
تعالى « يرضه لكم »^(١٠) وقوله تعالى « أرجه »^(١١)
وأخاه « فقد قرأ عاصم بإسكان الهاء
في (أرجه) وقوله تعالى « طعام
ترزقانه إلا نبأكما بتأويله »^(١٢) وقوله

(١) البحر المحيط : ٣ - ٧١

(٣) سورة طه : آية : ١٢٤

(٥) مختصر شواذ القرآن ٩٠ ابن خالويه

(٧) البحر ٦٠٢/٨

(٩) إتحاف فضلاء البشر : ٣٦ -

(١١) سورة الأعراف : ١١١ ، وسورة الشعراء : ٣٦ وانظر الإتحاف ٣٦

(١٢) سورة يوسف : ٣٧

(٢) اللسان : ٢٠ - ٣٦٧

(٤) البحر : ٦ / ٢٨٧

(٦) سورة الزلزلة آية : ٨ ، ٧

(٨) آل عمران آية : ٧٥

(١٠) سورة الزمر

تعالى « إن لم يره أحد^(١) » فقد قرأ بالإسكان هشام كما ورد عن ابن عباس أنه قرأ ونادى نوح ابنه وكان في معزل^(٢) يابني اركب معنا بمسكون الهاء ؛ من (ابنه) ، وعقب على تلك القراءة ابن عطية وأبو الفضل الرازي بآنها : على لغة لأزد السراة^(٣) ، وقال ابن جني في المحتسب « وأما ابنه - يعجزم الهاء فعلى اللغة التي ذكرناها لأزد السراة^(٤) . وقد أتيت بتلك الإحصائية لهذه الظاهرة ، حتى تكون حاجزا منيعا في وجه عبث النحاة وحملهم هذه الظاهرة على الضرورة ، بل بعض هؤلاء النحاة قد تجرأ فخطأ هذه القراءات القرآنية السابقة كتابي إسحاق الزجاج حيث يقول « والإسكان الذي روى عن هؤلاء (يقصد القراء) غلط بين^(٥) ، لأن الهاء لا ينبغي أن تعجزم ، وإذا لم تعجزم فلا يجوز أن تسكن في الوصل^(٥) ، ومشاه السيراني في شرح سيبويه^(٦) كما حكى عن أبي العباس

المبرد أنه قال : ما عرفت وما علمت - أن أبا عمرو لحن في صميم العربية إلا في حرفين ... والآخر « يوده إليك » ثم قال ولا يجوز إسكان الهاء إلا في ضرورة عند بعض النحويين ومنهم من لا يجيزه البتة^(٧) . ووضح وهن ما يقوله الزجاج وأعوانه من النحويين ؛ لأن ما يعلل به للطعن في ، هذه القراءات عليه مسحة المنطق والمهجات والقراءات لا يصح أن نخضعها للمنطق ؛ لأنها مأثورة منقولة ولا تخضع لهوى النحاة وقوانينهم العقلية ، كما أننا لسنا مكلفين بأن نعتبر بأقوال النحاة وقوانينهم المنطقية ، ثم إن هذه القراءات منقولة عن إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء - العربي الصريح ، والقاهري الذي لا يتهم ، ومنقولة أيضا عن الكسائي - شيخ المدرسة الكوفية - وحسب هذان الرجلان تثبتا وعلمنا ، في علوم القرآن واللغة ، ثم إن حقل العربية ليس مقصورا على النحاة وحدهم - يعبثون

(٣) البحر : ٥ / ٢٢٦

(٢) سورة هود : ٤٢

(١) سورة البلد : ٧

(٤) المحتسب في شواذ القراءات : ١ / ٤٠٢ مخطوطة بالتيمورية .

(٥) البحر : ٢ / ٤٩٩

(٦) شرح السيراني على سيبويه ١ : ٢٦٤ مخطوط بمكتبة أحمد تيمور .

(٧) نزعة الألباء : ٢٩٢ تحقيق محمد أبو الفضل .

ويقتننون فيه حسب هواهم وميولهم :
 فإذا ثبت - وقد ثبت - أن من
 القراء جماعة من النحويين - فلا يكون
 إجماع النحويين حجة مع مخالفة القراء
 لهم . ثم إن ما ينقله النحويون آحاداً ٩
 ونقل القراء في تلك القراءة متواتر ،
 فالقراء أعدل ، فإذا أُضيف إلى ذلك :
 أن تلك القراءة - التي وافقت لهجة عقيل
 وكلاب سبعية - كان موقف النحاة
 أوهى من بيت العنكبوت لأن القراء
 نقلوها عن صاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم)
 فهم لا يصرقون إلا بأثر . وهم متبعون لا مبتدعون
 ويبسوا من تاريخ الزجاج أنه كان
 دائب الطعن والخصومة ، يقول عنه أبو حيان
 « وأبو إسحاق الزجاج يقال عنه ، إنه لم
 يكن إماماً في اللغة ، ولذلك أنكر على
 ثعلب في كتابه الفصيح مواضع زعم أن
 العرب لا تقولها - ورد الناس على أبي إسحاق
 في إنكاره ونقلوها من لغة العرب ^(١) »
 وهنا أمر لا بد من ملاحظته ، يقوى مذهب

القراء القائلين بأنها لهجة ويدحض جانب
 النحويين بأن هذه الظاهرة - ضرورة -
 وهو أن البيت الأول من الشواهد التي
 سقتها آنفاً هو ليعلى الأحول - وإذا
 توجهنا إلى كتب الأنساب نسألها عن
 قبيلة هذا الرجل أخبرتنا أنه من شكر :
 وهي بطن من الأزد ، من القحطانية ^(٢) ،
 ومعروف مما سبق أن القراء عزوا هذه
 الظاهرة إلى أزد السراة . فكأن هذا البيت
 الذي نطق به ليعلى الأحول يجب أن يكون
 إسكان الضمير في (له) لغة لقبيلته -
 لا صنعة ولا ضرورة ، كما يقول السيرافي ^(٣)
 في شرحه على كتاب سيبويه ، وبذلك
 نجد شاهداً من أحد رجال القبيلة الأزدية -
 على ظاهرة لهجية أزدية ، أكدها القراء ،
 بل قرأ بها منهم أئمة ثقات في قراءة سبعية
 لا مجال لإنكارها أو النيل منها . ثم إن
 هذه الظاهرة قد وردت في النشر ، وذلك
 أن الكسائي سماع أعراب كلاب وعقيل
 يقولون : له ^(٤) مال : بسكون الهاء .

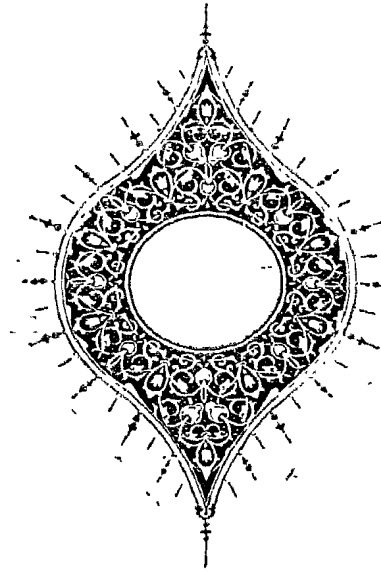
(٢) معجم قبائل العرب : ٦٠٣/٢

(٤) البحر : ٧١/٣ واللسان : ٣٦٧/٢٠

(١) البحر المحيط : ٥٠٠/٢

(٣) شرح السيرافي : ٢٦٤/١ مخطوط

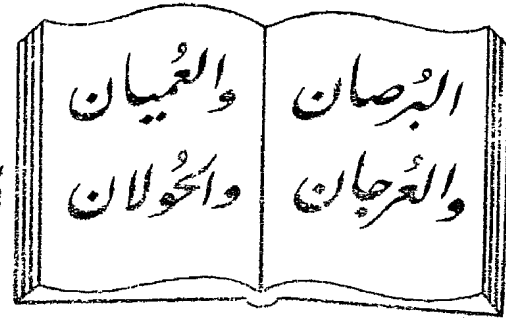
وأرى أنه لا ضرورة في النشر كما لا
 ضرورة في القرآن الكريم ، وقد احتج
 ابن خالويه للقراءة القرآنية التي جاءت
 على لهجة القبائل بقوله « فمن قرأ
 » أرجه وأخاه « بالسكون فحجته -
 أنه توهم أن الهاء آخر الكلمة فأسكنها
 دلالة على الأمر - أو تخفيفها لما طالت
 الكلمة بالهاء ^(١) »
 (للبحث بقية)
 أحمد علم الدين الجندی



(١) الصفحة لابن خالويه. ورقة : ٥٠ مخطوط بدار الكتب رقم ١٩٥٢٣ ب .



تأليف :
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاهلي



تحقيق : الأستاذ محمد حسن الخولي
تعريف ونقد : الأستاذ محمد عبد القادر

في كل زمان ومكان ، مثل البخلاء والحيوان
والبيان والتبيين ، ومنها ما لم تره عين ، ولم
تسمع به أذن إلا الآذان الواعية ، والعيون
المتفتحة ، مثل كتاب (البرصان والعرجان
والعميان والحولان ...) فما السر في هذا
الكتاب الذي لم ينكب به كتاب من كتب
الجاحظ ؟

أهو نفاسة الكتاب وقيمته الكبيرة التي
جعلت الناس يفضنون به في خزائن كتبهم
الخطية ، فلا يسمحون له بأن يعار أو يخرج
من بطون الديار ؟ أهو عنوانه الذي يوهم
أنه من كتب الطب المنشرة من مثل هذه
الآفات والعلل المزعجة التي قل أن ياتت
إليها إلا أهل الاختصاص ، والقلة من
الخواص ؟

أهو ندرة ما انتسخ منه ، فلم تتوزع

محقق هذا الكتاب في
التقديم له : (هذا الكتاب

يقول

كتاب نادر . مما جادت به قريحة شيخ
العربية وأديبها الأكبر أبي عثمان
عمرو بن بحر الجاحظ نادر في وجوده
ونادر في مادته . أما في وجوده فقد كان
منفوقا تماما . ولم يعثر على نسخة منه إلا منذ
زمن قريب . ويبدو أنه كان نادرا كذلك
في العهود القريية من عهد المؤلف . ذلك
لأننا لا نرى له ذكرا فيما عدا كتب الجاحظ
نفسه . إلا في عدد قليل جدا من المراجع ...)
وعجيب جدا أن تختلف حظوظ المؤلفات
التي ألفها الجاحظ ما بين إقبال وإدبار .
وسعد ونحس . ورواج وكساد . فإن من
كتب الأديب الجاحظ ما انعقدت له شهرة
ودار دوران النجوم ، وسار مسيرة الشمس

نسخ خطية منه على محبي الكتب إلا على
أضيق نطاق ، وأصغر مجال ؟

وأيا ما كان الأمر فقد استطاع قدر سعيد
أن يحفظ هذا الكتاب من الضياع . وأن
يبقى عليه لكى يحى محقق ، صرى بعد أكثر
من أحد عشر قرنا فينشره على الناس . ويلقى
عليه من الأضواء ما يعرضه عن ظلمات
الحجب التي كان غارقا فيها خلال تلك
القرون .

والنسخة المنردة الوحيدة في العالم كله
شرقيه وغربيه التي بقيت من هذا الكتاب
هي نسخة عشر عليها في المغرب منذ أربعين
عاما لا يزيد . وإذا كان لابد من عزو النضل
إلى أصحابه ، والجهد المخلص إلى أربابه .
فإن الدكتور صلاح الدين المنجد المحقق
الباحث المعروف هو صاحب النضل في
تصوير هذه المخطوطة وجلبها إلى خزانة
معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية .

ولن نتحدث هنا عن هذا الكتاب والظروف
التي مرت به وإنما ندع ذلك للمقدمة المفيدة
الطريفة التي كتبها المحقق الأستاذ محمد
مرسى الخولى وصدر بها الكتاب في طبعته
الأولى التي نشرها دار الاعتصام للطبع
والنشر ببيروت والقاهرة من عهد غير بعيد .

والكتاب طريف في موضوعه : فهو
لا يتحدث عن أصحاب العاهات حديث
شائنة أو مجرد أخبار . ولكنه يجعل من
هؤلاء المؤلفين مثلا عالية في الذهاب في
آفاق الحياة إلى أبعد نطاق . فلم تقعد بهم
عاهاتهم عن إدراك غاية مما يسعى إليه
التأدرون الأشداء الأصحاء . ولم تقف الآفات
والعلل على عظم خطرهما ، أو بشاعة منظرهما .
حجر عثرة في طريقهم ، ولم تقعد بهم عن أن
يصلوا إلى مراتب الزعامة والقيادة وسيادة
الرجال . فهو كتاب يحى الهمم لا يميتهما ،
ويشجد العزائم لا يثبطها .

ويمتلك الحاحظ في خلال الحديث عن
الآفات والعاهات البشرية - كالبرص والوج
والعمى ، والحول - بالأهالة الحية المستمة من
واقع التاريخ العربى الإسلامى للرجال ؛ فهو
يضع يديك على رجال بأعياهم أصيبوا ببعض
العاهات ولكنهم لم يذلوا لها ، ولم يخضعوا
لسلطانها ، بل حاولوا التعويض عن النقص
الجسدى ، بفضائل جسدية أو نفسية أخرى .
يكون فيها عزاء عما أصيبوا به . أو نكبوا
فيه ... ثم لا يلبث أن يقص عليك من أخبار
هؤلاء الأفاضل ما تجد فيه أدها خالصا ، وفضلا
ذائعا . ثم لا يلبث أيضا أن يستطرد في الحديث
من علة إلى علة . ومن آفة إلى آفة ، ولا يقف

عند الآفات في الإنسان . بل يتجاوزها إلى
العلل في الحيوان والنبات . على عادته في
التتبع ومواصلة البحث .

والحق أن المحقق قد بذل في تحقيق هذا
الكتاب ما وسعه من الجهد . وإن كان محتوى
الكتاب أكبر من جهده . وأوسع من طاقته .
وأضحى من إمكانياته المتاحة... ففى الكتاب
مثلا شعر كثير يكاد ينشرد الجاحظ بروايته
فلا يجده الباحث في كتاب آخر يستعين به
على تحقيقه وتقويم نصه. ومن هنا جاءت
العقبة ، وخاصة أن المخطوطة المحققة وحيدة
في العالم كله ، لاثاني لها ، ولا مؤنس لها .
ما أشق تحقيق النسخة الخطية المفردة . لأن
مقابلة النصوص تعين على توضيح النص
المراد . كما أن الجاحظ كثيرا ما يستشهد
بشعر مجهول لا يعرف أين مظنة وجوده ،
ولا من هو قائله... فيختلط الأمر على المحقق
مهما كان مبلغ علمه ، وقدر إحاطته . ومن
هنا كان تحقيق هذا المخطوط النادر للجاحظ
عملا تعبيا به الفحول ، ويعجز عنه المتمرسون
بتحقيق التراث . وقد التمس محققنا الفاء ل
لنفسه المنر فيما قد يقع فيه من أوهام
يكشف عنها قارئ واع أو باحث فطن ،
فقال في المقدمة ، وكأنه يمهّد لنفسه عنذرا :
(أما التحقيق فقد بذلت فيه من الجهد ما الله

وحده عالم به والمستهون كذلك بالمخطوطات
وتحيزاتها يدركون ما في تحقيق المخطوطات
ذات الأصل الواحد من الغرر والمزائق
التي تزل بها قادم الحريص الواعى المتمكن .
وقد يهون الأمر إذا كان الكتاب ذا موضوع
عام يجد له محققه من المراجع الكثير الذى
يعوضه عن النسخة الواحدة . فما بالك
والنسخة ذات خط مغربى . كثرة التحريف
والسقط ؟ ثم إن موضوع الكتاب موضوع
فريد لا تجد له كثيرا من المراجع التي تأخذ
بيدك فتهديك الطريق) :

على أن الأعذار التي قدمها المحقق ومهّد
لنفسه بها بين يدي رسالته الجلية في المقدمة ،
لا تسقط عنه المسؤولية التي اضطلع بها منذ
تولى العمل في تحقيق الكتاب . فإو أنه ضاعف
من جهده بعض الشيء لتفادى كثيرا من
الأوهام التي وقعت في التحقيق . ولسد
الحلل الذى يشوه هذا المؤلف الثمين للجاحظ ،
ولأغنى القارئ والباحث عن كثير من
المزائق التي وقع فيها . ولكنه على كل حال
مشكور على ما بذل من جهد ، فإنه لم ينجح
إلى تواكل ، أو يفتقر عن سعى ، ولكن
الكتاب حقا على تفرد نسخته ، ورداءة خطه
المغربى ، ونادرة موضوعه ، وعدم دوران
الشعر الذى فيه على المراجع المتداولة ،

والمصادر المألوفة المعروفة يجعل من تحقيقه عملا صعبا بالغ الصعوبة، ثم زادت هذه الصعوبة بأخطاء الطبع الكثيرة التي أضخم منها وجسم فيها أوهام الضبط بالشكل الكثيرة حتى بات ما يستحق السكرن مضموما : وما يستوجب الفتح مكسورا ، بصورة تستفز السخط وتستثير الغضب ، فقد كان عن ذلك مندوحة وخاصة أن حروف المطبعة جيدة، وورق الكتاب جيد . فلم يكن هناك محل - مع همة المحقق وعزمته - لوقوع هذه الأخطاء التي شوهت من قدر هذا الكتاب الثمين الذي يرى نور المطابع لأول مرة .

ولن يتسع المجال هنا لتتقصى ماورد في التحقيق والضبط من أوهام ، ولكننا سنكتفي ببعض النماذج استئلالا بالقليل على الكثير، راجين أن يتاح للمحقق الفاضل: الدكتور محمد مرسى الخولى من العافية والاطمئنان مايعينه على مراجعة التحقيق مرة أخرى حتى يظهر كتاب الحافظ في طبعة جديدة موفية على الكمال ، متناسبة مع خطر الكتاب وقيمه وجلال موضوعه . وإلى القارئ الكريم بعض هذه النماذج :

— صفحة ح من المقدمة : (أن هؤلاء قالوا في محنتهم أدب كثير، فمنهم الصابرون ومنهم

الخارج ، كما قالوا في تغليبهم على ضعفهم أدب أكثر) . والصواب : أدبا كثيرا ، وأدبا أكثر .

— صفحة ك من المقدمة : (والمهتمين بالخطوطات وتحقيقها يدركون ...) والصواب : والمهتمون .

— صفحة ٦ من الكتاب : (وليس سوء الظن في الحملة بالمدوم ، ولا بحسن الظن بالحمود ...) والصواب : ولا بحسن الظن .

— صفحة ٨ : (وكذلك حكم عن غسل الموقى .) والصواب : من غسل الموقى .

— صفحة ١٠ : (وهما لا يستقذران ولا يتقزز منهما ولا يتعديان ولا يظن ذلك بهما، ولا ينقصان من تدبير ...) والصواب : ولا يتعديان . بضم حرف المضارعة لأن الفعل رباعى . ولا ينقصان : بفتح حرف المضارعة ، لأن النعل : نقص : ثلاثى لا رباعى .

— صفحة ١٨ ، ورد البيت الاتى هكذا من الشعر المنسوب لأبي طالب :

وأنا ابن بجدتها في صبايتها
وسليل كل مسود مفضل

والشط الأول مضطرب مكسور الوزن

— صفحة ٢٧ ، ورد البيت الآتي هكذا :

فحسبناهم حتى أضاء لنا

من الصبح مشهود الشواكل أبقى

والشطر الأول من البيت مضطرب

مكسور الوزن

— صفحة ٢٧ : (وسموا أيضا قنسر

السموع^{*} بن عادياء : الأبقى (بوضع شدة

وضمة على الميم من الفعل : سموا ،

والصواب أن توضع شدة وفتحة ، لأن

الفعل : سمى معتل بالألف ، فيفتح ما قبل

الواو . وقد تكرر هذا الوهم الغايظ في

صفحات تالية منها ص ٢٨ ، ٦٨ ، ٧٢ .

— صفحة ٣١ : ورد البيت الآتي للشاعر

النابعة الذبياني هكذا :

بوجه الأرض لا يعفو لها أثر

يمسى ويصبح فيها البلى ضاللا

والشطر الأول مضطرب مختلف الوزن

ولم أهتم لصوابه على هذه الصورة ،

إلا أن روايته في ديوان النابعة هكذا :

ما إن يبلى ولم يوجد به أثر إلخ ...

— صفحة ٣٩ : (وليس يعتري السودان^{*}

من كى البلاء كالذى يعتري^{*} الشقران^{*})

بضم كلمتى : السودان ، والشقران ،

والصواب فتحهما لأنهما منصوبان على

المفعولية لامرفوعان على الفاعلية ...

— صفحة ٤٠ : جاء البيت الآتي

مضبوطا بالشكل هكذا :

فما منكمو أبناء بكرين وائل

لغارتنا : إلا ذلول ووقع

بضم الهمزة الأخيرة من كلمة أبناء ،

والصواب فتحها لأنها منادى محذوف منه

حرف النداء

— صفحة ٤٧ جاء البيت الآتي من شعر

معاوية بن سنان الكلابي :

فقام فتي وشوشى الذرا

ع لم يلبث ولم يهتهم

والشطر الثاني مكسور ، لأن صوابه :

لم يتلبث .

— صفحة ٤٨ : (وإنما صارت ألوان^{*} سكان^{*}

إقليم^{*} بابل^{*}) بفتح الميم من كلمة :

أقليم ، والصواب كسرهما ، فلا مقتضى

هنا للجر بالفتح نيابة عن الكسر ، لأنه ليس

من مواضعه .

— صفحة ٥٩ ، ورد البيت الآتي من

شعر أوس بن حجر :

ففات من فات من عامر

ركضا ، وقد أعجل أن ياجها

والشطر الأول مكسور لأنه ناقص .
وصوابه : ففات من قد فات من عامر

— صفحة ٦٣ ، ورد البيت الآتي من شعر
عجلان بن سحبان مضبوطا بالشكل هكذا :

ولا كأنني ذهّل إذا قام قائلًا

ولا الأساع الحمال حين يجيب

وقد ضبطت : ذهّل بفتح الهاء على

وزن : مضمر . وهو وهم ، والصواب :

ذهّل بتسكين الهاء كما هو اسم القبيلة
المعروف . وقد تكرر هذا الوهم في ص ٦٥

— صفحة ٧٥ ورد البيت الآتي من شعر
السيد الحسيري :

فيا نفس حتى متى تُلَيِّطين

على الخائن الأول المرتضى

والشطر الأول مكسور ، لأن الفعل
ليس تليطين كما ضبطه المحقق ، ولكنه :

تلتطين ، وماضيه : التطلى ، أى التصق

— صفحة ٨١ : (وزعموا أن بنى نمير

برصا) ، وصوابه : برُص لأنه لا داعي

لنصبه مع وجود الحرف : لأن .

— صفحة ٩١ : ورد البيت الآتي من شعر
جرير هكذا :

إذا ظل يحسب كل شخص فارسا

ويرى نعمة ظله فيحول

والصواب : إذ . كما في ديوان جرير ص
٤٧٥ . والبيت ينكسر وزنه مع إذا

— صفحة ١٠٦ : (حتى صاروا إذا سلّوا

السمن طيبوه بها) بضم اللام من الفعل :

سلّوا ، والصواب فتحها . لأن الفعل :

سلى معتل بالألف ، فيفتح ما قبل الواو .

شأنه في هذا شأن الفعل : سلى الذى
ذكرناه من قبل .

— صفحة ١١٣ ، ورد البيت الآتي من
شعر النابغة الذبياني هكذا :

هذا غلام حسن وجه

مستقبل الخير . سريع التمام

والصواب : وجهه ، بهاءين : الهاء

الأولى من بنية الكلمة ، والثانية هاء الصغير

— صفحة ١٢٢ . ورد البيت الآتي من

شعر ابن صماعة هكذا :

وقد متن الناس في دينهم

وخلاّ ابن صفان حزنا طويلا

وقد رسم الفعل : خلى بمعنى ترك .

بالألف ، والصواب : وخلى

— صفحة ١٣٨ . جاء البيت الآتي :

يا أخرج الرجل . صغير الحرم

وناقص الصور . نخيث الاسم

وقد وسر المحقق في هامش الكتاب
لفظة الصور ، بأنها (جمع صورة .
وهي الشكل) وليس هذا بصحيح .
والصحيح أن الصور لفظ مفرد . لا جمع .
بمعنى صفحة العنق .

— صفحة ١٤٠ ، ورد اسم عمرو بن العاص
بغير واو في لفظة عمرو . وهو من
أخطاء الطبع .

— صفحة ١٤٦ . ورد الرجز الثاني هكذا .
يتشبه إليها سمات نهد
مشى العذارى بينهم ود

ولا معنى للسمات هنا ، بالإضافة إلى
أن الوزن مختلف بها . والمصواب :
بمشى إليها ذو سمات نهد

— صفحة ١٥١ جاء الرجز الثاني لأبي
نواس في رثاء خلف الأحمر :
كنا متى ما نشأ منه نغترف
رواية لا نجتني عن الصحف

والشطر الأول مضطرب الوزن .
وصوابه كما في ديوان أبي نواس :
فكنا ما نشأ منه نغترف ...

— صفحة ١٥٨ . ورد البيت الآتي هكذا :

أعيني فابكي شيبا وأعول
إذا أجذب الماشي وقل اللوايح

والشطر الأول مكسور . وواضح أنه
نقصه بعض الحروف لتكمل التفاعيل

— صفحة ١٨٩ . ورد الرجز الآتي هكذا :

ياسعد كيف أنت إذا أجداني
عائتهم فتركوا عتابي

والشطر الأول مختلف الوزن ، وصوابه .
(لذ) بدلا من (لدا)

وبعد : ولا أود أن أطيل في ذكر نماذج
مما وقع في كتاب (البرصان والعرجان) من
أوهام التحقيق . فمثلت باب إذا انتشج لا يساء .
وأرجو أن يرفق الله محققه . وهو من
علماء مضاعف . وسجل . إلى
إعادة تحقيقه على وجه يقارب ما تركه عليه
الملاحظ . حتى ينتفع به على وجه يتم به
التقدم . ويتحقق المصلحة والله الموفق

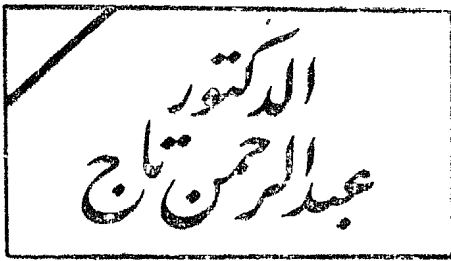
محمود عبد الغنى حسن



في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء، ١٠ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٥ هـ (الموافق
٢١ من مايو سنة ١٩٧٥ م) أقام المجمع حفل تأبين للمفوق له صاحب الفضيلة الدكتور الشيخ

عبد الرحمن تاج عضو المجمع .

وفيا يل ما ألقى في الحفل :-



كلمة الافتتاح

للدكتور ابراهيم مذكور - رئيس المجمع
في تأبين المفوق له

ستبقى على الدهر تراثا عربياً إسلامياً ممتازاً
لا يجاريه فيه كثيرون . أخذنا عنه كثيراً ،
وكننا نود أن نأخذ أكثر ، ولكن هذه
سنة الله في خلقه : تخدمه الله برحمته ،
وجزاه عن أمته ولغته خير الجزاء .
وسيتولى أستاذنا الفاضل الشيخ علي
الحفيظ أن يقول كلمة المجمع فيه . وبعد
ذلك ستكون الكلمة لأسرة الفقيد رحمه الله .
والكلمة الآن للأستاذ الشيخ علي
محمد الحفيظ :

نحتج اليوم لنودع شيخاً جليلاً :
وإماماً كبيراً : شيخاً في علمه ودرسه ،
وإماماً في صائب رأيه ، وسديد حكمه .
لقد كان من بقايا السلف الصالح الذين امتلأ
قلوبهم بالإيمان الصادق ، واتسع صدورهم
لكل جليلد فافع . عرفناه بيننا منذ عدة
سنين . فلأعطى مجيئنا هذا ما استطاع أن
يعطينا في سخاء كبير ، وعناية تامة ، لم
يقعد به عن جلساته إلا مرض قاهر ، أو
ضعف ظاهر ، هذا إلى أنه غذاه بأبحاث

● كلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ على الخفيف :

يا خلود بما توكر من علم يتدارس ، ومعرفة
تتوارث ، وأفكار تهدي ، فكان فيه الأسوة
الحسنة لمن أراد لنفسه سموا ولمزكته علوا ،
ولذكركه بقاء ، ولحياته خلودا :

كان رضي الله عنه واسع الاطلاع ،
كامل الثقافة وافر المعرفة ، خاف وراءه
من الطلاب والأتباع من هيلهم وسائل
نجاحهم ، وقرب إليهم موارد فلاحهم ،
وآداهم . وأتاح لهم من فرص وتحصيل العلوم
وهضمها ما ينمي مداركهم ويزيد في
معارفهم .

لقد فقدنا بفقدته - رضي الله عنه -
الشيخ الحليل ، والإمام العظيم ، والعالم
الكبير ، والناطقة في الفقه والتفسير ،
والضليع في العربية وعلومها ، فكان الخطب
فيه جللا ، والفسارة فادحة ، لالأزهر
وحده ، ولا لمجمع اللغة فحسب ، بل
للأمة الإسلامية جمعاء ، إذ كان رضي الله عنه
أمة وحده ، عالماً متبحراً ، باحثاً مدققاً ،
أستاذاً متمكناً ، مؤمناً برسالته ، مخلصاً
لدعوته ، خلف لنا ثروة علمية قيصة ، فيما
ترك من كتب ورسائل : وفيما نشر من
مسائل ، وفيما زود به مجمع اللغة العربية من

بسم الله الرحمن الرحيم :
سيدى الرئيس ، زملائي ، سادتي :
إن للحياة في هذه الدار أنماطاً متعددة
وصوراً مختلفة . فمن الناس من يحيا فيها
بسلامة جسمه وقوة عضلاته ، ومنهم
من يحيا فيها بسمو منصبه ووفرة ثرائه ، ومنهم
من يحيا فيها بعلمه وعمله وابتكاره ، ولكل
من هؤلاء وغيرهم أجله الذي إذا جاءه
انقطع حبل حياته وانتهى منها وجوده ، إلا
من كان له في الناس ذكر بما ترك فيهم من
علم يتدارسونه ، وأبحاث يهتدون بها . وأنماط
من المعرفة تستثير بها بصائرهم ، وتزدهر
بها معارفهم ، وتزول بها شكوكهم ،
وتتكشف لهم بها حقائق مشكلاتهم . وعندئذ
تتمد حياتهم ببقائها فيهم ، وشئ باقية ما بقي
في الدنيا حياة ، وما بقي لأهلها عقول وطموح ،
وما بقي للنفوس مطامع ورغبات ، وما لما قاموا به من
عمل حسنات ، وما لما أحدثوه من كشف
في العلوم وتوجيهات .

ولقد كان فقيدها الدكتور الأستاذ الإمام
الشيخ عبد الرحمن تاج - رضي الله عنه -
من أولئك الذين حياوا بعلمهم ، وسموا
بأخلاقهم ، وعلوا بأعمالهم ، فكتبوا لأنفسهم

أبحاث تضمنت أفكاراً مشرقة هادية :
 وآراء سديدة قيمة . تتم عن علم زاخر ،
 ونظر دقيق . وبحث فاحص . ووزن سليم
 مع سلامة في الأسلوب ، وروعة في التعبير
 وإيجاز في القول . واستيعاب في البحث .
 تمثل كل أولئك فيما عرض له في بحوثه التي
 قدمها إلى المجمع في بيان الكتاب الحكيم
 وأسأوبه واختيار كلماته ، مع سلامة في الحكم
 واستقامة في النظر ، وتدقيق في اختيار
 أحسن الآراء ، وأقربها إلى فهم كتاب الله
 وأوضحها دلالة على بيان المعنى وإيضاح
 الغرض : ولذا فإنه قد ترك بوفاته رضى
 الله عنه فراغاً لا يملأ ، وأسى لا ينسى .

كان رضى الله عنه سمحاً في أخلاقه
 متميزاً في أدبه ، متفوقاً في علمه ، لم يتل
 من نفسه زهو المنصب ، ومالمشيخة الأزهر
 من جاه ، وما تظفر به من مكانه في النفوس ،
 وسلطان في القلوب ، وما عززت به من هبة
 روحية ومكانة دينية ، ولم يكن ذلك ليشغله
 عن أن يكون باحثاً مدقّقاً ناقداً مفكراً ،
 لا يرضى إلا بالحقائق واضحة جلية مؤيدة
 بحججها ، لا بمن تُسببت إليه من قائل ،
 ولا بمن تُعزى إليه من باحث .

ولد رضى الله عنه بمدينة أسوط سنة
 ١٨٩٦ ، وفيها نشأ وحفظ القرآن الكريم ،
 وغلى قراءتها جرده ، وتلقى بعض الروايات
 في قراءاته ، كما حفظ بعض المتون ، وتلقى
 بعض مبادئ العلوم الدينية والعربية
 على من سبقه من طلابها ، وقد أهله ذلك

الانتظام في سلك طلبة المعاهد الدينية ، فالتحق
 بالسنة الثانية من معهد الإسكندرية . وقد
 كانت نظم المعاهد الدينية ومناهجها في ذلك
 العهد غملاً للنظر في إصلاحها وتجديدها
 ، تطويرها بما يقربها من نظم التعليم الحديث ،
 ويخلصها مما كان يوقها عن الوصول إلى
 غايتها من إضاعة الوقت في تفهم الأساليب
 التي شابتها العجمة التركية . أو العجمة البربرية
 والراكيب الركيكة المبهمة التي خفيت
 دلالتها بسبب عجمة أصحابها وجهالهم
 بقواعد العربية ، وما أرادوه لها من الاختصار
 والختصر والإيجاز والخلف مع إغفال القواعد
 النحوية . وكانت أول خطوة خطاها
 الإصلاح إنشاء معهد الإسكندرية وإرصاد
 الأموال الكئيلة بقيامه وحاجته ، واختيار
 الأساتذة والمدرسين الأكفاء من مدرسي
 الأزهر وعلمائه : وإعداد وسائل الشرح
 والبيان مما ليس للمعاهد الدينية عناية به من
 قبل ، ووضع النظم الكيلة بتطوير الدراسة
 وتقسيم زمنها واستقامة سيرها وتحديد
 مراحلها وطرق إفادة الطلاب عنها ، وتحديد
 «واعيد انتهائهم من دراستها . وقد كان لذلك
 أثره في نزوس النشء فولّوا وجهتهم قبل
 هذا المعهد ، وحجّوا إليه ، واستبقتوا العرفان
 والحكمة بالانضمام إليه ، والانتظام في طلابه
 فكان ممن ارتحل إليه فقيدنا العظيم سنة ١٩١٠
 التحق . بالسنة الثانية من سنه ؛ لما
 حصل عليه من دراسة سابقة في أسوط ،
 وظل يتابع الدراسة فيه حتى نال شهادة

العالمية سنة ١٩٢٣ ، وكان أول الفائزين بها في هذا العام . وقد كان من آثار تلك الحركة الإصلاحية في المعاهد الدينية ، وما قصد منها من استقرار النظام فيها ، إلغاء مدرسة القضاء الشرعى . بقصد الحفاظ على الأزهر ومكانته التقليدية . وعدم المساس بمآل طلبة ، وإنشاء قسم للتخصص في القضاء الشرعى وما يقوم عليه من العلوم والنظم القضائية ، ليحل محل مدرسة القضاء الشرعى . فالتحق به فقيدنا بعد حصوله على العالمية . وحصل منه على شهادة التخصص في القضاء سنة ١٩٢٦ وفى هذه السنة عين مدرسا بمعهد أسباط الدينى ، وظل به إلى أن نقل منه مدرسا بمعهد القاهرة الدينى سنة ١٩٣١ ، ثم نقل بعد عامين مدرسا بقسم التخصص للقضاء من كلية الشريعة بالأزهر سنة ١٩٣٣ . وذلك بعد قيام النظام الذى قضى بجعل الدراسة العالمية بالأزهر ثلاث كليات تختار الدراسة فيها باختلاف الغاية من إنشائها : كلية الشريعة ، وكلية أصول الدين ، وكلية اللغة العربية . ثم عين مع ذلك سنة ١٩٣٥ عضوا بـ لجنة الفتوى ممثلا للمذهب الحنفى مع قيامه بعدا في كلية الشريعة ، ثم اختير عضوا في بعث الأزهر إلى جامعة السربون بفرنسا سنة ١٩٣٦ . فسافر إليها وطالت مدة إقامته بفرنسا إلى سنة ١٩٤٤ بسبب قيام الحرب العالمية الثانية ، ومن جامعة السربون حصل على الدكتوراه في الفلسفة وتاريخ الأديان ، وبذلك جمع الفقيد رضى الله عنه

بين الثقافتين : الثقافة الإسلامية الشرقية ، والثقافة الغربية . لقد قضى فقيدنا رضى الله عنه هذه المرحلة من حياته المباركة طالبا مجادا شديدا الحرص على دروسه ، كثير التفكير فيما كان يلتقى عليه ويعيه فيها ، دائم القراءة فيما ينمى من معارفه ، ويوسع من مداركه ، ثم أسنذا باحثا واسع الأطلاع ، مجددا فيما وعاه من معرفة . وما عرض له من رأى : وما نشره من بحوث ، وما قام به من دروس ، وذلك بعد رجوعه من باريس ، وقيامه بالتدريس في قسم تخصص القضاء من كلية الشريعة ، والعمل في لجنة الفتوى عضوا بها وسكرتيرا فيها لها ، ثم فلتشا للعلوم الدينية والعلوم العربية ، فقاما بإدارة كلية الشريعة ، ثم بإدارة معهد الزقازيق حين خلوهما ممن يديرهما ، ثم عين شيخا لقسم العام بالأزهر ، قائما على بعث البعث الدينية للأقطار الإسلامية ، فكان له الأثر الحميد بوضع الأسس القيمة المحققة للغاية منها . ثم اختير بعد ذلك أسنذا للشريعة في كلية الحقوق بجامعة عين شمس ، فعضوا في لجنة وضع الدستور حتى ، إذا كانت سنة ١٩٥٤ عين شيخا للأزهر ، ثم وزيرا في مجلس اتحاد الدول العربية سنة ١٩٥٨ ، وظل به إلى أن ألغى سنة ١٩٦١ . وفى سنة ١٩٦٣ انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية ، ثم اختير بعد ذلك عضوا بمجمع البحوث الإسلامية .

لقد تخرج على يديه - رضى الله عنه - عدد كثير من العلماء ، مصريين وغرباء ، عادوا

إن بلادهم فكان لهم فيها بما كسبوه من معرفة وثقافة ودقة نظر أعلى المناصب الرئاسية وأسمى المراتب الدينية، وذلك فيما أخذوه عن أستاذهم العظيم من علم : وما هداهم إليه من كشف ، وسلامة في التقدير ، وما أكسبهم إياه من خلق وسلك ، كما كان لتلاميذه المصريين فيه الأسوة الحسنة في الحد والنشاط والإخلاص في العمل ، والصدق في القول ، والسداد في الرأي ، ولذا سيظل رضى الله عنه حياً ماحييت آثاره ، ومادامت مآثره ، ومابقى لما قام به من إصلاح ذكر .

لقد كان رضى الله عنه من العلماء الأفذاذ الذين استطاعوا أن يفيدوا من التربية الأزهرية ومنهجها التربوى الاستقلالى؛ المائل فى الاعتماد على النفس فى تحصيل العلم ووزن الأفكار ونقد الآراء ، وفى السلوك القائم على الصدق فى القول والبعد عن الرياء والمناخر ، مع التمسك بالدين ، فكان من خير من نشأهم الأزهر فى الحيل الماضى خلقاً وعلماً وعملاً وأدباً ، واحداً من أولئك الصفوة الممتازة الذين حفظوا للأزهر ماضيه الكريم وقداسته الدينية ، ومكانته العلمية ، وجددوا مآثره بما ألقوا للناس من كتب قيمة ، وما تركوا فيهم من بحوث عميقة ممتازة ، كان للفقيد منها عدد وافر ؛ نذكر منه فى الفقه كتابه فى السياسة الشرعية الذى اختير به عضواً فى جماعة كبار العلماء بالأزهر ، وكتابته فى الأحوال الشخصية الذى وضعه لطلبة كلية الحقوق فى جامعة عين شمس : ورسائل عليه بضعها فى الفقه المقارن ، وضعه لقسم

تخصص القضاء بكلية الشريعة بالأزهر . وبعضها فى تاريخ التشريع . وبعضها فى مناسك الحج وحكماء ، وبعضها فى الإسراء والمعراج ، وبعضها فى حكم التأمين على الحياة ، والتأمين ضد الحوادث : وبعضها فى استثمار المال فى المصارف .

هذا ، وله آثاره القيمة التى زود بها مكتبة مجمع اللغة العربية ، فوسع بها بحوثه ونمى مكتبته : فكان له من ذلك :

١ - تحقيق القول فيما نسب إلى القرآن الكريم من زيادة بعض الكلمات ونقص بعضها . فكان له فى ذلك بحث عام فى حروف الزيادة ووقوعها فى القرآن ، وبحوث أخرى خاصة منها بحثه فى زيادة الباء فى القرآن ، وبحثه فى زيادة لا النافية فى بعض الآيات ، وإسقاطها فى آيات أخرى ، وبحثه فيما تجب مرعاته فى بيان معنى الألفاظ المشتركة الواردة فى الكتاب العزيز واختيار أنسب معانيها لمقام ذكرها . وبحثه فى رد مظاهر الجراءة التى بدت من بعض المفسرين فى تفسير بعض آياته ، وبحثه فيما يخرج منه الأولو والمرجان وما قيل فيه من أنهما لا يخرجان إلا من البحار ولا يخرجان من الأنهار ، وذلك فى تفسير قوله تعالى : « يخرج منهما الأولو والمرجان » .

٢ - وله ، رحمه الله ، عدة ذلك رسائل فى بعض القواعد النحوية ، والمسائل اللغوية كرسائلته فى حكم « غير » إذا أضيفت أو أدخلت عليها الألف واللام ، ورسائلته فى حكم « إن النافية » و « إن الزائدة » والفرقة بينهما فى الاستعمال ، ورسائلته فى أفعل التفضيل

واستعماله ، ورسالته في « إذولذا » ورأي
أبي عبيدة فيها ، ورسالته فيما شاع من
استعمال بعض الكاتبيين لأفعل التفضيل
حين يقولون : أكثر من واحد وما مثله .
وغير ذلك من الرسائل المخطوط منها
والمطبوع ، وكلها تنفي عن سعة الاطلاع
في الفقه والتفسير وعلوم العربية . ويتجلى

فيها نشاطه ودقة بحثه . وسلامة رأيه .
وحسن تقديره وابتكاره ، مع متانة التعبير
ونقاء الأسلوب . وسوق البيان وجدال
العرض . فرضى الله عنه وأرضاه .
وجعل الجنة مقره ومثواه ، وأفاض عليه
رحمته ورضاه ، وأنزله منازل الصديقين
والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

●● كلمة الأسرة للاستاذ حسن عبدالرحمن تاج :

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيد الأولين والآخرين ، سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم
ياحسان إلى يوم الدين .
حضرات السادة :

لقد كان المرحوم الوالد مثالا للعالم التقى
منذ صغره وحتى لقي ربه . رعاه جده
وراعاه بحبه ووهبه للقرآن . بدأ حياته بذكر
خالقه فذكره الله وفتح عليه ، ولذكر الله
أكبر قرأ . القرآن الكريم فحفظه وأجاد
قراءته وهو في العاشرة ، فنال شفاعته
له عند ربه . أتقن عمله بحده في تحصيل
العلم فأحبه الله وهداه صراطه المستقيم .

هبط الإسكندرية وداوم على الاشتغال
بالعلم النافع ؛ فكان يقرأ الدرس قبل تلقيه .
ويجواب فيه شيوخه ، وكان في آخر كل
أسبوع يلقي الدرس نيابة عن شيخه الذي

يكون حاضرا ، فأحبه أساتذته وشهدوا
بنموه وتفوقه . فكان يتهجج في كل سنة
بتفوق من السنة الأولى حتى السنة النهائية . منحه
أساتذته شهادة العالمية عن استحقاق ، فصار
علما فضله عند الله تعالى على العابد كفضل
نبينا عليه الصلاة والسلام على أدنى أصحابه .
لم يزل للعلم طالبا وبتحصيله مسكأ ، حتى
استقصاه درجات رفيعة عالية ، ولم ينس مع
ذلك واجباته الأخرى ، فنال شهادة التخصيص
في القضاء الشرعي ، وحج بيت الله الحرام ،
ثم سافر إلى فرنسا ومعه أكباد ثلاثة وأمههم ،
حيث حصل على درجة الدكتوراه ثم عاد
بفضل ربه .

أما وقد اكتسب العلم وادخره فلاغرو
كان بيت قلبه مقلد نور العلم فيه لا يعرف
الصفات المذمومة ، أدب فأطاعه أبناءه
وانصتوا لأمره ، علم فقدره طلابه
وانتفعوا بعلمه .

راقب ربه وأخلص له نيته فحسن عمله
وأصاب في رأيه. كان من كبار العلماء
وشيوخا للمسلمين خارج وطنه أو في عمارته
أو في عقر داره .

كان كثير المطالعة في كتب تفسير القرآن
كان يكشف عن تفسير آية ومعه عقله ، وقد
حرره من قيود التقليد ، فإذا لم يقنعه قول
المفسر تابع الآية مع مفسرين آخرين ،
فإن لم يجد قولاً معقولاً أو وجد اجتهدا معقدا
غير مستساغ ، استدعى ورقه ومالاً بالمداد
قلمه وراح يجمع على دائم التفكير عقله .

لم يكن ليفتعل الكتابة ، ولكن كان
خواصاً في بحثه ، يعرض أقوال المفسرين
وأدلتهم ، ويناقشها ثم يعرض على القارئ
تساؤلات يتوقع أن يطرحها القارئ أو
بدور حولها محور أدلته على رأيه المختار ، أو
تكون أجوبتها مؤيدة لرأيه المختار .
وبانتهاء القارئ من قراءة البحث يطعن
إلى اجتهاده .

كان يقرأ القرآن فاستوقفه الآية فيعيد
القراءة مرات ، فيفطن إلى أن هناك قصوراً في فهمه
السابق في الآية ، فيبدأ البحث ويواصله طول

النهار . وكانت الآية تراوده حتى تفرقه
فيواصل التفكير فيها ليلاً إلى أن يستجيب
الله دعاءه ، ويوفقه إلى فهم مقبول فيها .
ومع هذا ، وبالرغم من ضعف جسده ، فقد
كتب أبحاثاً كثيرة في فترة قصيرة . وكان
موفقاً فيها ، فلقد قال تعالى : «إن الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون» .

أدعو الله تعالى أن يغفر له ويرحمه
ويسكنه جنات الفردوس . وأن ينفعنا بعلمه
ويلهنا دائماً الدعاء له . ويوفقنا إلى كل
ما هو فيه الخير .

والآن يطيب لي ولكل إخوتي ولأفراد
أسرة المرحوم الشيخ عبد الرحمن تاج .
ولأصدقائه ، أن نتقدم بخالص الشكر والسادة
رئيس وأعضاء مجمع اللغة العربية ، لقد
قدرتموه إذ سألتموه بعمل معكم في صالح
مجلسكم ، وقدرتموه إذ إخلاصه أحببتكم .
وفي حبه أخلصتم . والآن قدرتموه إذ محاسن
له ذكرتم . بررتم فيها وصدقتم ، فلكم منا
أسمى آيات الشكر والامتنان . وفقنا الله
ولياكم إلى كل علم نافع وعمل شافع .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

● كلمة الختام للدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع :

فقدنا - وإن غاب عنا - فله آثار تعتبر استثنائاً
لحياته ، وسوف تقرأون له غداً ، كما كنتم
تقرأون له بالأمس في مجلة المجمع ومطبوعاته .
تغسله الله برحمته ، وشكراً لكم ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أيها السادة .
لعلكم شهدتم لقاءات قبل ذلك في استقبال
تارة ، ووداع تارة أخرى ، ونحن في حياتنا بين
الاستقبال والتوديع ، وتلك سنة الحياة ، ولكن
أحب قبل أن أختم هذه الجلسة أن أشير أن



فقييد المجمع :

- استأثرت رحمة الله تعالى بعضوين جليلين من أعضائه هما :
- الأستاذ محمد رفعت (الذى توفى فى ١٩٧٥/٨/٦) .
- الدكتور أحمد زكى (الذى توفى فى ١٩٧٥/١٠/١٣) .

وسيقم المجمع حفل تآبين للفقيدين الجليلين ، وسوف تنشر كلمات التآبين فى الجزء القادم من الملة .

خبراء جدد :

- وافق مجلس المجمع على اختيار خبراء جدد لبعض لجان المجمع ، وهم السادة :
- الدكتور حسين مجيب المصرى .
 - الدكتور محمود حجازى ، استاذ الدراسات اللغوية المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة (للجنة المعجم الكبير) .
 - الدكتور عبد العزيز سليمان نوار استاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة عين شمس (للجنة التاريخ الحديث والمعاصر) .
 - الدكتور يونان لبيب استاذ التاريخ الحديث المساعد بكلية البنات بجامعة عين شمس (للجنة التاريخ الحديث والمعاصر) .
 - الأستاذ الشيخ عبد المقصود شلتوت المستشار بمحكمة استئناف مصر (للجنة القانون) .

صلات المجمع الثقافية :

- ورد الى المجمع كتاب من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لاختيار من يمثله فى الحلقة الدراسية التى يقيمها معهد المخطوطات العربية ، وموضوعها « حماية المخطوطات العربية وتيسير الانتفاع بها » ، وقد تقرر عقد هذه الحلقة ببغداد ، فى المدة من ٨ الى ١٧/١١/١٩٧٥ ، فاختار مجلس المجمع الأستاذ عبد السلام هارون عضو المجمع ، لتمثيله فى هذه الحلقة الدراسية .
 - بحث « اتحاد المعلمين العرب » بكتاب الى المجمع يدعوه فيه لاختيار ممثل له فى المؤتمر الذى يعقده الاتحاد بالخرطوم (فى المدة من ٦ الى ٨/١/١٩٧٦) لبحث « تطوير مواد علوم اللغة العربية وآدابها » .
- وقد اختار مجلس المجمع الأستاذ محمد شوقى أمين عضو المجمع لتمثيله فى هذا المؤتمر .

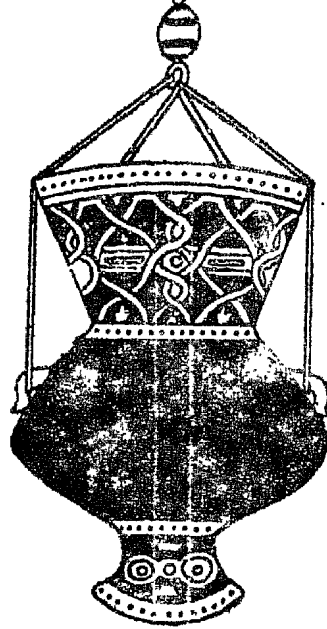
مسابقة المجمع الأدبية :

أعلنت نتيجة مسابقة المجمع الأدبية لعام ١٩٧٥/٧٤ ، وموضوعها:
« قصة أو مسرحية نثرية أو شعرية عن بطولات حرب أكتوبر ١٩٧٣ » .
وفاز بالجائزة الأولى الأستاذ مبارك ربيع عن قصته : « رفقة
السلاح والقمر » .

وفاز الجائزة الثالثة كل من :

الأستاذ عباس بيومي عجلان عن مسرحيته « البداية » .
والأستاذ جمعة محمد جمعة عن قصته « قلب الأم »

وأعلنت المسابقة الجديدة لعام ١٩٧٦/٧٥ وموضوعها :
« المنفلوطى وأثره فى الأدب العربى الحديث فكرة وأسلوباً » .



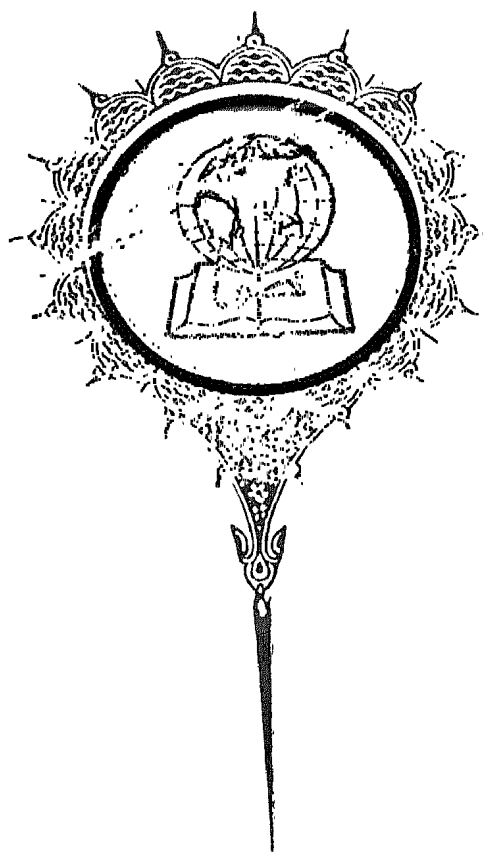
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس إدارة

ميجاد جولي السعد

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٧/٢٠٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٠٧٧-١٩٧٧-٢٠٠٠



Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com